

محمد حيدار

الإفريقي صانع ملحمة  
"فـزوز"  
ورجال وجبال



إن التاريخ لا ينام حتى وإن تظاهر بالنوم أحيانا

المؤلف

إلى الذين صنعوا ثورة أول نوفمبر 1954 بالفكر، بالدم، بالجهد، وبالمعاناة والألم، وبكل أنواع التضحيات.

إلى الذين يحمون تراثها الروحي والمادي، ويتصدون لكل مساس بأمجادها.

إلى المجاهدين الذين أتاحت لنا شهاداتهم وإفاداتهم وضع هذا المؤلف، وهم مذكورون في متونه.

إلى من كان سببا في إبراز هذا الكتاب إلى النور، وهو الأستاذ عبد الحميد بومدين مدير الثقافة بسعيدة، الذي جعل ويجعل من تخليد تاريخ ثورة أول نوفمبر 1954 بوجه خاص، وتدوين تاريخ الجزائر عامة مهمته الأساسية، وهو - كابن مجاهد معروف وأسرّة نوفمبرية لا يرقى إلى تاريخها أي شك - قد انجز في سبيل ذلك، العديد من الإصدارات الهامة التي بادرت مديرية الثقافة بطبعها في عهده، سواء في التاريخ أو في الأدب الشعبي حيث برز العديد من المؤلفات والدواوين إلى النور، خدمة منه للتاريخ الوطني وللثورة المباركة، وللجزائر في نهاية الأمر.

إلى المؤسسات العسكرية والمدنية التي كرمت الشهيد الإفريقي من خلال إطلاق اسمه على دفعاتها، كالتحذية العسكرية الأولى للجيش الوطني الشعبي لسليلى جيش التحرير، من خلال مدرسة مهندسيتها ببحر البحري، والقيادة الجهوية الثانية للدرك الوطني بوهران، من خلال مدرستها "بأجنين بوزرق" (ولاية النعام)، وإلى مربي وتلاميذة المدرسة الابتدائية التي تحمل اسمه "بالبيوض" (ولاية النعام) أيضا.

إلى أخينا الحاج أحمد حيدار الذي سعى إلى إقامة لقاء للمجاهدين، إحياء للذكرى الـ 53 لاستشهاد والدنا " الإفريقي" بمنطقة استشهاده بجبل " فزوز" الأشم، بحضور كل من يتوفرون على معلومات حول هذه المعركة، حيث إن هذه المناسبة، شكلت انطلاقة موفقة - إن شاء الله - لكتابة هذا المؤلف (أقيمت تلك الوقفة التاريخية يوم 20 سبتمبر 2012)، وفي الأخير لا يفوتني أن أنوه بالجهد الذي قام به أحفاد وحفيدات الشهيد الإفريقي، سواء من خلال التقاط الصور المدرجة بهذا الكتاب، أو من خلال فك خطوط الوثيقتين التاريخيتين المعتمدين فيه -رغم صعوبة المهمة لطول العهد وتأثر الورقتين - مما سمح لنا بقراءتهما وشرحهما، وتصويبهما لغويا عند الاقتضاء، بشكل يسهل على القارئ الوقوف على ما فيهما، ( مع الاحتفاظ بالأصل طبعا ).



## مقدمة عامة:

أحدثت ثورة أول نوفمبر 1954 منذ لحظة اندلاعها، هلعا في نفوس الاستعماريين التقليديين على امتداد العالم الثالث، الذي كانوا يسيطرون عليه، أو على معظمه على الأقل، بمن فيهم أولئك الذين سبق لهم أن هرعوا إلى تحرير فرنسا حين سحقتها الجيوش النازية عام 1940 ، ودخلت باريس منتصرة مطمئنة تتبادل نخب الراح من على أسمى كراسي مدينة النور، هرع دعاة الحرية والحقوق في العالم (الحر) رافعين شعارات سيادة الشعوب، واستقلالها وكرامتها، رافضين - بكل حزم - التعدي على حق الشعب الفرنسي واحتلال أراضيه بالقوة، وكأنما من حق فرنسا وحدها أن تعتدي، ولا يجوز الاعتداء عليها بأي وجه من الوجوه، فأسسوا - إبتداء من تلك اللحظة - للمفهوم الخاطئ الذي ركبه ساسة العالم (الحر) إلى يومنا هذا، ألا وهو مفهوم الكيل بمكيالين، ولنا أن نقف عند بعض المفارقات على سبيل الإشارة فقط، وهي:

**الأولى:** أن يحدث تحرير باريس تحت شعارات الوقوف في وجه الاعتداء و الغزو و التسلط، من قبل دول - كانجلترا وفرنسا ثم امريكا - احتفظت باستعمارها لأقطار أخرى بهدف طمس هويات شعوب هذه الأخيرة وإحاقها بهويات محتل دخيل، متناسية الشعارات التي حملتها في وجه المانيا، تلك مفارقة أولى.

**الثانية:** أن يدعي مدّعون - اليوم وأمس - أن فرنسا لم يكن في وارد ساستها، التثبيت الأبدي بالأراضي التي احتلتها بقوة الحديد والنار، ومن ثمة فإن أمر تحرير (مستعمرات ما وراء البحار)، كان في نظر منظري الاستعمار الفرنسي وأعوانهم، لا يقتضي من شعوب تلك المستعمرات تقديم كل تلك الأعداد الرهيبة من الضحايا التي قدمتها - لاسيما في الجزائر - لأنه كان يمكن لهذه الشعوب المغلوبة على أمرها، الاكتفاء فقط باللغظ السياسي والنحيب الإعلامي و الوعي المعنوي، ومزيد من الصبر على البطش والإهانة والإذلال والقهر، حتى تمنح لها الحرية (هبة)، فتتحرر بلدانها تلقائيا وبدون تضحيات، وكأن الحرية تمنح ولا تؤخذ.

ولكم أثبت التاريخ المعاصر وجاهة نظرة الطلائع من الوطنيين الاوائل، الذين وقفوا على النقيض من هذا الاتجاه الانهزامي، فتنادوا ونادوا شعوبهم إلى الكفاح المسلح وسيلة لا ثاني لها للتحرير، وأجبروا المحتل على الاحتكام إلى السلاح، وإلى السلاح وحده، ضاربين عرض الحائط بكل أشكال الدجل السياسي والتسويق، وجميع دعوات الاستسلام، سواء المغفلة الساذجة منها، أو المغرصة المضللة ذات الأبعاد المبيتة.

وهذا ليس عرضا للكلام على عواهنه، بل لنا - وإن أصرنا النظر عن آلاف الأقوال الصريحة التي أدلى بها قادة الاحتلال، على مدار قرن ونيف تأكيداً لتشبهم بمستعمرتهم المفضلة، الجزائر - علينا أن نكتفي فقط بمفارقة أثبتتها التاريخ الحديث، تؤكد مدى تعلق الفرنسيين بغريزة استرقاق الشعوب، واستعبادها واستنزاف خيراتها، وتلك حقيقة قد واجهها العالم صراحة، و بشكل جلي أثناء مفاوضات استسلام فرنسا أمام الألمان، التي وقعت بمحطة " ريتيوفد " في 22 يناير 1940.

إذ ما أن عرض الوفد الألماني على الوفد الفرنسي، أن تقوم ألمانيا بالإفراج عن كل الأسرى الفرنسيين المعتقلين بالسجون النازية، مقابل أن تتخلى فرنسا عن مستعمراتها، ونقل رئيس الوفد الفرنسي الجنرال "هانزينغر" هذا الاقتراح إلى مجلس وزراء دولته (فرنسا)، حتى قرر هذا المجلس - بعد أن سجل بارتياح مجرد عرض مسألة المستعمرات للتفاوض - قرر و بالإجماع، الاحتفاظ بالمستعمرات الفرنسية، مصدرا أوامره إلى الجنرال " هانزينغر " بالتوقيع (1) على الاتفاقية في اليوم الذي أشرنا إليه أعلاه، مفضلا التمسك بالمستعمرات الفرنسية، مقابل ترك المعتقلين الفرنسيين لمصيرهم المجهول، يرزحون تحت نير الإهانة والإذلال و السخرية في سجون ألمانيا النازية، فأين كانت فكرة التخلي عن المستعمرات؟ وأي ظرف كانت ستتحقق فيه إذا لم يكن ذلك الظرف بالذات؟

وأمام واقعة كهذه أثبتت تقديم الجلادين الفرنسيين لمصالحهم المرتبطة بالمستعمرات على حرية مواطنيهم، هل كان يحق للجزائريين أو لغيرهم من الشعوب المستعبدة، أن ينتظروا منهم قدرا من الاعتراف بالوجود؟ سواء وهم في لحظة ضعف كهذه، أو حين أعاد إليهم الحلفاء الاعتبار عام 1945، فقاموا بإبادة كل من طالبهم بحقوقه.

**الثالثة:** وقد حدثت ما في ذلك شك، عشية اندلاع ثورة الجزائر المجيدة، حيث كان عباقرة الاحتلال الفرنسيون، قد عادوا من الهند الصينية يجرون أذيال هزيمتهم الشنعاء في معركة "ديان بيان فو" الخالدة، عادوا وألسنتهم وأذهانهم وأخيلتهم لا تردد إلا اسمين اثنين يلاحقانهما في يقظتها وفي منامها، ألا وهما اسما الجنرال "جياب" والزعيم "هوشي منه" بطلي تحرير فيتنام، وكانوا يعتقدون أنهم ما داموا قد تركوا " جياب " و " هوشي منه " بعيدا هناك في الهند الصينية، إذن فقد تركوا العبقرية العسكرية والإقدام المنقطع النظير اللذين يخشونهما، ليواجهوا في الجزائر شعبا لا عبقرية عسكرية له، ولا هو على قدر محير من الذكاء الاستراتيجي في مجال الحروب.

لكن التاريخ لم يقرهم على اعتقادهم الخاطئ ذاك، فأكد لهم، وبالوقائع الميدانية الحية، أن كل من يتم الاعتداء على أرضه وتاريخه ومقوماته، سينفرد بصنيع المعجزة، ومن ثمة سوف لن يجد الغاصب شعبا مستسلما بالمسبق.

**الرابعة:** لقد أصبح الفرنسيون الجدد أحفاد جيل الاحتلال يراهنون على الزمن، عله يلطّف من الآثار الدموية التي خلفتها جرائم الاستعمار في صدور الجزائريين، ومن ثمة فهم يعملون - معنويا - على " تطبيع " نظرة الجزائريين إلى ما اقترفه المحتلون من فضائع، في حق الإنسان الجزائري والأرض الجزائرية ، وحتى في حق الحيوان والنبات الجزائريين، وهذه المراهنة تتجلى في تمديد ورثة الاستعمار القديم، لآجال حجز أرشيف الثورة الجزائرية إلى ما لانهاية من السنين، إدراكا من هؤلاء الأحفاد أن الثورة لم تمت بعد في نفوس الجزائريين، رغم مرور مدة خمسين سنة التي قدروها عمرا ظليا (أرشيفيا) لسرية الوثيقة التاريخية، وربما أصبحوا اليوم يشاطروننا الاعتقاد، بأن الثورة الجزائرية لن تموت حتى بعد مرور خمسمائة سنة، لأن التاريخ - الوضياء منه على الخصوص - لا يموت بطبيعته وإلا ما كان تاريخا يعتز به أصلا، لأن التاريخ لا يمجد المنهزمون، وإنما يمجده - طوال الدهر- الذين انتصروا فيه، فالهزائم لأتمجد سواء في حياة الشخص أو في حياة الأمة.

إن الثورة، ستظل حية حتى بعد موت الأجيال التي صنعتها، صحيح أنه يبدو لنا أحيانا - حين نحكم على المجتمع حكما سطحيا- أن الثورة لم تعد تشكل ذلك العنوان الأبرز الذي يجعل من الإنسان الجزائري إنسانا استثنائيا، ولكن تحفظ الفرنسيين وموقفهم من الأرشيف على الخصوص يشجعاننا، إذ يؤكدان لنا أن علاقة الجزائري بماضيه لا تزال، من حيث الحضور و القوة بحيث تخيف أعداء هذا الماضي، وإذا كانت الأجيال الجديدة في فرنسا - بحكم انقراض جيل الاحتلال السابق أو يكاد - هي التي تحتفظ بهذا الأرشيف، مقدره خطورة ما صنع أبؤها وأجدادها، فإن من يقابلها محتفظا بوهج الثورة وعهدها، هو الأجيال الجديدة في الجزائر، التي لا تنظر إلى هذا الأرشيف إلا كإضافة قد تسهم في تجلية بعض الحقائق، إذا لم يكن قد تعرّض للتشويه هو بدوره، كما تُشوّه أفلام الحلفاء اليوم حقائق الحرب العالمية الثانية، وإذن فالأجيال الجزائرية - عكس الأجيال الفرنسية - لا تخاف هذا الأرشيف، كما وأنها لا تنتظر لحظة الإفراج عنه لكي تشرع في كتابة تاريخ الثورة، لأنها وبكل بساطة تدرك نوايا عدوها هذا أولا، وثانيا - وهذا الأهم - إنها تعرف حقيقة ما جرى استنادا إلى إفادات من عاشوا تلك الحقائق المرة، وتثق في صدقية إفاداتهم ومذكراتهم.

سيما وأن كتابة التاريخ في الجزائر أصبحت لا تعتمد ذلك الأسلوب النمطي الرسمي الإملائي، الذي اتبع في كتابة تاريخ بعض الثورات المعاصرة، فنال -ولو إلى حد ما - من مصداقيتها، لكنها أي الجزائر تنتهج اليوم أسلوب إتاحة ما يمكن تسميته بتراكم المعلومات، ( إفادات. وثائق. مذكرات. مؤلفات فردية. أشرطة مصورة. إلخ)، وهكذا وبهذه الطريقة سيصحح التاريخ نفسه بنفسه، بشكل يوفر حرية التعبير لكل من يستطيع المساهمة، إما بالكتابة والصورة أو بتصويب ما تم تدوينه، **لأن التاريخ لا ينام حتى وإن تظاهر**

**بالنوم احيانا.**

**مقدمة مدخلية:**

و بعد هذا المدخل العام، نعود إلى مؤلفنا الذي نعترف بأن مؤلفنا مثله - محدود النفس بحكم طبيعته - لا ينتظر منه أن يحتوي إلا على ما احتوى عليه، إذ كان علينا أن نحصر القول في ناحية واحدة من مناطقنا العديدة، أخدينها كمثال فقط ليس لتمييزها - فلا تمايز في نضال جهات الجزائر أثناء الثورة - ولكن في حدود المعلومات التي في حوزتنا من جهة، وحتى نتمكن من التحكم في الموضوع ولو تحكما نسبيا من جهة أخرى، وعلى كل حال سيظل ما سنقدمه لا يتجاوز مجرد النماذج الدالة سواء على ضخامة التضحية وصدقها، أو على مدى غطرسة المحتل الفرنسي واستهانتته بكل الأعراف والقيم التي لايزال البعض ينسبها للثورة الفرنسية سهوا أو جهلا، وكذا ازدرائه للمواثيق الدولية في تعامله مع رجال الثورة، بله ومع الشعب الجزائري ككل.

وإذا كان لابد من إعطاء القارئ نظرة - ولو مقتضبة - من خلال مدخل كهذا، عن محتويات هذا الكتاب كما درجت عادة التأليف، فإنه يتكون من هذا المدخل، ثم من ستة فصول حاولنا أن نتبع في تدرجها الترتيب الكرونولوجي التاريخي للأحداث والوقائع، وذلك على النحو الآتي:

أولا: نظرة عن تاريخ تلك المنطقة، وتتضمن بعض ما اعتقدنا أنه أهم ما يشكل تاريخها في العصر الوسيط والحديث والمعاصر، دون أن نفرط في الإطناب إلى ما قبل ذلك، لأنه في نيتنا أن نخص فترة ما قبل الزبانيين في المنطقة بتأليف آخر، إن تمكنا من جمع ما يكفي من مصادر، ولو أن مسألة المصادر مطروحة بحددة.

ثانيا: أما بخصوص ثورة التحرير، فإننا أرجأنا الحديث عن المعارك والاشتباكات إلى غاية التفرغ من تناول العمل السياسي، باعتبار أنه يسبق دائما العمل العسكري بطبيعة الحال، فابتدأنا من حيث ابتدأت الثورة سياسيا وتعبويا، وبتأليفها في الجهة المعنية بالدراسة كانت - باتفاق الجميع - انطلاقا من زيارة بوشريط إلى زاوية سيدي أحمد المجدوب "بعسلة"، في النصف الأول من عام **1956**، لأنه لم يزر مكانا آخر في المنطقة قبلها في جبال القصور الغربية، وكان الهدف من تركيزنا على هذه الزيارة، هو إبراز أسماء الطبيعة الأولى من المتطوعين للعمل العسكري والثوري بوجه عام نتيجة تلك الزيارة، وقد حاولنا أن نمهد لهذه الزيارة بنظرة عما كانت عليه المنطقة، لأن بداية الثورة لا تعني بداية العمل الوطني هناك، ولو أن هذه النظرة اقتضت منا التطرق إلى بعض ماضي قبيلة " اولاد سيدي احمد المجدوب "، لا لشئ سوى لأنها أول قبيلة في المنطقة خصها بوشريط بزيارته، وهو موقف لا يخلو من دلالة حتى في نظر هذا الثائر، الذي لا شك أنه كان عارفا بتاريخها الثوري ضد الاحتلال الفرنسي.

ثم لأن معظم الأحداث والأسماء التي احتواها هذا الكتاب، هي في واقع الأمر تخص ما قام به بعض أبناء هذه القبيلة، ومنهم صانع ملحمة جبل فوزز الشهيد " الإفريقي".



ثالثا: إن تدوين المعارك التي ذكرناها، جاء وفقا للتسلسل التاريخي للأحداث، مما جعل الحدث الأكبر ممثلا في "معركة جبل فروز" لايحتل صدارة الترتيب بالضرورة، وإن احتل مكانة محورية فيه، لأنه كان ينبغي أن يأتي مسبقا بما تقدمه من معارك في الزمان، مع التأكيد على أننا لم نتعرض -بتفصيل- إلا للمعارك التي شارك فيها الشهيد "الإفريقي" أو إخوته، بحكم توفر الرواة و الإفادات وأحيانا الوثائق، بينما اكتفينا بالإشارة إلى بعض المعارك الشهيرة الأخرى، بالاسم فقط، كامكنة لاستشهاد كبار شهداء المنطقة مثلا.

وحتى لا نوهم القارئ الكريم بأن هذا الكتاب، يتضمن تاريخ الثورة بتلك المنطقة أو معظمه، وهو ما كنا نطمح إليه بطبيعة الحال لو توفرت المعلومات، فإننا وتمشيا مع محتواه لم نعط الكتاب عنوانا يوهم بذلك، بحيث جاء العنوان: "الإفريقي صانع ملحمة فروز ورجال وجبال"

إلا أننا -وعلى الرغم من هذه الخصوصية المعلنة -حاولنا أن نسلط كثيرا من الأضواء على أحداث المكان الأعم، أي المنطقة ككل لاسيما من الناحية التاريخية والحضارية أحيانا، دون أن نتقيد دائما بزمان ثورة التحرير في هذا الشق، علنا نفيد القارئ ونلبي بعض حاجاته في مجال تاريخ المنطقة بما فيها "سعيدة"، عاصمة الولاية منذ 1959 أي قبل التقسيم الإداري .

وحتى لا نخل بمنهجية (متن) الكتاب، أحلنا الكثير من هذه المعلومات -الإضافية من تاريخية وحضارية - على هوامشه، غيرعابئين كثيرا بما عرفه بعض هذه الهوامش من تضخم مخل، لا يتقيد بقاعدة الإيجاز المعروفة في الهامش أكاديميا.

كما أننا توخينا إدراج الأحداث المحلية ضمن سياقها التاريخي ما أمكن - ولو في شكل استهلال - كلما أتيح لنا ذلك، لكيلا تأتي هذه الأحداث مقطوعة الصلة بسياقاتها العامة باعتبارها جزءا من كل.

ولكي نخفف على هذه الهوامش أفردنا فصلا قائما بذاته لتراجم، ارتأينا أن نخص بها حياة بعض المشاهير، ممن لم تسمح لنا محدودية المادة التاريخية بالتوسع في استعراض سيرهم، مع أن هذه التراجم لم تشتمل إلا على عينات محدودة من هؤلاء الرجال، لندرة ما بأيدينا من تراجم ونُبد وسير للشهداء والمجاهدين من أبناء تلك الناحية، رغم دعوتنا الكثيرين قصد تزويدنا بشئ منها، لاسيما من كان لأبائهم وإخوتهم ولأسرهم مآثر تاريخية مشهورة، الأمر الذي جعلنا نكتفي بذكر الأسماء على الأقل في مثل هذه الحالات، وهو جهد المقل. والله الموفق.

---

(1)الموسوعة العسكرية ج3 ص 335، وغيرها من المصادر المتعلقة بالحرب العالمية الثانية .

الفصل الأول: نظرة تاريخية عامة:

جغرافيا رغم أنها منطقة تقع ضمن الأطلس الصحراوي وتشكل جزءه الغربي، إلا أن الجغرافيين والمؤرخين تواضعوا على إطلاق اسم جبال القصور عليها، للتفريق بينها وبين القصور الواقعة بأقصى الجنوب الغربي ( تيكورارين، توات، وما جاورهما)، فحين نقول جبال القصور فنحن نقصد المنطقة الغربية المحاذية بشكل مباشر للهضاب العليا من الجنوب، فجبال القصور هي إحدى سلاسل الأطلس الصحراوي، هذه السلاسل الثلاث الممتدة من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي، موازية محور الأطلس التلي، وهي: سلسلة جبال القصور (2236م)، و سلسلة جبال العمور (2008م)، وأخيرا سلسلة جبال اولاد نايل (1667م)، ويعتبر جبل عيسى ( قرب العين الصفراء)، أعلى قمة في هذه السلاسل الثلاث كلها عند من يدرجون جبل شليا ( بالأوراس) خارج هذه السلاسل.

أما إركولوجيا (أثرية)، فتتميز منطقة جبال القصور - ككل مناطق الأطلس الصحراوي - بماضيها العريق ، الضارب في أعماق التاريخ، حيث لاتزال صخورها تحتفظ بشواهد تثبت قدم علاقتها بالإنسان إذ تتواجد بهذه الربوع المئات من محطات الصخور المنقوشة (1)، ومن أبرزها رسومات " تيوت "، المحطة الآثرية الأكثر شهرة التي شددت الباحثين الإركولوجيين منذ أزيد من قرن ونصف، بالإضافة إلى مناطق أخرى تمتد عبر جبال القصور، ( مثل رصفة الحمام، وفيل خنيق الطيب، وقوس قارة الطالب، وزرافة كدية عبد الحق، وآثار الغنجاية (2)، وغيرها وغيرها).

ومن حيث محتوى هذه الرسوم - التي هي عبارة عن جداريات على الهواء الطلق -، فهو يعكس بيئة المنطقة آنذاك، حيث تقوم الصورة المنقوشة على عنصري الإنسان والحيوان، سواء في مشاهد صيد أو في محافل تحمل أبعادا أخرى ( عقائد. سحر. إلخ )، وإذا كانت نقوش جبال القصور تندرج فنيا ضمن أسلوبيين فنيين كما يرى الدارسون، هما الأسلوب الطبيعي التمثيلي و الأسلوب الطبيعي الزخرفي، فإن ما أذهل علماء الآثار ليس الشراء والتنوع اللذان تزدان بهما صخور هذه الجبال، من رسوم تختلف مستويات دلالتها وأبعادها باختلاف النتائج التي توصلت إليها بحوث الدارسين فحسب، بل الذي أذهلهم هو أن يكتشفوا مدرسة فنية خاصة، قائمة بذاتها يتجاوز امتدادها جبال القصور نحو بقية أجزاء الأطلس الصحراوي، وهي التي أطلقوا عليها اسم "مدرسة تازينة"، ذات الخصائص الفنية المميزة ( يراجع مؤلف السيدة مليكة حاشيد المشار إليه في الهوامش أدناه، وإن أمكن مؤلف الباحثة جوزيف ايليو " الحجرة المكتوبة"، الذي يعد مصدرا أساسيا



للنقوش الصخرية بالأطلس الصحراوي عموماً، وبهذه المنطقة على وجه الخصوص.

ذلك فضلاً عن شواهد التكهيف، كالمغارات والكهوف التي لجأ إليها إنسان المنطقة منذ عهود غابرة، أما بالنسبة للمتحجرات، فقد اكتشف على مسافة حوالي 15 كلم من بلدة الصفيصيفة ( غربي العين الصفراء ) بالمنطقة

المسماة " رويس الجير "، متحجرات عظام لديناصور عاشب (من نوع أكالات العشب)، وذلك بتاريخ 12/فبراير/2001م (3)

أما من حيث تاريخ منطقة جبال القصور فقد شكلت هذه المنطقة - ابتداء من عصر نشأة الدول الذي أعقب ما يعرف بعهد الولاة في المغرب العربي، أي إبان العصر الوسيط (4) - شكلت جزء لا يتجزأ من الدول التي مر بها تاريخ المغرب الأوسط، (الجزائر حالياً)، كالدولة الرستمية التي أثبتت حضورها سياسياً ومذهبياً في المنطقة لفترة، والدولة الحمادية التي امتدت إلى سجلماسة (تافيلالت بجنوب المغرب) لاسيما في عهد بولكين، تماماً كما شكلت سجلماسة هذه إحدى ولايات الزيانيين فيما بعد (5)، نعم الدولة الزيانية التي كانت عاصمتها بالجوار الشمالي (تلمسان)، وقد كان ليغمراسن دور بارز في إعادة تشكيل التركيبة الديمغرافية لمنطقة جبال القصور، حين جاء بني عامر من شرقي تلمسان إلى جنوبها كما يفيد العلامة ابن خلدون (6).

وهو الزمن الذي لا يتعد عن زمن استقبال المنطقة لقبائل حميان(7)، بعد أن كانت مواطن القبيلتين تقليدياً بما كان يعرف ببلاد حمزة ( ضواحي البويرة الحالية) (8)، ثم أن السلطان الزياني أباحمو الثاني قد لجأ إلى منطقة جبال القصور أكثر من مرة (مرتين على الأقل)، بعد احتلال عاصمته تلمسان من قبل جيوش السلطان عبد العزيز المريني، (عند ذكر كل بلدة على حدة سنشير - في الهوامش - إلى حلوله أو مروره ببعض المناطق).

ذلك بينما خضعت المنطقة - ككل القطر الجزائري - ابتداء من القرن الـ 16م إلى الحكم التركي، وهو ما يتضح من خلال ارتباطها الإداري والسياسي والعسكري به، فأما الارتباط الأول، فيتمثل في كونها كانت تابعة لبايلك الغرب الذي تنقل مركز قيادته - كما هو معلوم - من مازونة إلى وهران، وأخيرا إلى معسكر قبل أن يعود إلى وهران بعد تحريرها من الاحتلال الإسباني (9)، يقول برنيان إن (( قري جبال القصور - كانت - تدفع اللزامة إلى الأتراك. ))، (انظر كتابه "الجزائر بين الماضي والحاضر" ص 381)

أما الارتباط السياسي لهذه المنطقة من الجنوب الغربي بالسلطات التركية، وفضلا عما ذكرنا، فقد كان أولاد سيدي الشيخ خير من يمثله (10)، ولم تأت حملة الباي محمد الكبير سنة 1785م (يقال إنها بلغت الشلالة الظهرانية على الخصوص) (11) إلا لتدعيم هذا الارتباط، وتوطيد سلطة الدولة وهو ما سمح للبعض بالقول إن الباي إنما أراد من وراء هذه الحملة، إظهار (( قوته وتوسيع إدارته و أوامره، وقد نجح في ذلك. )) (12)، في حين لم يرق الارتباط العسكري إلى درجة التمركز من خلال قواعد ثابتة، كما أصبح عليه الأمر أثناء الاحتلال الفرنسي، بل إن التدخل العسكري التركي ظلت تحكمه الضرورة، أي حينما تدعو إليه الحاجة، سيما إذا تعلق الأمر بتهديد خارجي، كما حدث حينما زحفت قوات السلطان المغربي مولاي اسماعيل على جبل العمور، فما كان عليها إلا أن فرت تحت قصف المدفعية التركية قبل المواجهة (13)، هذا السلطان الذي ظل يحاول مرات ومرات التسلل عسكريا إلى الأراضي الجزائرية من الشمال، وما أن يتم رده من طرف القوة التركية الضاربة، حتى يتحين كل فرصة للتوغل عبر الجنوب، وقد حاول بعض أحفاده انتهاج سياسته هذه حين تمكن من تركيز حامية بوسمغون لفترة ما (14). وهكذا كانت القوات التركية بالمرصاد لكل تلك المحاولات وهو ما يسجل لها على كل حال.

الأمير عبد القادر



الجنرال



بيج

وإذا ما وصلنا إلى مرحلة الاحتلال الفرنسي، فسنسجل أولاً أنه ظل من الشائع خطأً عن مقاومة الأمير عبد القادر، أنها امتدت إلى الجنوبيين الجزائريين الأوسط والشرقي فقط (15)، بينما ظلت امتداداتها - حتى السياسية والمعنوية - عبر الجنوب الغربي يكتنفها الغموض، وقد ظل من النادر أن تتناول الأقاليم الجزائرية - خاصة - هذه المسألة ولو من باب التساؤل (16)، وحتى إن أشارت إلى ذلك، فهي لا تشير إليه إلا على استحياء، وقبل أن نتناول أهم المصادر التي تطرقت إلى الموضوع مبرزة ردة فعل السكان، يجدر بنا أن نذكر بالأسباب التي دفعت بالقوات الفرنسية إلى الزحف نحو الجنوب الغربي، وفي مقدمتها بالطبع السبب الرئيس المتمثل في اعتبار الأرض الجزائرية كلها - وكما رسمتها الخريطة التركية - أرضاً معنية بالاحتلال.

واذن فالجنوب الغربي كالجنوبيين الأوسط والشرقي، وكالشمالي الجزائري كله، لم يكن خارج مرمى العدو المحتمل، إلى جانب هذا السبب العام والرئيس، هناك عوامل أخرى بطبيعة الحال لا تخلو من أبعاد استراتيجية ومنها:

1) اننا نجد من بين المؤرخين الفرنسيين من يعطي ذلك الترابط بين الأمير عبد القادر ومنطقة قصور الأطلس الصحراوي الغربي بعده الوطني الحقيقي، بل ويجعل محاولة زعزعة هذا الترابط من أبرز الأسباب التي دفعت الجيش الفرنسي إلى التحرك نحو الجنوب الغربي في ذلك الوقت بالذات، يقول مصدرنا الفرنسي هذا ((وانضم إليه - أي للأمير - أهالي القصور في جنوب وهران وحميان وشملتهم دولته)) (17)، معتبراً تصدي فرنسا لذلك ذريعة لبداية توغل جيوشها في الصحراء، مقرنا هذا التوغل دائماً بملاحظة فرنسا لنفوذ الأمير، الذي عم أكبر القبائل هناك كما سنشير إليه.

2) هناك من هذه الحقائق ما يعيد علاقة الأمير بسكان الأطلس الصحراوي الغربي إلى سنة 1839 وهي تلك التي ساقها مؤرخ فرنسي آخر هو دوماس DAUMAS، حين كان بصدده الحديث عن قلعة الأمير عبد القادر الدفاعية التي كان يجري إنشاؤها آنذاك بسعيدة (17 مكرر)، مشيراً إلى القبائل التي كانت تزور هذه القلعة، ومنها قبيلتا أولاد حيان (ولعلها حميان) و أولاد سيدي الشيخ، وهذا قبل أن يخوض الأمير عبد القادر معاركه الشهيرة بضواحي سعيدة ( جرت أولها في 1841 بسيدي عيسى بقيادة بيجو ذاته)، وقبل أن تتحرك جحافل العقيد جيرى نحو الجنوب (1845)، مما يدل على قدم العلاقة بين الأمير وسكان الجنوب الغربي، التي لاعتقد أن التاريخ المذكور، كان بداية لها بقدر ما جاء إشارة إلى مرحلة التكامل التي بلغت.





أما فحوى هذه الزيارات، أي زيارات قبائل الجنوب الغربي لقبائل الشمال الغربي وغيرهما، الى قلعة الأمير بسعيدة -التي ارتاب فيها المؤلف- فليست بزيارات مجاملة على كل حال، بقدر ما كانت زيارات لرسم الخطط ولإعداد العدة أمام تكالب قوات الاحتلال على الأراضي الجزائرية شمالها وجنوبها.

وهنا لا يجب أن نغفل رواية متداولة منذ القدم، نقلها لنا مصدر شفوي تتحدث عن تمركز قوات للأمير عبدالقادر، بجبال القصور في تلك الفترة بالذات (18).

3) لكن لماذا حدث التوغل الفرنسي نحو الجنوب الغربي في هذا التاريخ بالذات؟ وللإجابة على هذا السؤال، يمكننا أن نكتفي من سياقات الأحداث بشاهدين اثنين، الأول هو استنفاد المعارك التي خاضها الأمير عبد القادر بالشمال، أي بضواحي سعيدة (19)، حيث حارب الجنرال لاموريسيير **lamoricier** والعقيد جيرى وغيرهما، والثاني أن سلطات الاحتلال أخذت تخبر فلسفة الأميرالحرية متمثلة في استراتيجيته القائمة على تلافي إفراغ الخريطة من مراكز المقاومة، بحيث كان كلما سقطت قلعة دفاعية إلا و أقام أخرى بالسرعة و التحصين اللذين يتطلبهما الوضع، كما حدث فور تخريب المحتل الفرنسي وإسقاطه للمدن الخمس الشمالية، التي كانت تمثل قلاعاً دفاعية للأمير، وهي (بوغار وتازة و معسكر و تاقدت في شهر ماي 1841، والقيطنة -مسقط رأس الأمير- و سعيدة في سبتمبر من نفس السنة)(20).

وهكذا ما أن شارفت معارك الأمير بضواحي سعيدة على الانتهاء، حتى بادر جيرى **gery** بالتحرك جنوباً في خطوة استباقية من شأنها أن تمنع الأمير من تأسيس مواقع دفاعية أخرى، قد يبادر إلى إنشائها في الجنوب الغربي، كما سبق له أن فعل في الشمال.

ذلك عن الأسباب، أما بخصوص المصادر، فلعل الأفيدي في هذه الحالة هو ما أورده الاغا بن عودة المزارى، الذي يمكننا أن نستدل منه على أمرين هاميين الأول، تاريخ الهجوم الفرنسي على الجنوب الغربي ، والثاني موقف الأمير عبد القادر من هذا الهجوم، يقول المزارى: (( وخرجت محلة الدولة غازية على صحراء وهران في أول مارس سنة خمس وأربعين وثمانمائة وألف الموافقة لسنة إحدى وستين ومائتين وألف، فجالت بها عدة أشهر إلى أن وصلت بها لكسال والغاسول وستيتين والبريزنة ( بريزينة ) والمشرية ، وغيرها من تلك النواحي، وهجم عليها العدو (كذا) ليلا بالغاسول فلم تلتفت له إلى أن ظهرت بالمامل ، ووقع القتال بينها وبين أولاد سيد الشيخ في تلك الجولة في أوائل ماي من السنة المذكورة، فانهمز العدو(كذا) بالهزيمة الشنيعة المشهورة، و لازالت جائلة إلى أن دخلت لفرنندا في شهر جوان )) (21).

وإذن فقد عرفنا من هذا المصدر المعاصر للأحداث على الأقل، متى حدث هذا الهجوم على الجنوب، وسنعرف موقف الأمير عبد القادر من خلال ما سيضيفه المؤلف، حيث قال: ((وقد جاء الأمير بجيشه

لطلبها بالصحراء)) (22)، فما يهمنا هنا هو أنه تحرك في طلبها حين توغلت في الجنوب، ولم يعتبر الأمر خارج النطاق الجغرافي لحروبه.

وحسبنا أن هذا المصدر قد سمح لنا باستنتاج ذلك الترابط بين مقاومة الأمير ومقاومات منطقة الأطلس الصحراوي الغربي، حتى المتأخرة منها، بل وأقام الدليل على هذا الترابط (23) إلى أبعد من تلك الروح القتالية التي واجه بها السكان الغزو الفرنسي غير المرحب به، هذه الروح التي يقول عنها أحد مصادرنا بتفصيل أكثر وبموضوعية أكثر أيضا: (( إنه تم خلال 1845 حيث استولى جيري gery (24) على قصور حميان، و ستين ورسول ( الغاسول ) و برازينة ( بريزينة ) ، قبل أن يبلغ في سنة 1847 مناطق أولاد سيدي الشيخ (...). إلى وادي الناموس، وانضمت الصحراء إلى الثورات الجزائرية بمؤازرة سكان المناطق الجنوبية)) (25).

هذا ولم تكن حملة جيري - بكل ما حملته من وحشية - هي كل نصيب مناطق الأطلس الصحراوي الغربي، ( جبال القصور وجبال العمور الغربية معا) (26) من العنف والقهر والتقتيل و المدهامات، بل لقد تعرضت قبيلة حميان سنة 1848 إلى عملية فتك، لمجرد أنها لم تؤد غرامة مالية فرضت عليها، واغتيل نتيجة لذلك سكان عشرة من دوائرها ( لعلها دواويرها )، هكذا يقول اندري برنيان، ثم هناك ما يسميه هذا المؤرخ محقا بنكبة قصور أمغرار التحتاني والفوقاني أيام 15.16.17 أبريل 1849 "دون أن يقع قتال"، أي أن العملية كانت ضد مدنيين (راجع " الجزائر بين الماضي والحاضر " ص 290/289 ) (27).

وهي حملة شملت في الواقع كل من التف حول أولاد سيدي الشيخ (28)، الذين وظفوا سلطتهم الروحية في الدفاع عن الصحراء الجزائرية، وإذا كان زمان هذه الأحداث كلها يقع ومقاومة الأمير قد شارفت على نهايتها من جهة، وثورة أولاد سيدي الشيخ الكبرى لما يحن آوان اندلاعها (1864)، لأن ما سبقها كان عبارة عن اشتباكات دفاعية، غايتها الحؤول دون توغل المحتل الفرنسي جنوبا من جهة أخرى، ففي أي السياقات التاريخية يمكننا أن ندرج أحداث هذه الفترة إذا لم يكن سياق الامتداد النفسي والقتالي الذي أحدثته مقاومة الأمير عبد القادر في نفوس الجزائريين؟ سيما من كانوا بجوار ميادين حروبه؟

لكن تجاهلا منها لكل هذا أو جهلا، تحاول بعض الكتابات التي أخذت تظهر هنا وهناك في الأعوام الاخيرة (خارج الجزائر طبعا)، ليس فقط أن تعلي من شأن العمليات العسكرية التي تلت فترة مقاومة الأمير عبد القادر وسبقت ثورة أولاد سيدي الشيخ عام 1864 ، بل لتبتدع لتلك المقاومة سياقاً آخر غير سياق مقاومة الأمير عبد القادر، وغير السياق الذي يجعل منها تحضيرات ميدانية ونفسية لثورة أولاد سيدي الشيخ الأساسية، ثورة 1864 فبدت تلك الكتابات وكأنها تريد ان توظف تلك العمليات لخدمة طرف ثالث، وهو ما لا يستقيم:

1) لا مع دوافع تلك الأحداث سواء نظرنا إليها (أي الأحداث) كعمل وطني جاء مكملًا لمقاومة الأمير عبد القادر، وتهيئة لثورة أولاد سيدي الشيخ الكبرى (1864) وهو ما يؤكد اقتراب زمنيتهما، أو كصراع على سيادة أهم قبيلة في الجنوب وهو صراع لتوحيد القبيلة، وليس لصالح جهة خارج القبيلة كما يراد له أن يُفسر.

2) ولا يستقيم مع حقيقة الأحداث حين نقرأ تذبذب التحالفات والخصومات، إبان تلك الفترة بالذات، قبل بروز شخصية سيدي سليمان بن حمزة، كقائد ثورة موحد للصفوف.

وبذلك تقحم هذه الكتابات أحداث تلك الفترة، في نطاق لا ينسجم مع السياقات التي هي أولى به

وحتى لا نمارس في حق رجال تلك الانتفاضات الأولى أي إجحاف (29)، لا يزال في وسعنا أن ننظر إلى تلك المقاومات، على أنها عمل عسكري عرقل إلى حد ما، تقدم قوات الاحتلال نحو الجنوب قبيل اندلاع الثورة الكبرى، الثورة الجامعة ثورة 1864.

وهكذا انتهت الفترة الفاصلة بين مقاومة الأمير عبد القادر، وبداية ثورة أولاد سيدي الشيخ الفعلية سنة 1864، وقد كانت هذه البداية كما هو معروف بالقضاء على سرية الكولونيل بوبريتير BEAUPRETRE قرب " البيض " في 08 أبريل 1864 (30)، (( ثم اتسعت رقعتها شيئًا فشيئًا )) (31)، ولأن المعارك بلغت ذروتها سنة 1865 (32)، فما كان من قوات الاحتلال الفرنسي إلا أن صبت

نقمتها على الصحراء وعمالة وهران كلها، مما ألهب المقاومة الشعبية في الجنوب إلى الساوره. (33)



فلقد كانت مختلف القبائل قد لبّت داعي الجهاد وتحرير الوطن، فور أن بلغها في شكل نداء وُزع كتابيا من قبل قائد الثورة سي سليمان بن حمزة (1843 - 1864) (34)، وفي مقدمتها، أرزيقات و الشعانية وأولاد مومن، و الطرفي و أولاد زياد و

العمورات والطوافير و عكرمة، وأولاد شعيب و القرايح، و أولاد سيد الحاج و درّاقة و الرزاينة و الشلاليل و الكرامة، و أولاد عيسى و المجاذبة ( أولاد سيدي أحمد المجدوب ) و الخلايفة، و أهل اربا و استيتين و الشنايف و برازة و أهل باكل، و المشاري و أهل الحوض و أولاد خالد. (35)، يقول مؤلفو كتاب " الجزائر بين الماضي والحاضر " بخصوص هذه الثورة: ((وجرت ثورة أولاد سيدي الشيخ في سنة 1864 إلى النتائج المعروفة لا في الصحراء فحسب، ولكن في جميع النواحي الوهرانية، ولم يزد القمع لهذه الثورة إلا انعكاسا في أقصى الجنوب، على الكشبان الرملية التي يقيم بها سكان سواره " الساوره ")). (36).

والرائع في حلف القبائل الذي تشكل خلف أولاد سيدي الشيخ، وصهرته المعارك التي قادها تباعا - في نطاق تلك الثورة - كبار القادة إخوة سي سليمان بن حمزة ( سي محمد ، سي أحمد ، سي قدور ) ، أنه - أي ذلك الحلف - سرعان ما جدد تماسكه في معظمه، وهو يعيد وحدته ليستأنف الكفاح ضد المحتل

الفرنسي باستثناء من بعدت به الدار، لكن هذه المرة كان التفافه تحت راية زعيم اخر هو الشيخ بوعمامة ( 1838 – 1908 )، الذي اندلعت ثورته ابتداء من سنة 1881 (37) ودامت إلى غاية 1908 حسب مراحل مختلفة بطبيعة الحال، وكان انطلاق دعوته من أمغرار التحتاني (الأسفل) مقر زاوية هذا المجاهد الكبير التي أسسها سنة 1875 (38)، ليس لأجل مهمة عادية أو تحقيق مآرب أنبية، بل لتضطلع بوظيفة خطيرة هي مقاومة الاحتلال الفرنسي.

كان حلف الشيخ بوعمامة يتألف من مجموعة هامة من القبائل، منها (( الطرافي و العمور والشرفة وأولاد سيدي أحمد المجذوب، و حميان والشعانية، وكامل سكان القصور الجنوبية، و بني جيل و أولاد جري)) (39)، ولن نسهب في تفاصيل هذه الثورة لأنها نالت حظا لا يستعهان به من حيث الشهرة، ولذلك سنكتفي بأمرين بارزين ميّزاها، أولهما اعتمادها طريق الكفاح المسلح، حيث خاض بوعمامة بقواته عدة معارك لعل أهمها، معركة (تازينة) أو (مولاق) كما يسميها الفرنسيون، التي جرت في 19 ماي 1881 وتمكن بفضلها من إلحاق الهزيمة بالكولونيل إينوستي وقواته الضخمة الحديثة التسليح، (40) يقع هذا المكان شرقي الشلالة الظهرانية على الطريق الوطني رقم 47 الرابط بين العين الصفراء والبيض).

### قلعة الشيخ بوعمامة ومقر زاويته بامغرار السفلى



يقول الاستاذ عبد الحميد زوزو في كتابه " ثورة بوعمامة " الذي خص به هذه الثورة ما نصه: ((أما الأثر المباشر للمعركة، فقد كان سيئا بالنسبة للكولونيل إينوستي، جعله يتجه نحو خيضر (الخيضر) في الشمال، عوض العودة إلى البيض جرفيل، تجنبنا للقاء آخر مع بوعمامة قد يقضي على جيشه)). (41)، بل إن تلك الهزيمة التي تجرّعها المحتل الفرنسي، هي ما دفع به إلى إقالة هذا العقيد. (أنظر عبد القادر خليفي في " المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة ").

وثانيهما مسيرة بوعمامة العسكرية انطلاقا من الجنوب إلى الشمال، التي اخترق فيها حواجز الجيوش الفرنسية ذهابا وإيابا مرتين (42)، رغم التحصينات المرحلية التي أقامت تلك القوات عبر مختلف المنافذ، وقد دامت هذه المسيرة - التي تخللتها عدة عمليات جريئة قام بها الثوار - 23 يوما، تمكنت خلالها من اجتياز الحشود العسكرية الفرنسية التي حاولت اعتراض طريقها بشتى الأساليب، حيث بلغت مناطق سعيدة وتيارت رغم تلك الظروف الشديدة الصعوبة.

إن ثورة أولاد سيدي الشيخ و ثورة بوعمامة، قد حددتا معالم العمل الوطني في تلك البقعة من الأرض الجزائرية، وسنعرف فضلها كلما استشعنا ذلك العدم الرهيب الذي كانت ستدخله المنطقة، في حال لو لم تقم هتان الثورتان في ذلك الوقت بالذات، إن الأستاذ الجيلالي ساري كان يدرك ما يقول حين أكد

بخصوص ثورة أولاد سيدي الشيخ - وهو ما ينطبق على ثورة بوعمامة بالتمام أيضا - (( إن اندلاع هذه الانتفاضة المسلحة بزعامة أولاد سيدي الشيخ الشراقة، قد غيرت بشكل فجائي وجذري التوازن على مستوى المنطقة من جهة، وعلى مستوى مناطق عديدة من الوطن خاضعة للسيطرة الفرنسية من جهة ثانية)) (43).

بذلك كله تكون منطقة جبال القصور قد شكلت موقع بركان لعدة ثورات شعبية معروفة متتالية في عهد المقاومة المسلحة خلال القرن 19 م ، ( أولاد سيدي الشيخ - بوعمامة - محمد ولد علي. الخ)، تلك المقاومات التي اكتسبت من القوة والشمول والتمدد في الزمان، ما ضمن لارتداداتها النفسية والمعنوية ، أن تستمر حتى زمن الحركة الوطنية وثورة التحرير، أي إلى غاية ما بعد منتصف القرن العشرين، حيث ساهمت في إنجاز المهمة الكبرى، مهمة تحرير الجزائر، فهي لم تكن فحسب، المنطقة التي حوصرت مبكرا من قبل قوات الاحتلال الفرنسي، عسكريا واقتصاديا من خلال عدة أشكال، منها التمرکزات العسكرية الثابتة ، و منها اختراقها بواسطة طريق للسكك الحديدية لأغراض تخدم العدو منها العسكري ( التوغل نحو الجنوب من خلال نقل الجند والمعدات )، والإقتصادي للسيطرة على حركة السلع بين الشمال والجنوب، مضافا لذلك انهيار نشاط القوافل التجارية نتيجة مضاعفة الضرائب على السلع المستوردة على متنها وعبرها (44).

وأخيرا بالنظر إليها كمنطقة حدودية تتطلب من الإجراءات، إتخاذ كل ما هو استثنائي، قلنا لم تكن منطقة جبال القصور كذلك فحسب، بل أصبحت إبان فترة ما بين الحربين وفترة الحرب العالمية الثانية، عبارة عن شبكة من المعتقلات الرهيبة التي كان أشهرها معتقلات، "أجنين بورزق" و"المشرية" و"البيض" (45) و " الدزيرة بالعين الصفراء" (46)، إذ على الرغم من أن رموز الحركة الوطنية لم ينقادوا وراء تأييد النازية (47) حتى كعدو لعدوهم، متجاهلين ضغوط حكومة فيشي التي لم تتوان في الزج بكل معارض لها فيما سمي بمحتشدات الجنوب (48)، التي كانت في مقدمتها المناطق المذكورة، كمناطق لم تكن جديدة عهد باستقبال نزلاء الرأي، بحيث لم تنتظر قوات الاحتلال اندلاع الحرب العالمية الثانية لكي تودع بها حشودا من مناضلي القضية الوطنية (49)، بدليل أن الأسرى السياسيين بأشهر مركز اعتقال في الجنوب الجزائري وهو " جنين بورزق"، أخذوا (( يهللون وأحيانا بعنف، لدخول القوات الألمانية إلى باريس في جوان 1940)) (50).

نقول، على الرغم من ذلك الموقف العلني غير المساند للنازية الذي وقفته الحركة الوطنية، ظلت فرنسا التقليدية تحتفظ بحشود من معتقلي الرأي في الجزائر، إلى درجة جعلت هؤلاء ( يهللون ) لهزيمتها النكراء أمام الألمان، والواقع أن هذه المعتقلات - وإن لم تقترن بداية تفعيلها بمجئ حكومة فيشي - إلا أنها ازدادت عشوائية وشراسة انطلاقا من عهد هذه الحكومة، بحكم ما تلا الحرب العالمية الثانية من أحداث لاسيما فيما يتعلق بالقضية الجزائرية، مثل حوادث شهر ماي 1945، وانعكاسات ما سمي بالانتخابات



البرلمانية (51)، و أزمات الحركة الوطنية التي أدت إلى اكتشاف بعض رجالها، ثم أخيرا المتابعات التي صاحبت اندلاع ثورة نوفمبر 1954 وما قبلها.

ومن بين الوجوه البارزة التي كانت بهذه السجون، القيادي المعروف عمر أوزقان (هو من محرري بيان أول نوفمبر) الذي قضى زمنا بمعتقل "أجنين بورزق" (52)، هذا المعتقل الذي يقال إن شخصيات مغربية ذات ثقل سياسي كانت من بين معتقليه في فترة ما، لكننا لا نجرؤ على ذكرها في غياب ثبوت المصادر، ( لاحظ هوامش هذا الفصل).



الشيخ بوعمامة



المارشال اليوتي

## الفصل الثاني: غداة اندلاع ثورة نوفمبر 1954

### سياق عام:

قبل أن نخوض في الحديث عن زيارة بوشريط إلى " عسلة " وضواحيها، لتأسيس التنظيمات القاعدية للثورة هناك، يجدر بنا أن نسلط بعض الأضواء على ماضي قبيلة أولاد "سيدي احمد المجذوب " خلال العصر الحديث، أي إبان القرن التاسع عشر، وذلك لإكثر من سبب:

الأول: باعتبارها البوابة الأولى التي فضّل بوشريط العبور منها إلى الجهة الغربية من الأطلس الصحراوي، أي جبال القصور أثناء زيارته لها في منتصف سنة **1956**، هذا اولاً.

والثاني: لأن معظم من صنعوا الأحداث التي سنتطرق في هذا الكتاب، من الشهداء والمجاهدين هم من أبناء هذه القبيلة.

والسبب الثالث - وربما ليس بالأخير - لأنها في مقدمة القبائل المحلية التي انطلقت منها الدفعات الأولى للمتطوعين من خيرة الرماة، أي الصيادين ( محترفي القنص البري في الجبال ) ، وقد تزودوا بما توفر للقبيلة من أسلحة تم التبرع بها وجمعها بروح وطنية عالية كما سنتطرق إليه في بابه، انطلقوا فور زيارة بوشريط للمنطقة، ملين دعوته للاجتماع بهم في المكان المسمى "الدويس"، وانطلاقاً من ذلك الاجتماع كان لأفراد من هذه الدفعات شرف المشاركة في أولى أبرز معارك الغرب الجزائري المبكرة، ألا وهي معركة "الشوابير" بمنطقة " القعدة " بضواحي " افلو "، وإذن سنتعرض إلى جوانب من تاريخ هذه القبيلة انسجاماً مع الفترة التي أشرنا إليها.

يقول بعض ذوي الإلمام بماضي قبيلة أولاد سيدي احمد المجذوب، إنها كانت تابعة لإ البيض، لعل لأن هذه الأخيرة قد عرفت تقاليد نظام المشيخة و الباشاغاوية قبل غيرها، أي منذ العهد التركي، ونحن نعرف أن النظام التركي الإداري هو الذي قلده الاحتلال الفرنسي برمته، بل وبمصطلحاته الإقليمية أيضاً ( خليفة. باشاآغا.أغا.قايد.إلخ)، (أنظر اندري برنيان: " الجزائر بين الماضي والحاضر"ص323)، مع التذكير أن

الأتراك كانوا قد تبنا بدورهم النظام الجزائري التقليدي - بصرف النظر عن المصطلحات طبعا - باعتباره النموذج الذي قرّب الإدارة من المواطن، إذا ما استعملنا التعبير الحديث.

فهذا النموذج الإداري الفرنسي - الذي هو استنساخ للنموذج التركي تماما - هو ما أصبح عليه أمر الإدارة في "العين الصفراء" إبان القرن التاسع عشر، كبقية الإدارات عبر القطر الجزائري كله، وهكذا في عهد الخليفة سيدي مولاي (كان خليفة بالمصطلح الإقليمي كما أشرنا) أعرب له أولاد سيدي أحمد المجدوب عن رغبتهم في الالتحاق بإدارة "العين الصفراء"، بدل إدارة البيض - وربما دخل هنا بُعد المسافة كعامل محوري - غير أن هذا التحول الإداري من الإدارة الأولى إلى الإدارة الثانية، لم يكن يعبر عن رغبة جميع أبناء القبيلة، إذ احتفظت بعض بطونها بالبقاء ضمن إدارة البيض، ومنذ ذلك الحين عرف أولاد سيدي أحمد المجدوب، بدورهم مصطلحي المجاذبة الشراقة و المجاذبة الغرابة، تماما كما عرفهما قبلهم بنو عمومته أولاد سيدي الشيخ.

بل وأصبح المجاذبة بقياد عُرف منهم ثلاثة حتى الآن، سيدي أحمد بن بوبكر قائد المجاذبة الغرابة حينما كانوا بضواحي سيدو، وقد بقي قائدا لمدة طويلة قيل إنه عاصر الكولونيل بن داود (ولد هذا الأخير سنة 1837 وصار عقيدا عام 1889)، صاحب المقولة المشهورة (( العربي يبقى عربيا حتى ولو كان الكولونيل بن داود ))، و توفي سي أحمد بن بوبكر فخلفه ابنه سيدي محمد بن بوبكر - بسكون الباء الثانية - ( وهما من بطن أولاد سيدي محمد)، ولا نمر دون أن نشير إلى ذلك المديح الذي تتناقله الأجيال لخصال تميز بها سيدي محمد هذا، الذي كان ينوب عن القبيلة ليس في دفع الاتاوات والضرائب من ماله الخاص فحسب، بل وفي مداينة القبائل ذات النفوذ الواسع والقوي في المنطقة، كذوي منيع وغيرهم حتى يتقي شر هجوماتها على قبيلته، وظلت تلك مواقفه إلى أن نفذ كل ما لديه من أموال وممتلكات حيوانية، فبقيت كلمات قالها تدل على نوع من تنكر بعضهم للجميل، وما أكثر هؤلاء في كل زمان.

(بخصوص رواية سيدي أحمد بن بوبكر سمعناها من الحاج بحوص حيدار، أما سيرة سي محمد فشائعة ومعروفة في القبيلة)، كما عُين أنداك سي الميلود بوغفالة على المجاذبة الشراقة ( وهو من بطن أولاد سيدي الحسين)، ثم ما لبث أن مات و انتقل المجاذبة الشراقة إلى الناحية الغربية إلا أوزاعا منهم، قبل أن تعمد الإدارة الفرنسية - ولأسباب احتفظت بها، أو نحن على الأقل ممن يجهلون بها - إلى تعيين قائد على

المجاذبة الغرابة من خارج القبيلة، هو القائد رضوان نجل ألبا شآغا الخلاصي، الذي سيكون له دور في الأحداث المستقبلية كما سنرى.

هذا وبحكم احتكاكهم القديم بالناحية الشرقية المجاورة (من أبرز مدنها الأبيض سيدي الشيخ والبعض)، لم يبق أولاد سيدي أحمد المجدوب بطبيعة الحال، خارج حشود المجاهدين التي انضوت تحت لواء أولاد سيدي الشيخ في ثورة **1864** بقيادة سيدي سليمان بن حمزة، بل سرعان ما أصبحوا في عداد هذه الحشود المقاتلة، لاسيما منذ فترة زعامة أخيه سيدي أحمد بن حمزة لهذه الثورة، إذ في تلك الفترة و تلبية لندائه الشهير (راجع مالك بحوص " ثورة أولاد سيدي الشيخ ")، عُرفت تلك الثورة بأمرين أساسيين هما، التوسع في المجال الجغرافي و التفتح على القبائل حتى من خارج المنطقة فما بالك بقبائل الجوار، (عن هذه المشاركة يراجع د. يحي بوعزيز في مجلة الثقافة، وقصيدة تاريخية للشاعر الفشفوش ضمن كتاب مالك بحوص المشار إليه، يثني فيها على القبائل المشاركة في هذه الثورة، ومن بينها قبيلة المجاذبة).

و إذا كانت طائفة من المؤرخين تثبت مشاركة هذه القبيلة، كما كل قبائل المنطقة وسكان قصورها في ثورة بوعمامة، فالواقع أن الإخباريين - من أبناء هذه القبيلة على الخصوص - يسندون إليها دورا رياديا - وربما غير مسبوق - تكون قد لعبته في ثورة الشيخ بوعمامة، حيث استشهد من أبنائها أربعون رجلا منهم **23** رجلا في معركة " تازينة " (مولاق) التي جرت يوم **19** ماي **1881**، وسبعة عشر رجلا في المعركة الرهيبة التي حدثت في فندي (جنوب غربي بني ونيف)، في الثاني من أفريل عام **1882**، حيث تكبد الجانبان الفرنسي والجزائري خسائر كبيرة، أعقبتها على امتداد فترات لاحقة عدة اشتباكات بين الطرفين، مما جعل الصراع المسلح يأخذ طابع حرب استنزاف.

بل إن الرواية المنقولة جماعيا - جيلا بعد جيل - تردد شفويا، وبكثير من الاطمئنان ، أن أحد أبناء قبيلة أولاد سيدي أحمد المجدوب (ينتمي إلى بطن أولاد سيدي الحسين بالذات)، هو قاتل الضابط الفرنسي صاحب النصب الذي أقامه المحتلون بسهل " تازينة "، لكن هذه الرواية تسمى صاحب هذا النصب خطأ بوبريتير، مع أن بوبريتير **BEAUPRETRE** هذا - الذي هو عقيد فرنسي - كان قد قُتل بمنطقة "عوية بوبكر" شرقي البيض، في أول هجوم شنه سي سليمان بن حمزة على القوات الفرنسية يوم **8** أفريل **1864**، أي قبل اندلاع ثورة بوعمامة في **1881**.

(كل مصادر ثورة **1864** تثبت هذه الحقيقة)، ولاندرى رتبة صاحب النصب الذي أقامه المحتل الفرنسي هناك في موقع معركة تازينة (مولاق) اللهم إلا إذا كان أمر يتعلق بأحد قادة المعركة من الصف الثاني، مادام

قائد الحملة (الكولونيل اينوسانتي **innocenti** قد انسحب فارا (زوزو " ثورة بوعمامة "، وعبد القادر خليفي "المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة ")، ومع ذلك يبقى سؤال حول مصير الكولونيل سوينة **swiney** قائد الفيالق الثلاثة، الذي لم تحدثنا المصادر عن ما انتهى إليه أمره، غير أن سكوت المصادر ليس كافيا ليدفعنا بطبيعة الحال إلى الزعم بأنه هو الضابط، الذي قُتل وأقيم له النصب في تازينة حيث لاتزال أطلاله هناك.

ظل رجال القبيلة ضمن صفوف جيش بوعمامة بعد أن أصحر إلى الجنوب الغربي، فشاركوا في معركة " فندي " الشهيرة، وفي الاشتباكات التي دارت في تلك البلدة الجنوبية، بين جيش بوعمامة وقوات الاحتلال الفرنسي كما أسلفنا، ثم - و بعد مضي سبع سنوات على وجودهم إلى جانب قائد هذه الثورة - كان المجاذبة في جملة من غادروا، ليس لسبب آخر، سوى لأنهم لم يعودوا يرون لبقائهم من معنى سواء بدلول، أو بالأراضي المغربية التي أخذ بوعمامة يفكر في التوجه إليها، وفعلا لم يمض وقت طويل حتى عاد الشيخ، وتفرق عنه بعض أصحابه في وادي زوزفانة وبقي معه بعضهم الآخر، (أنظر عبد القادر خليفي المصدر السابق ص 91 )، وإذا اعتمدنا الإفادة الشفوية التي جعلت مدة مشاركة أولاد سيدي أحمد المجذوب في حروب الشيخ بوعمامة سبع سنوات ( 1881 - 1888 )، مع العلم أن بوعمامة مكث بـ " دلدول " - أقصى الجنوب الغربي - حوالي إحدى عشرة سنة (1883 - 1894 ) (خليفي " المصدر السابق ص 99)، فمعنى هذا أن قبيلة المجاذبة كانت قد انتقلت إلى " دلدول " في ركابه، ثم عاد رجالها بعائلاتهم بعد انقضاء تلك المدة، وذلك حوالي سنة 1888، عادوا - كما تضيف الإفادات وأهمها الأستاذ عبد القادر خليفي في مؤلفه السابق - وهم وعوائلهم في وضع معيشي، يسوده البؤس و العوز فلا هم رجعوا وفي أيديهم ما ينتشلهم من مجاعة أَلمت بهم منذ مدة، ولاهم وجدوا أمامهم من المال والممتلكات ما يقيهم صروف الزمن، وبما أنهم عادوا لا يحملون إلا فضل جهادهم ضد عدو محتل، فقد استقبلوا استقبالا حافلا بروح من التضامن عرف بها الجزائريون، تضامن إخوانهم الأمازيغ (سكان عسلة )، الذين قيل إنهم وضعوا كل ما كانوا يملكون تحت تصرف هؤلاء، في تكافل اجتماعي انقطع نظيره، يذكرنا بتلك المواقف الرائعة التي احتفظ بها تاريخ مجتمعنا الجزائري، وتاريخنا الاسلامي بوجه عام

**ملحوظة:** إن المصادر المكتوبة التي تناولت ثورة بوعمامة، أثبتت مشاركة قبيلة أولاد سيدي أحمد المجذوب فعليا في هذه الثورة، خذ منها على سبيل المثال المؤلفات التي أشرنا إليها في هذا الكتاب، لكل من عبد الحميد زوزو، وعثمان سعدي، وعبد القادر خليفي، وقد نضيف إليهم عبد الله الطواهرية في معلومات أخرى



ذات صلة، ذلك فضلا عن الإفادات الشفوية وما أكثرها، لعل أهمها إفادات حيدار - الحاج - محمد البواب،  
و القراري محمد).

كان يجب أن نستعرض كل هذا، لنقول إن زيارة بوشريط إلى منطقة جبال القصور، في النصف الأول من  
عام 1956، حدثت وصور تلك البطولات لاتزال ماثلة في الأذهان، سيما وقد أخذت صفة الثقافة  
الأسطورية في المجالس وحكاوى الأطفال، بل ربما تظافت عدة أسباب وراء تلك الزيارة التي قام بها الزعيم  
بوشريط، يأتي في مقدمتها وعلى رأسها بطبيعة الحال، هذا الماضي النضالي المشرق الذي صنعته القبيلة،  
فضلا عن المكانة الروحية التي لطالما تمتعت بها، الناجمة أساسا عن انتسابها إلى الخليفة الراشد أبي بكر  
الصديق رضي الله عنه، وعن المقام الذي احتلته زاوية القوم في نفوس الناس، مما يعطيها نفوذا معنويا قويا  
على الآخرين، ومثل هذا النفوذ بالذات هو ما كان يبحث عنه بوشريط، في زمن كان تجنيد الشعب لحمل  
أعباء الثورة - لاسيما عسكريا - يأتي على رأس الأولويات.

كما ولم يفت الرجل أن المنطقة كانت - ككل أنحاء الجزائر - تواقا إلى ما هو أجدى و أنفع من  
السياسة ما في ذلك شك، بل لعله الهاجس الذي ظل يختمر في نفوس وجوهها المعروفة من قيادي الحركة  
الوطنية، لاسيما حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (حزب الشعب سابقا)، فضلا عن أتباع الأحزاب  
والتنظيمات الأخرى، كالبيان وجمعية العلماء وغيرهما، وربما لذلك نجده - وهو لا يزال في زيارته الأولى  
 للمنطقة - لا يكتفي بالتحضير السياسي / التنظيمي / المعنوي / الصرف، بل يذهب إلى أبعد من ذلك،  
 فيشرف شخصيا على عمليات عسكرية أولى، في كل من " ثنية الجمال"، و " بوسمغون"، و " الشلالة  
الظهرانية" وغيرها، فيحقق بذلك سبقا في وضع القاطرة على السكة، حتى ولو تحدثت بعض المراجع  
عن وقوع هجوم أو هجومين، خلال شهري جوان وجويلية سنة 1956 بكل من " عين حجاج"، و " وادي  
الحاسي"، دون أن تنطرق هذه المعلومات إلى علاقة بوشريط بهذين الهجومين.

## أ - توظيف النفوذ الروحي للزاوية:

حرص بوشريط على أن تكون زاوية سيدي أحمد المجذوب الكائن مقرها بعسلة، في مقدمة الأحداث  
التحضيرية للثورة إذا لم تكن القاطرة التي تقود تلك الأحداث محليا، وبلغ به هذا الحرص درجة جعلته  
يرفض النصيحة التي قدمت إليه بعدم الزج بها، في خضم الثورة بصورة مباشرة كمركز للتجنيد والتموين

والاتصال وغير ذلك، والاكتفاء بإسناد مهام أقل أهمية إليها بشكل يراعي وظيفتها المفتوحة على الجميع، وما يقتضيه ذلك من حذر أمام الاحتلال وعيونه.

وكانت هذه النصيحة قد قدمت إليه، أي إلى بوشريط، حسب إفادة للمجاهد بلحيا الحاج الشيخ من طرف والد هذا الأخير، الشهيد بلحيا حمو الطيب ( الأب ) قائلاً، إن والده كان قد نصح بوشريط بعدم تأسيس زاوية سيدي أحمد المجذوب كمركز للثورة، لأنه في وسعه أن يكتفي بإسناد مهمة ما إلى "مقدمها " حيدار بن سليمان، لخدمة الثورة دون اتخاذها مركزاً، مبدياً تخوفه من اكتشاف سر نشاطها الثوري بحكم تعاملها مع الجميع، واستقبالها للجميع كزاوية، غير أن بوشريط أصرّ على ذلك بدعوى أنه لا يمكن إغفال سلطة روحية جاهزة - كسلطة الزاوية التي تتمتع بكل هذا النفوذ الواسع، الذي تُحظى به في أوساط الشعب، وهو ما سيسهل مهام التجنيد و التعبئة، فضلاً عن أنها لم تربطها أية علاقة بالدوائر الاستعمارية لا من قبل و لاحقاً، ( للتذكير فإن الشهيد حمو الطيب ( الأب )، هو خال الشهيد حيدار بن سليمان " الإفريقي " ، ومن ثمة فوجوده بعيداً عن مقر الزاوية لا يعني جهله بوضعيتها).

ومرت الأمور لفترة كما أراد لها هذا الرجل العظيم ( بوشريط ) أن تسير، لولا أن الاستعمار وأعوانه - سواء التقليديين منهم، أو الذين أسرع بإعدادهم نفسياً ومادياً أمام الوضع المستجد - لم يكونوا بعيدين من الحركية الجديدة التي طرأت على الواقع القروي والبدوي من حوله، فسرعان ما تفتنوا إلى وجود هذه الحركية غير العادية، فوجهوا إليها كل طاقاتهم لإخمادها وإسكات صوتها، متبعين رموزها سواء في الزاوية أو في القصر أو في البادية، لكن الثورة أتت - منذ لحظاتها الأولى - شيئاً أساسياً، وهو القدرة على التكيف مع الظروف، بغية النفاذ إلى هدفها.

## 1- نقطة البداية:

تقول مصادرنا الشفوية، إنه في موسم الحصاد عام 1956، وقد كان "مقاديم" قبيلتي حميان والعمور قد أنهوا زيارتهم الموسمية لزاوية سيدي أحمد المجذوب ببلدة "عسلة"، في هذه الأثناء زار الزاوية المذكورة، الشهيد يوسف بوشريط (1) الذي شتهر يومها كواحد من مفجري الثورة بضواحي البيض، قادماً من جبل تامدة، من عند الشهيد بلحيا حمو الطيب (الأب) قائد المركز، وابن أخيه بلحيا محمد بالعقون المعروف بمسلك الأيام، وقد جاء بصحبة بوشريط (2)، الشهيد حيدار المجذوب كدليل له، وكان قد أرسل إليه من طرف الشهيد حيدار بن سليمان ( الإفريقي )، الذي كان مُقدِّماً للزاوية، وذلك ليصطحبه في قدمه هذا.

في الاجتماع الأول الذي عقده بوشريط بالزاوية، إبان أواسط سنة **1956** (أواخر ماي أو أواسط جوان، لاحظ الهامش **8 ف/2**)، تم الاتفاق على جمع السلاح (**3**)، وأن يقوم كل بطن من بطون القبيلة بتعيين رجلين أو ثلاثة، يتطوعون للمشاركة في العمل العسكري، في إطار إنشاء وحدات لجيش التحرير الوطني بالمنطقة، على أن يكون هؤلاء من القناصة المحترفين، وأعطى الحضور فكرة عن التنظيم المدني للثورة هنا، (أعراش. إلخ)، أما هو ورفاقه فيواصلون التنظيم بالبيض.

وكان بوشريط فور وصوله قد طلب إحضار السيد بالماحي بحوص - الذي يُقال إن علاقة رضاع تربطه به - فما كان من الإفريقي إلا أن كلف السيد بن هلال أحمد (العسلاوي) بالذهاب إليه، بمنطقة عيون أولاد سيدي الماحي ودعوته للحضور، وقد حصل ذلك فعلا، (هذه الإفادة ليست لمصدرنا الأول الذي سيواصل)، وهكذا شرع الذين اجتمع بهم بوشريط في جمع السلاح، واختيار المتطوعين، والشروع في عملية تحسيس عام.

ومن المعروف أن بوشريط اتجه بعد ذلك إلى مضارب أولاد الطيب بمنطقة "الرمثة"، (جنوب غربي عسلة)، حيث التقى وجوها من أبرزهم، الفقيه الحاج أحمد راسمال، والطيباوي الحسن، وبوحلة سليمان، والطيباوي محمد، وآخرون، فعقد هناك اجتماعا تحضيريا آخر، وقد رافقه بعض من حضر اجتماع الزاوية. (لاحظ الهامش **11 ف/2**)

وأمام روايتين تنفرد كل منهما بتحديد مكان، تقول إنه جاء مواليا " للرمثة " في جولة بوشريط، فضلنا ما يقتضيه سياق الأحداث الذي يجعل بلدة " توت " سابقة في الزيارة عن "عين ورقة" (**4**)، ومسألة الرهبان (**5**) في تلك الجولة، التي اختتمت بزيارة أمغرار (**6**) وسيدي إبراهيم.

ثم انتقل إلى بلدة توت، مقر إقامة القائد رضوان بالميلود، قائد قبيلة أولاد سيدي أحمد المجذوب، وهو نجل الباشا آغا الخلاصي، وكان ذا ميول وطنية، التقاه ببلدة توت (أو قريبا منها)، و يضيف مصدرنا أن بوشريط استقل سيارة القائد رضوان إلى جانب هذا الأخير طبعاً، حيث تحادثا وكان معهما الفقيه راسمال أحمد، بينما تكمل رواية أخرى بشئ من التفصيل، أن القائد رضوان نقل بوشريط على متن سيارته، من بلدة " توت " عبر "عين ورقة " إلى بلدة " بوسمعون"، حيث تناولوا طعام العشاء عند قائد هذه البلدة (**7**).

ويخبرنا مصدر ثالث، أن القائد رضوان، كان قد اعتقل فيما بعد من طرف السلطات الفرنسية، نتيجة نشاطه الثوري وأودع سجن "جنين بورزق" المعروف، لكنه ما لبث أن فر منه نحو المغرب الأقصى (8).

ويطرح اختيار بوشريط لمحور، تيبوت - عين ورقة - بوسمغون، سؤالاً عما إذا كان الأمر يتعلق أساساً بدراسة هذا المكان على الطبيعة، - كما يقول العسكريون - لأن بهذا المحور يقع مكان (ثنية الجمال)، الذي سيكون مسرح عملية عسكرية يقودها بوشريط شخصياً ضد الرهبان "هناك". أما فيما يتعلق بمقتل هؤلاء الرهبان، فهناك رواية عن الحادثة تفيد بأن بوشريط، كان قد جاء إلى ضواحي عين ورقة سنة 1956، رفقة مولاي إبراهيم (عبد الوهاب) و بن جلول (لعماري) ونور البشير، وعقدوا لقاءً عند مولاي محمد، حضره مولاي ملوك الذي كان يومئذ من أبرز النشطاء في العمل الثوري، وكان بوشريط يعتزم ترصد شاحنة، كانت تنقل المون (في شكل قارورات) إلى رهبان كانوا يقيمون بتلك الناحية، فنصبوا لها كميناً بالمكان المسمى "ثنية الجمال"، وقد كان موقع بوشريط أقربهم إليها، بينما تموقع رفاقه بأعالي هضبة الثنية، ثم أطلق عليها النار فأصاب عجلاتها فجنحت عن الطريق.

وكان طاقمها يتكون من أربعة أفراد، قُتل منهم ثلاثة بينما أخلي سبيل الرابع، لينقل الخبر إلى قواته ومسؤوليه، ثم أضرمو النار في الشاحنة، ولما بلغ الخبر القاعدة العسكرية بالعين الصفراء، تحرك رتل من عربات الجند باتجاه المكان، وبعد المعاينة اعتبروا أن ما حدث لا يعدو كونه عمل لصوص، ورغم أن البعض ضعف الرواية التي سنسوقها، يرى مصدرنا أن الباشاآغا الخلاصي، هو من أقنع الفرنسيين بهذا الاستنتاج، خوفاً من ردة فعلهم ضد السكان المدنيين (9)، وفي رواية، أن بوشريط ورفاقه لم يطلقوا النار على الشاحنة، إلا بعد أن رفض سائقها التوقف، وأن العملية لم تكن منذ البداية مدبرة ضد الرهبان كرهبان.

## ب - من الأحداث الأولى:

### 1 - عبور طلائع القوات الوطنية:



ورغم اختلاف الرواة، أولاً على طريقة عبور هذه القوات وثانياً على من كانوا يقودونها، وثالثاً على المكان الذي استقبلها فيه بوشريط ومساعداه عبد الوهاب والعماري، وما

إذا كان بسيدي إبراهيم (10)، أو خنيق الحذاء أم ضواحي البيض، نورد الرواية الأتية كملعومة للتاريخ، حتى ولو لم تكن نهائية في الموضوع:

فدائماً في سياق زيارة بوشريط إلى تلك المنطقة، يتحدث مصدرنا عن قوات عسكرية تتكون من جزائريين، فروا من الجيش الفرنسي المتمركز بتلمسان (11)، وعددهم 150 جندياً، وذلك لما غادروا قاعة عرض

سينمائي ليلا - بعد انتهاء عرض فيلم كانوا يشاهدونه - متجهين نحو مدينة وجدة المغربية، وبعد أن انضمت إليهم قوات أخرى من جيش التحرير، نُقل الجميع إلى تاندرارة ، وأخيرا إلى مدينة فيقيق، تحت إمرة عبد الغني، ومولاي عبدالله (أحد شرفاء مدينة برقم) (12)، و بضواحي "فيقيق" أسندت إمرتهم إلى كل من الشهيد الشلالى محمد (13)، ومجاهد آخر من قبيلة الميرينات ( العمور)، ومولاي الجيلالي (من شرفاء عين ورقة) ، فجاءوا بهذه القوات إلى منطقة سيدي ابراهيم جنوبي أمغرار التحتاني ( السفلى )، حيث اجتمعوا ببوشريط ورفيقه، وهناك وُزع هذا الجيش إلى ثلاثة أقسام.

القسم الأول تحرك بقيادة بوشريط شخصيا، عبر مناطق " الصم " باتجاه " الحجرات الطوال"، ف" خنيق المزاريق"، والقسم الثاني قاده بن جلول (لعماري) عبر " ثنية الزبوج"، " قماقيم"، " عين بن حمادة " ثم " مزيمر"، وانتهاء بـ " أقطاي تانوت " (14)، أما القسم الثالث، فقد كان تحت إمرة مولاي إبراهيم ( عبد الوهاب)، الذي اتجه به نحو: "الجبيل الحيمر"، فـجبل " المسيتير" (15) ثم سار جنوبي جبل " تامدة"، وحسبما يفهم من هذه الرواية، فإن القسم الذي كان مع بوشريط انقسم إلى قسمين، أحدهما مر " بخنيق المزاريق"، واتجه رأسا إلى "خنيق الحذاء"، حيث كان يوجد مركز الشهيد بلحيا حمو الطيب، أما الفريق الثاني منه، فقد توجه - تحت قيادة بوشريط - إلى بلدة الشلالة الظهرانية، حيث قام بتنفيذ عملية عسكرية هناك، أسر فيها 30 حركيا وقائدهم (وهو فرنسي)، واقتادوهم ليلا إلى منطقة " الدويس " (16)

## 2 - من نتائج زيارة بوشريط (الأسماء الأولى):

وفور انتهاء جولة بوشريط تلك إلى عسلة وضواحيها، وبمجرد مغادرته للزاوية، شرع الذين عقد معهم الاجتماعات الأولى التي ذكرناها، في التحضيرات المتفق عليها معه، وهكذا كان الشهيد بن سليمان " الإفريقي" إثر لقائه الأول ببوشريط في الزاوية، قد دعا وجوها من قبيلته، قبيلة أولاد سيدي أحمد المجذوب الغراية (أولاد سيدي محمد، أولاد سيدي الماحي، وأولاد سيدي بوبكر)، بالإضافة إلى بعض سكان قصر عسلة من الأمازيغ، بينما هناك آخرون لم تبلغهم دعوة الحضور كما يضيف المصدر.

دعاهم للقاء عاجل بالزاوية، وقد تم اللقاء بالفعل، حيث حضر المتطوعون، والسلاح المتبرع به (17)، وبذلك أصبح الجميع جاهزا وفقا لتوصية بوشريط في الاجتماع الأول (18)، كما اتفقوا على اقتراح يرفعونه إليه يتعلق بضرورة تمركز قوة منهم بجبال المنطقة، بعد أن يتم اطلاعهم على أساليب إنشاء التشكيلات العسكرية، حتى لا يتم تمركز كل المتطوعين بالجبال الشرقية ( شرقي جبال القصور)، لأن ذلك من شأنه أن يُبقي هذه المنطقة خالية من جيش التحرير، وهكذا - وتيمنا بالزاوية وفق اعتقادهم - انطلقوا جماعيا إلى " خنيق الحذاء"، حيث يوجد بوشريط، فذهبوا - يضيف المصدر - (19) بعد أن

تناولوا طعام الغداء بالزاوية، ثم طعام العشاء عند حيدار سليمان بن إبراهيم، وأخيه حيدار الطيب، بالمكان المسمى " جرف الطربان " ( بضلعة الخناق ) جنوبي عسلة، بحوالي خمسة كيلومترات (20).

### وفيما يلي أسماء معظم أفراد هذه البعثة:

حيدار بن سليمان ( الإفريقي ) ، الشلالي العربي ، راسمال أحمد (الفقيه)، الطياوي الحسن، حيدار سليمان، حفيان عبدالسلام، حيدارالبشير، حيدار بلحفيان، الشلالي الميلود، حفيان التومي، بوحلة سليمان، الباقي أمعمر بن عبد القادر، الباقي الشيخ، راسمال عبد القادر ( السندوفة )، هرماك عبد السلام ، هرماك بوعمامة، حمادة أحمد ولد محمد (هذان الأخيران استشهدا في معركة الشوابير الشهيرة "بالقعدة" ) (21)، حوبش العربي ولد بحوص، حمادة الشيخ بن بوخيزة ، السخار عبد السلام ( المعروف بهرو ) ، حمادة بالحفيان، بوبليحة الشيخ، الريح الطيب، بن قرع الصحي، ملياني علي بن الملياني، محاوي أحمد بن الشيخ، بن ماحي أحمد بن التجيني، بن ماحي بحوص، بن ماحي التجيني، بن ماحي المجدوب بن الميلود، بن ماحي معمر بن حميدة، بن ماحي الشيخ، بن حمادة قدور، قوراري محمد، بن حمادة محمد، الزاوي المجدوب، الزاوي الطيب ( جعيد)، الصوفي معمر، الصوفي لخضر.

هذا عن دفعة المجاذبة الغرابية، مضافا لهم، عبد النبي أحمد، وسعيدي التومي، من سكان عسلة الأمازيغ، وقد كان سعيدي التومي هذا ممن شاركوا في الهند الصينية، ثم استشهد بمعركة " القعدة " المذكورة (الرواية الأخيرة لابنه بوجمعة)، وقد حضر تجمع " الدويس " من المجاذبة الشراقة (ممن يستحضر أسماءهم مصدرنا طبعا) كل من ، قصير علي ، بوبكري أحمد بن الشيخ ، بوغفالة الهاشمي ولد معمر ، عبد الحاكم معمر بن أحمد ، بوغفالة المجدوب بن الطيب، بوبكري محمد بن عبد الله ، حيتالة بحوص، حيتالة أحمد، بوخال أحمد (امقيدش)، حشيفة الشيخ بن معمر، إلى جانب بلحيا محمد، و بلحيا بحوص، اللذين حضرا برفقة بوشريط، وكان قد سبق هذه الدفعات إلى هناك، حيدار بحوص بن عبد القادر، و بن ساسي بحوص (العسلاوي)، ثم حيدار بلحيا، بنية طلب الانضمام إلى جيش التحرير، كما حضر ثمانية رجال آخرون من بينهم ستة، ينتمون إلى بطن أولاد سيدي الحسين، أي مجاذبة ( لعلمهم من بين المذكورين أعلاه).

وتنوزع هذه البعثة على بطون قبيلة أولاد سيدي أحمد المجذوب الغرابية على النحو الآتي: أولاد سيدي محمد، أولاد سيدي الماحي، أولاد سيدي بوبكر، بالإضافة إلى أبناء المجاذبة الشراقة (22)، ثم الشهيد حمو الطيب وأولاده، وأبناء أخيه ( وهم ينتمون إلى أولاد سيدي الشيخ، لكنهم دائما ضمن قبيلة أولاد سيدي أحمد المجذوب منذ القدم، مصاهرة ودارا)(23)، و بعد ذلك تم فرز أفراد هذه البعثة، حيث احتفظ بوشريط ورفاقه بمن رغبوا في الالتحاق بجيش التحرير، من الأصحاء بدنيا الذين ليست لهم أوضاع أسرية تقتضي عودتهم إلى أسرهم، لاسيما وقد كان من بين من حضروا هذا الاجتماع من يعتقدون ، أن المسألة لا تعدو كونها بعض الهجومات، يتم شنّها على الجيش الفرنسي وينتهي الأمر، لكن بفضل شروح



بوشريط و صاحبيه، أدركوا أن المسألة ليست بكل هذه البساطة، وأن الثورة - وقد اندلعت - ما كان لجذوتها أن تنطفئ إلا بعد تحقيق أهدافها، وأن الذي لا تسعفه أوضاعه على الانضمام إلى جيش التحرير، له أن يعود ويواصل نشاطه هناك، في إطار شبكات التنظيم المدني للثورة بكل تأكيد، وعلى هذا الأساس وبعد أن أعطى الصفة العسكرية لمن تم قبولهم، وأعلن عن انضمامهم إلى صفوف جيش التحرير (24)، كلف البقية - التي تقرر أن تعود إلى عسلة وضواحيها - بالشروع في النشاط المدني للثورة فور عودتهم إلى مناطقهم، بعد أن شكّل منهم قيادة لهم، تتكون من، الشهيد بن سليمان حيدار (الإفريقي) رئيساً، والسيد الشلالى العربي نائباً، والفقير راسمال أحمد أميناً عاماً، ( في إفادة الحاج الطاهر بوخال أن الفقير راسمال عين قاضياً، وقد تكون هذه الإفادة أدق من إفادة الحاج بلحيا حيدار في هذه النقطة).

وكان هذا أول تنظيم تعرفه القبيلة في نطاق الثورة، ولو أنه لم يُعمّر طويلاً، بحيث أعقبته صيغة تنظيمية أخرى، وهي التي استمرت كما سنرى (25)، على أية حال فإن حيدار بن سليمان دعا - بعد عودته من لقاء الدويس، - وجوها من قبائل المشرية والعين الصفراء، من أتباع الزاوية روحيا والمرتبطين بها طريقيا، إلى جمع التبرعات لصالح الثورة، وبفضل جهود الجميع وبخاصة أبرز أعضاء البعثة، و ربما بدافع روح المنافسة على العمل الثوري، الذي أحدثته عملية إعادة تنظيم القبيلة في عرشين، أحدهما برئاسة حيدار بن سليمان، والثاني برئاسة الطيباوي الحسن - يكون هذا التقسيم قد حدث في اعتقادنا بعد استشهاد بوشريط - سارت الأمور على أحسن ما يرام، سواء من حيث التجنيد الذي أدى إلى تأسيس وحدات جيش التحرير بجبال القصور الغربية، أو من حيث إحكام التنظيم المدني، بل لقد كان معظم أعضاء البعثة الأولى هاته - ومن التحقوا بهم في ذلك الوقت المبكر - من بين طلائع المجاهدين في تلك الجبال، بل ومن أبرز قادة النواحي، وطلائع كوماندو، وقادة أقسام عسكرية، وقادة مراكز(26)، وأعراش في التنظيم المدني للثورة. إلخ.

### 3 - اكتشاف أمر الزاوية (تغيير مجرى الأحداث):

مقر زاوية سيدي أحمد المجذوب

التي صنعت الحدث في بداية الثورة

بقيادة مقدمها الشهيد الإفريقي



تحدثنا أنفا عن زيارة بوشريط، أما إذا عدنا إلى عسلة، حيث تركنا الأمور وقد سارت على ما يرام فعلا ، ولو أن هذا النجاح لم يتم بمعزل عن مضايقات الاستعمار و بطشه، فقد تم في أواخر عام 1956 ( وقيل في أوائل عام 1957)، اكتشاف أمر الزاوية من طرف عيون الاحتلال، بل و تأكدت لهذا الاحتلال وظيفتها كمركز نشط للثورة، يعبئ الشعب ويجنده ويجمع منه الأموال والسلاح، مما أدى إلى مدهامة مقرها، و حجز أفراسها والعبث حتى بمكوناتها المنزلية، (خلط المواد الغذائية ببعضها، والدوس عليها على اعتبار أنها موجهة إلى جيش التحرير )، بما في ذلك مخازن أعمام مقدم الزاوية، الشهيد بن سليمان حيدار المحاذية لها، ثم اعتقال أخويه الطاهر وإبراهيم، بالإضافة إلى رجلين كانا قد وفدا على الزاوية، في مهمتين ليستا ببعيدتين عن العمل الثوري، أحدهما - و يقال له بالراجع - قد جاء بألة راقنة

( كاتبة )

صورة منزل الشهيد بن سليمان (الإفريقي) وإخوته المبني بمادة الحجارة، وقد بقيت آثاره فقط، وهو يشكل مع منزلي عمه بالحفيان وأخيه محمد، بقايا مجمع سكني، ويظهر خلفه جزء من مقر الزاوية المطلى بالأبيض ( بعد ترميمه وتفعيله من جديد)، وتفصل واحة النخيل كلا من بقايا هذه السكنات، ومقر الزاوية عن بلدة عسلة التي تترأى من بعيد.



من بلدة بوسمغون إلى الشهيد الإفريقي، ربما كانت في طريقها إلى رجال جيش التحرير بطبيعة الحال، بينما حمل الرجل الثاني بريدا من الشلالة القبيلية (27)، مضافا إلى هؤلاء الأسرى الأربعة، المدعو "أبا علي" - الذي كان يساعد إمام مسجد الزاوية سي محمد بن الفيلاي، و يقوم ببعض الشغل في بستان العائلة - وقد عُثر معه على الآلة الراقنة، لأنه كُلف باخفائها خارج المنزل، فتم حجزها حسب بعض المصادر، بينما ترى مصادر أخرى، أنها لم تحجز لأن أبا علي كان قد اخفاها قبل اعتقاله (28)، كما حجزت قوات الاحتلال مديعا كبير الحجم، في نطاق حظر وسائل الاستقبال الإذاعي على الأهالي، للحؤول دون التقاطهم إذاعات الثورة المنبعثة من، مدينة الناظور المغربية، أو تونس، أو القاهرة.

آثار القاعة (غرفة الضيوف) التي شهدت انعقاد كثير من اللقاءات والاجتماعات والزيارات في اللحظات التي وصلت فيها الثورة كتنظيم إلى هذه المنطقة (الصورة).

بل وفي بعض الإفادات الشفوية أن لقاءات عقدت بها منذ أيام الحركة الوطنية، قبل الثورة وخصوصا فترة الانتخابات التي فاز فيها مرشح حركة الانتصار للحريات الديمقراطية

(حزب الشعب سابقا) السيد باقي بوعلام (لاحظ إشارة إلى حياته في الهامش 51 من الفصل الأول).

وتقع هذه القاعة ضمن منزل الشهيد الإفريقي الكائن بجانب الزاوية كما ذكرنا آفا.



و في معتقل المشرية الذي نقل إليه الأسرى الخمسة، ركز المستنطقون في أسئلتهم الموجهة خصوصا إلى حيدار ابراهيم، ( الطالب ابراهيم ) - ربما لصغر سنه - عن طبيعة النشاط الثوري الذي يقوم به رجلان من أعيان بلدة عسلة، وهما عماري محمد (معروف بين عامر)، و بن هلال أحمد، و هما من سكانها الأمازيغ، وعلى أية حال، فقد لبث هؤلاء الأسرى في معتقل مدينة المشرية أربعة أشهر، ثم أفرج عنهم، ويقول مصدرنا، إن "أبا علي"، الشاب الشديد السمرة، الذي تعود أصوله إلى أقصى الجنوب الغربي الجزائري، عاد من السجن بعد أن قام الجلادون بثقب إحدى رجليه من جراء التعذيب (29).

#### 4 - حادثة البطاقة:

في تلك الآثناء، كان الشهيد بن سليمان ( الإفريقي ) - بعد أن لم يتمكن من الانسحاب إلى خارج البلدة، بسبب محاصرة الجند الفرنسي لهضبة " الدمجة " المطلة على مقر الزاوية، والتلال القريبة منها،

قد اضطر إلى الانسياب مع واحة الوادي صعودا نحو قصر عسلة، لينضم إلى حشد السكان الذين كانوا ينتظرون ما ستقوم به قوات الاحتلال التي أمرتهم بالتجمع للتحقيق معهم، وبالفعل فقد انتهى إلى هذا الحشد من السكان، الذي تجمّع أمام مجموعة من العسكريين للتحقيق في هويتهم، والغريب أن هذه السلطات لم تسأل السكان في تلك العملية، إلا عنه هو نفسه، أي إلا عن ابن سليمان حيدار، لأنه أصبح ملاحقا من طرفها.

ولأن هذا الأخير كان قد أخفى بطاقته، أو لم يصطحبها معه أصلا، لأنها كانت ستكشف عن اسمه وعن هويته، في حال ما إذا اطلعت عليها القوات الفرنسية، بادر المرحوم عماري محمد المعروف بين عامر(وكان ممرضا للقرية قد مكنته إجادته للسان الفرنسي، من التدخل في كل ملمة تلم بالبلدة وأهلها)، بادر بإنكار وجود الرجل، موجها كلامه للفرنسيين: (( هذا الرجل الذي تطلبونه لا يوجد هنا بعسلة، إنه يوجد بسوق العين الصفراء))، و لأن الأهالي أمروا بإظهار بطاقتهم الشخصية لرجال التنقيش، لم يكتف السيد بن عامر بذلك الموقف الشجاع الذي اتخذه، بل جاء إلى ابن سليمان ببطاقة هوية، قيل إنها بطاقة ابنه عماري عبد القادر الذي سبق له أن استشهد، كان قد حملها معه من باب الاحتياط للضرورة، وقيل بل إنه جاء بهذه البطاقة من عند السيد المشري محمد، أو أوعز إليه سرا بإعارتها إلى ابن سليمان ( الإفريقي) ففعل.

ولأن البطاقات لم تكن تحمل صورا يومها، بل كان يُراعى فيها فقط عامل تقارب السن بين حاملها وصاحبها الأصلي - للتمويه حتى لا يكتشف أمرها (30) - تمكن السيد بن سليمان من إظهار تلك البطاقة المستعارة للضباط الفرنسيين، الذين كانوا قد جمعوا الناس لا لشيء، إلا للقبض عليه هو نفسه، وللتاريخ فإن موقف هذين الرجلين عماري والمشري، يستحق تحية إكبار وتقدير، وهما من سكان بلدة عسلة الأمازيغ لأن أهل البادية لم تكن قوات الاحتلال، قد ساقتهم إلى محتشد القرية بعد.

وسيمضي بعض الوقت على هذه الحادثة - وربما على شبيهاتها في أمكنة أخرى - لتصدر قيادات جيش التحرير أمرا، بسحب هذه البطاقات من المواطنين الجزائريين، وهكذا سيختلط أمر هويات الأشخاص على قوات الاحتلال، فلا تعرف من تحتجزه، ولا من تتركه في حال سبيله، لكن العدو المحتل لم يستسلم أمام تلك العملية، بحيث كان مخططه القائم على كتم الأنفاس لا يعرف الحدود، فقد تضمن هذا المخطط من الإجراءات، إقامة المكاتب الإدارية الاختصاصية sas التي أخذت تتأسس بمختلف القرى، كامتداد

وكبديل لما كان يُعرف قبلها بالمكاتب العربية، ثم إنشاء محتشدات خاصة بالأهالي، وهو ما قلب الوضع كما هو معلوم ولو إلى درجة ما، لأن عبقرية الثورة كانت دائما بالمرصاد لكل مستجد.

## 5 - مرحلة اللجوء إلى البادية:

وأمام ذلك الوضع، ورغم أن أخويه الطاهر وإبراهيم قد أطلق سراحهما، بتدخل لدى السلطات الاستعمارية قام به أعيان المشرية، بعد أن اتصل بهم الشهيد حيدار المجذوب، كما يضيف مصدرنا، فإن السيد بن سليمان - الذي ظل ملاحقا من قبل سلطات الاحتلال - قرر الرحيل إلى البادية، وهكذا غادر بلدة عسلة بعائلته، و لأنه لا يمتلك خيمة يمكن الإيواء إليها، اتجه إلى مضارب " أولاد الأبيض"، المقيمين بمنطقة " قبرعجاج " (31)، وهناك أسكنه - وعائلته - ابن خالته، الراحل الريح العربي معه بخيمته، و بهذا المكان زارهم المجاهد راسمال الطاهر، المعروف بفیصل، فاشترى منه الإفريقي مديعا كبير الحجم كان معه، كما يضيف مصدرنا.

غير أن العائلة لم تلبث هناك إلا قليلا، إذ سرعان ما عادت إلى بلدة عسلة، بعد أن تبين لها - خطأ - أن الأمور قد هدأت، فحلّت بمنزلها من جديد، وهو مقر الزاوية الذي تفصله عن قصر عسلة واحة الوادي، ( لاحظ الصورة أعلاه )، لكن ما أن خيم ظلام الليلة الأولى، حتى أخذت تُسمع جلبة بين الحين والآخر، تشيرها دوريات عسكرية راجلة قريبا جدا من المنزل، بل تمركز بعض الجنود بأعلى سطحه وذلك طوال الليل، في شكل كمين نصبته قوات الاحتلال للقبض على الشهيد الإفريقي، غير أن هذا الأخير وتحسبا لكل ذلك، لم يعد إلى المنزل مع العائلة، هذه الأحداث المستجدة حفزت العائلة من جديد، على مغادرة منزلها مع الصباح الموالي، لكن هذه المرة نحو إحدى سكنات قصر عسلة، بدل المكوث بمنزلها المنفرد أو البادية، فلجأت إلى السيد موريد أحمد بن بوداود رحمه الله ( وهو من أمازيغ عسلة )، الذي خصها بجناح من سكنه بكل سعة صدر، وروح أخوية عالية، غير أن مقامها به لم يطل أيضا، حيث شدت الرحال ثانية نحو البادية، وقد جاء تحركها في الوقت المناسب، إذ كانت سلطات الاحتلال قد أخذت تتقصى معلومات عنها، وعن المكان الذي تكون قد لجأت إليه.

و هكذا عادت العائلة إلى حيث كانت فقضت مدة شهرين، إلا أنها وشعورا منها بوجود عدم إطالة المقام بمكان واحد، خشية اكتشاف أمرها كعائلة ملاحقة، تتسع دائرة البحث عنها يوما بعد يوم، سرعان ما استقبلت - بمنطقة " نيف العقاب"، غربي عسلة - خيمة صغيرة كان قد أرسلها إليها، السيد سليمان بن إبراهيم حيدار، عم الشهيد الإفريقي، وذلك مع ابنه الميلود، فانتقلت العائلة منفردة إلى منطقة " شقة فروز" من الناحية الغربية لهذا الجبل، حيث اتخذت من تلك الخيمة مأوى لها، ولم تلبث العائلة هناك منفردة إلا أياما قليلة، حتى التحق بها السيد حيدار سليمان بعائلته.

وفي هذه الأثناء زارهم الشهيد حيدار بحوص، الذي كان قد سبق إخوته إلى الالتحاق بصفوف جيش التحرير، وهو أخو الإفريقي، وفي هذا الشأن أضاف مصدرنا، نادرة تفيد بأن سي بحوص و أخوته وأبناء عمه، قضوا ليلتهم تلك في سمر، وكان معظم حديثهم تندرا ببندقية طويلة، كان قد جاء بها، وقد أعجبوا لطولها، ومع فجر اليوم الثاني غادر سي بحوص عائدا إلى مواقع جيش التحرير، هذا وأشار مصدرنا - كشاهد عيان - إلى أن معركة كانت قد نشبت في تلك الأيام بجبل عيسى القريب منهم ، تدخلت فيها طائرات ضخمة.

وقصد الابتعاد عن مواقع تمركزات القوات الفرنسية، قرر الإفريقي وعمه سي سليمان، الرحيل ليلا إلى جنوبي جبال القصور، و التوغل في الصحراء ما أمكن، وكان الفصل شتاء (32)، وفعلا قد ارتحلوا و ما أن نزلوا بالمكان المسمى " الحجرات الطوال "، حتى أحاط بهم عسكر فرنسي، لكنه اكتفى بحجز أفراسهم، وعندما أظهر لهم السيد سليمان بن ابراهيم تصريحاً رسمياً بالتنقل كان معه، أفرجوا عن الأفراس، وزارهم بهذا المكان جنديان فالتقيا حيدار الطاهر، وحيدار المجذوب، فسألتهما عن موقع ثكنة الجيش الفرنسي، فأدرك الطاهر والمجدوب على الفور، أنهما فاران من جيش التحرير، و يريدان الالتحاق بالجيش الفرنسي، فتم إلقاء القبض عليهما، وإعادتهما إلى أقرب موقع لجيش التحرير، كما يضيف المصدر.

ولم يمض كثير من الوقت على تلك الحادثة، حتى زارهم الشهيد حيدار بحوص رفقة مجاهد آخر، وكانا يبحثان عن الجنديين الفارين، فأبلغا بأمر إعادتهما إلى الجيش، ثم واصلت العائلتان مسيرهما، وبمنطقة " بوردود " ( وهو مضيق صخري يؤدي إلى حمام عين ورقة المعدني من ناحية الشمال، ومعنى كلمة بوردود (رجع الصدى)، حلقت فوق قافلة الرحيل (المرحول) طائرات فرنسية، ثم طوقتها مجموعة من الجند الفرنسي، غير أن الجند الفرنسي لما تأكد من وجود رخصة التنقل معهم، أخلا سبيل القافلة، التي أنهت هذه المرحلة من رحلتها، لتحط رحالها بأسفل جبل " شماریخ " من الناحية الغربية، و هناك مرت بها ليلا قوات لجيش التحرير، اضطرت العائلتان مع الصباح إلى إزالة آثار أقدام المجاهدين من باب الاحتياط، خوفا من أن يكتشفها الجيش الفرنسي في حالة قدومه.

### مضيق بوردود



وطوال هذه الرحلة كان الإفريقي و أخواه، الطاهر و ابراهيم - بصفتهما ملاحقين من طرف العدو - يتبعون عن مواقع

الخيم ويختفون نهارا، ثم يلتحقون بالعائلتين ليلا، وخلال المكوث بذلك المكان مؤقتا، كانت النساء يجهزن الخبز يوميا، لينقله كل من الإفريقي و حيدار المجذوب إلى قوات جيش التحرير المتمركزة بجبل شماریخ



أنداك، وكانت العائلتان تتبضعان - وأيضا تزودان بالمؤن الموجه للمجاهدين - من بلدة مغرار، باعتبارها أقرب حاضرة إلى ذلك المكان، ومهما يكن من أمر، فإن المقام لم يطل بالعائلتين هناك، حيث انتقلتا إلى منطقة تُدعى " الخرواعة " كما يفيد مصدر اخر(33)، إلى أن تقضى فصل الشتاء عليهما بهذا المكان، ففقلتا عائدتين إلى مضاربهما التقليدية بضواحي " عسلة "، حيث نزلتا بمنطقة " سطح بالقراد "، قريبا من بلدة عسلة، وقبل ذلك كانت قد طرأت بعض الأحداث الهامة، بعضها حضره الشهيد الإفريقي، كحادث نقل أغنام بلدة بوسمغون إليه بعد هجرة سكانها (كما سنرى)، وهجوم الجيش الفرنسي على جبل تانوت المجاور الذي جاء رد فعل على واقعة بوسمغون حسب الرواة، ( لم يشارك الشهيد الإفريقي في هذه المعركة ).

فلقد كانت القوات الفرنسية قد شنت هجوما على جبل تانوت القريب، حيث ظل الرصاص يلعلع بينها وبين قوات لجيش التحرير كانت هناك، فاستشهد من استشهد، وانسحب من انسحب، وزار العائلتين بهذا المكان " سطح بالقراد "، المجاهدان حيدار العربي بن الطيب، وهرماك محمد، ليلا و معهم خمسة عشر مجاهدا من بينهم معطوبون وأصحاب، حيث طالبا بكتمان أمرهم، فصار حيدار المجذوب و حيدار أحمد بن محمد، يأتينهما بالطعام لمدة 15 يوما، وكان من بينهم جريح في حال الخطر.

وتكتمل هذه الرواية بإفادة أخرى (34)، تفيد بأن هذا المجاهد الجريح، كان يُدعى حبيبي، وقد تم إخفاؤه بالجبل الذي يقال له، " طارة برام" (35)، وكان حيدار أحمد بن محمد يحمل إليه الطعام، و يضيف مصدرنا، ثم جرى إلى هناك، بجندي فرنسي كان أسيرا، ولما كان أحمد يأتيه بالطعام، كان يحاول استغلال صغر سنه، فيسأله عن المكان الذي يوجد به " الفلاحة "، أي المجاهدون، و يستطرد مصدرنا، أنهم - وهم بمكان سطح بالقراد هذا - ، تلقوا نبأين مفجعين يتعلقان باستشهاد كل من حيدار بحوص، وحيدار محمد ابني عبد القادر، وهما أخوا الشهيد الإفريقي ( استشهدا عام 1958 رحمهما الله ).

## - زيارة القيادي قايد أحمد إلى الشهيد الإفريقي:

**سياق تاريخي:** حينما كلفت قيادة الثورة السيدين، الشهيد العقيد لظفي ( 1934 - 1960 )، والراحل قايد أحمد (35م)، بتنظيم المنطقة الثامنة، ابتداءً الأول نشاطه متوجها إلى جبال العمور (1956)، لأنه دُعي إلى هناك لحاجة الثورة، بينما استهل قايد أحمد مهمته انطلاقا من الحدود الغربية، مرورا بمنطقة جبال القصور إلى منطقة جبال العمور - لاحظ حياته - و أثناء عبوره هذا، مر في طريقه بالشهيد حيدار بن سليمان ( الإفريقي ) بهذا المكان المسمى " سطح بلقراد "، قادما من العين الصفراء، التي يكون قد جاءها من مقر قيادة المنطقة الثامنة (فيقيق المغربية ؟)، وكان في طريقه إلى الجهة الشرقية ( البيض و أفلو

(، لإتمام تنظيم الهياكل القاعدية للمنطقة، حيث سنجده يجتمع في مرحلة لاحقة من هذه الرحلة العملية، بقيادة الثورة في منطقة البيض بالمكان المسمى " التواليل، ( يقع ببلدية الكراكة حاليا ) (36).

وسيقص علينا جانبا من هذه الزيارة بتفصيل، الحاج بوبكر حيدار الذي رافقه كدليل، إلى غاية مغادرته تراب " عسلة"، ففي هذه الزيارة الميدانية مر الرجل بعدة مراحل، يحدثنا مصدرنا عن واحدة منها، لم تخل من صعاب ومفاجات، نتيجة تغلل العدو الفرنسي و عيونه بالمنطقة، فقد كان والد مصدرنا وهو الشهيد حيدار محمد بن عبد القادر(لاحظ نبذة عن حياته )، يقيم بمنطقة " الحسي" غربي عسلة، و بها أُلقي عليه القبض للمرة الثانية من طرف القوات الفرنسية لنشاطه الثوري، ولكون المطلوبين ( الإفريقي و الطاهر وبحوص وإبراهيم ) هم إخوته، ويقول مصدرنا إنه كان قد اعتقل في حملة كانت، قد طالت الشهيدة الشاوش مباركة، زوجة المجاهد حفيان عبد السلام قبيل ذلك، الشهيدة التي لفظت أنفاسها من جراء التعذيب الوحشي ( سنورد قصتها بتفصيل في الفصل الخاص بالتراجم)، ونعود إلى سي محمد حيدار فنقول، و بعد اعتقاله قرر ابنه بوبكر الرحيل بالعائلة إلى منطقة " سطح بالقراد"، حيث أصبح يقيم الإفريقي وعمه سي سليمان حيدار بعد عودتهما من الجنوب ( جنوب جبال القصور طبعاً).

تحدث مصدرنا عن هجوم الجيش الفرنسي على جبل تانوت الذي أعقب هجوم جيش التحرير على ثكنة بوسمغون (37)، مما اضطر سكانها إلى هجرة قصرهم نحو الضواحي، خوفا من انتقام قوات الاحتلال، فتمركزوا بمنطقة "تيزرقين" وما تلاها غربا إلى غاية جبل تانوت، تاركين حقولهم و مواشيم بدون حراسة، فأخذت مواشيم ترعى بضواحي القصر نهارا، وتعود إليه ليلا بصورة تلقائية، فقرر جيش التحرير التكفل بهذه المواشي في انتظار استقرار الأمور، فجاءوا بها ذات ليلة إلى حيدار بن سليمان(الإفريقي)، ليتدبر أمرها إلى غاية عودة السكان إلى قصرهم، فقام هذا الأخير بتوزيع تلك الأغنام على مجموعة من الناس ليرعواها، وقد كنتُ من بينهم - يضيف مصدرنا -، ولما هدأت الأوضاع هناك عاد الكثيرون من سكان بوسمغون إلى قصرهم، بينما فضل آخرون البقاء خارجه إلى زمن أطول، خوفا من نقمة السلطات الاستعمارية، و عندئذ أوفد مسؤولو جيش التحرير، مجاهدين اثنين لاستلام الأغنام من السيد حيدار بن سليمان (الإفريقي) وهما، محمود بن بدة، و البشير بن دحو، فقاما باحصائها وهو برفقتهما، ثم عادا بها إلى قصر بوسمغون (38)، فتزامنا مع تلك الحادثة ( التي اشتهرت بهجرة بوسمغون ).

وقعت أولى معارك جبل تانوت - كما أسلفنا، ولعلها جاءت كرد فعل لعملية الهجوم على بوسمغون - (هذا استنتاج من خارج المصدر)، و بالمكان المسمى " سطح بالقراد"، جاءنا - يقول السيد بوبكر - رجل قيادي في جيش التحرير، يقال له " قايد أحمد" في زيارة عمل إلى حيدار بن سليمان (الإفريقي)، وكان السيد قايد أحمد، قائد ناحية (39)، ففضى عند الإفريقي أياما في مراقبة ومحاسبة إيرادات الاشتراكات، والتبرعات والمنح وغيرها.

**التنقل الصعب:** وكان لسي بوبكر - محدثنا - فرس، تركها أبوه الشهيد محمد بن عبد القادر ،

فطلب منه الإفريقي أن يجهزها للسفر، لأنه سيصطحب السيد قايد أحمد كدليل، إلى مضارب أولاد بومدين، بمنطقة " كَبَاشَة " شمالي عسلة، وأوصاه بالحذر كل الحذر، فأدرك أهمية الرجل الذي سيرافقه ، امتطى السيد قايد صهوة الفرس وسار سي بوبكر إلى جانبه راجلا ، ولما بلغا المكان المسمى " ثنية الصفا "، اضطرا إلى السير عبر سفح الهضبة يتبعان الظل خشية اكتشافهما، لأن القمر كان قد تربّع على كبد السماء، وهنا يجب فتح قوس لنشير إلى ما شاهده الإفريقي ورفاقه ممن تخلفوا بالخيم، حيث شاهدوا مجموعة من الأشباح قد برزوا من " ثنية الصفا " بالذات وقد اشعل أحدهم سيجارة، وعلى إثر ذلك داهم عسكر فرنسي الخيم التي غادرها الرجال، ( الراوي والراحل قايد أحمد)، وقام بتفتيشها تفتيشا دقيقا دون أن يسأل عن أحد بعينه.

واصل محدثنا ومرافقه سيرهما إلى أن بلغا " ثنية مصران " مع مطلع الفجر، وعندها قال له السيد قايد أحمد: ((إنني أجهل هذه الأرض، لكن خذني إلى أي كهف أو واد، نكمن فيه إلى أن تُشرق الشمس، و يتضح أمر الطريق))، فاتجه به إلى " جرف الظرابنة "، حيث ترجّل من على الفرس، واستراح إلى أن أشرقت الشمس بما فيه الكفاية، و هما يتحسسان كل حركة أو شيء غريب قد تستقر عليه العين ، ثم استأنفا طريقهما على الصورة التي كانا عليها في السابق ، فبلغا أولاد بومدين، وكانوا في خيمتين، خيمة السيد بومدين بوعمامة (40) وخيمة أخرى، فنادى المرافق من بعيد، (الراوي كما درجت عادة البادية ) فأقبل عليهما سي بوعمامة، فرحب بهما وساروا معا، وفي الطريق إلى خيمته، اقترب سي بوعمامة من سي بوبكر، و سأله في أذنه: (( من هذا الرجل ؟ ))، فقال له: " إنه يدعي قايد أحمد، وقد جئت به موفدا من السيد بن سليمان الإفريقي إليكم"، ولما بلغوا الخيمة ترجل السيد قايد أحمد ودخلا، فقدم لهما الشاي، لكن ما أن شرعا في تناوله، حتى صاح سي بوعمامة بأعلى صوته، وقد كان خارج الخيمة كما لو أنه يحرس: (( فرنسا معكم )) (41)، فهرعا نحوه وقد أخذوا يشاهدان سيلا من مدرعات، وعربات نقل جند (من جيب و أضخم)، وهي مقبلة من الجنوب أي من ناحية عسلة ، فأشار سي بوعمامة إلى شعبة ( رافد مائي صغير) قائلا: "أسلكا هذه الشعبة إلى منتهاها، حيث يوجد كهف فاخترنا فيه، فان لحقتُ بكما القوات الفرنسية فقاتلا، وإن لم تأتكم، فاتجها نحو سفح جبل ( المالحة ) (41 مكرر) فهو قريب من هناك"، فاتبع الرجال تجويف الشعبة إلى غاية كهف هناك، والسيد قايد أحمد يقول لسي بوبكر بين الحين والآخر: "النتفت، قد تأتي قوة ما في أثرنا من يدري؟"

أما الجند الفرنسي فكان قد جاء إلى الخيمتين، ففتشتهما ومشط ما حولهما، ثم اتجه رتل من عربات " الجيب " إلى أقرب جبل، وهو جبل المالحه، في حين انصرفت مجموعات من العسكر إلى "عين اللاّفعي " مشاة، ومع منتصف النهار أقبل الجند إلى " جرف كباشة " ( شبه هرم طيني ضخّم )، وطوال ذلك الوقت كان السيد قايد أحمد يقول لمرافقه: (( لا تطل برأسك مباشرة، فقد يراك القادم وأنت لاتراه، بل أنظر فقط من خلف سعف الحلفاء))، قال سي بوبكر فأخذت نصيحته كقاعدة في الحذر، ومكثنا على تلك الحال، و فجأة رأى سي بوبكر شخصا وهو مقبل عليهما، فقال له السيد قايد أحمد لما أشعره بذلك: (( ركّز جيدا لعلك تعرف من يكون))، فقال له: " إنه صاحب الخيمة، إنه سي بوعمامة"، وقد جاءهما بطعام قد لّفه بمنديل أكل، فبقيا في ذلك الكهف إلى أن حل مغيب ذلك اليوم وسي بوعمامة معهما، ثم انصرف قائلا: (( متى رأيتماني وقد صعدت إلى قمة جرف " كباشة " فأقبلا إلى الخيمة، لأن صعودي إشارة إلى أن العسكر قد رحل نهائيا، وإن لم ترياني صعدت " كباشة "، فاعلما أن الأمر لايزال خطيرا، فامكثنا حيث أنتما)). لكنه - لحسن الحظ - ما أن عاد حتى رأياه وقد صعد أعلى " جرف كباشة " بكل اطمئنان، فعادا إلى الخيمة بعد الغروب، فسألاه عن الفرس، فقال: (( تركتها بدون رباط لتبتعد عن الخيمة، فأنا لا امتلك في ممتلكاتي المقررة عند الفرنسيين إلا فرسا واحدة، وخشيت أن يجد العسكر فرسين في حوزتي، فيسألني عن سر وجود الثانية))، غير أن سي بوبكر لم يبتعد كثيرا حتى وجدها بالقرب من حقول الحبوب التي تعرف بها منطقة " مصران "، عندها زوّد سي بوعمامة هذا الأخير بطعام الرحيل، فقال له سي بوبكر، وهو يودعه: (( يقول لكم سي بن سليمان ( الإفريقي ) أوصولوا السيد قايد أحمد إلى خيم أولاد عبد الله، وأوصوهم بالحذر))، وأولاد عبد الله مجاذبة أيضا من بطن أولاد سيدي الحسين، ولقبهم بوبكري ( لاحظ معي أن سي بوبكر لم يكتشف سي بوعمامة بالوجهة المستقبلية للسيد قايد أحمد في أول لقاء، بل ترك ذلك إلى قبيل انصرافه، وهذا أيضا من أساليب الحذر التي حفظها ناشطو الثورة العظيمة). ولما عاد سي بوبكر وجد خيمهم بمنطقة "سطح بالقراد"، وقد داهمها العسكر الفرنسي ومشطها في غيابه مشطاً دقيقاً كما أسلفنا، (انتهت إفادة راوي الحدث).

(بقي أن نشير إلى أن مصدرنا لم ينعت السيد قايد أحمد، بالاسم الرتبي الذي اشتهر به خلال الثورة، وهو اسم الكوماندا سليمان أو الرائد سليمان، مما يثبت أن هذه الزيارة جاءت سابقة لزمن ترقيته إلى رتبة رائد)، وهذا أيضا صحيح لأن الشهيد لطفي حين عُين قائدا للمنطقة الثامنة في جانفي 1957، كان لايزال برتبة نقيب (لاحظ حياته في كتاب " من شهداء ثورة التحرير " إصدار المنظمة الوطنية للمجاهدين)، فلا يعقل أن يكون نائب قائد المنطقة رائدا و قائدها نقيباً، لأن النائب عادة لا يكون أعلى رتبة من قائده .

## تعليق واستنتاج:

يتضح من هذه الإفادة أن الجانب الفرنسي، كان قد اشتم رائحة دخول شخصية هامة إلى المنطقة ، شخصية في ثقل نائب قائد المنطقة الثامنة (أي نائب الزعيم لطفي بالذات)، غير أنه - ولو حدد مواقع تحركها كما يبدو - فإنه لم يحدد بالضبط مواقيت هذا التحرك، رغم أنه ظل غير بعيد من هذه المواقع ، بل وأبى إلا أن يتواجد عسكريا على امتداد مجال تنقلها، كمنطقة " بالقراد " ( مكان انطلاقها)، ثم " ثنية الصفا " (طريق عبورها)، وأخيرا منطقة " كباشة " (مكان وصولها )، ومع ذلك لم يعثر عليها بفضل اليقظة وسرعة الحركة، و تقدير زمن التحرك، وهي العوامل التي امتازت بها الثورة الخالدة.

## الفصل الثالث: عمليات عسكرية ذات صلة سبقت ملحمة "

### فروز":

وسنقصر القول على العمليات التي شارك فيها، إما الشهيد الإفريقي مع أحد خوته، وإما شارك فيها أحد إخوته، كعمليات تتوفر على معلومات حولها عكس غيرها، ولذلك وصفناها بأنها عمليات ذات صلة:

#### 1 - اشتباك حجرة واقف:

ينفرد أحد مصادرنا الشفوية (42) بالقول، إن أول اشتباك حضره الشهيد بن سليمان حيدار المعروف بالإفريقي، هو ذلك الذي جرى بجبل بني سمير (جبل الثائر التاريخي محمد ولد علي)، وبالضبط في المكان المسمى "حجرة واقف"، وقد شارك فيه إلى جانب الإفريقي كل من، الشلاللي محمد و راسمال الطاهر (فيصل)، وراسمال عبد القادر (المعروف بالسندوفة)، وفيه جرح السيد محايي أحمد، و استشهد سي منصور (43).

#### 2 - كمين وادي ميمونة (1958):

راسمال الطاهر المعروف بـ (فيصل)، مجاهد مشهور سمحت له خبرته العسكرية في الهند الصينية، بان يصبح قائدا كفتا ومغوارا في قيادة قوات (الكوماندو) إبان ثورة التحرير على الحدود الغربية، في منطقة جبال القصور أولا (غربي العين الصفراء)، ثم بشمالها (ضواحي تلمسان)، إلى أن استشهد في معركة جبل عصفور قرب هذه الأخيرة رحمه الله، (لاحظ حياته بالفصل الخاص بالتراجم)، هذا الرجل سيتردد اسمه في هذه القصة التي تتناول ظروف استشهاد الشهيد حيدار بحوص بن عبد القادر، (وهو أخو الشهيد الإفريقي)، وكان أحد أفراد الكوماندو الذي كان يقوده فيصل رحمهما الله معا، ذلك أن الجيش الفرنسي كان قد أرسل برتل من عربات نقل الجند (نوع 6/6)، إلى مكان يقع بين مدينة العين الصفراء و"بن يخو"، خلف ثنية "وادي لآخرة"، (يعرف بوادي ميمونة).



و قد ظهرت هذه العربات فجأة، ثم اختفت في المكان المشار إليه، لكن اختفاءها بهذا المكان لم يطل إذ سرعان ما شوهدت عائدة من حيث أتت، الأمر الذي بعث شكوكا في نفوس المجاهدين من رجال الكوماندو الذين كانوا يراقبون تحركاتها عن بعد، ( مجيئها، اختفاؤها، ظهورها من جديد ثم عودتها)، وقبل أن تظهر هذه العربات الناقلة للجنود، كان الشهيد الطاهر راسمال (فيصل) قائد الكوماندو، قد انصرف في مهمة إلى جهة غير بعيدة، لكن ما أن انفصل عن رفاقه لمدة، وشاهد المجاهدون العربات العسكرية، قد أقبلت إلى ذلك المكان؛ ثم اختفت لبرهة من الزمن، ثم استأنفت طريقها عائدة، حتى أقبل في هذه اللحظة أحد الضباط (لعله من رؤساء الأفواج) طالبا حضور أربعة من رجال الكوماندو وهم، حيدار بحوص والشاوش الطيب (وهما مجدوبيان)، ورجلان من قبيلة الميرينات (بطن من العمور)، وقد اختارهم (44) للياقتهم البدنية، وحيويتهم وتجربتهم العسكرية، ثم أمرهم بالتنقل إلى المكان الذي اختفت فيه عربات نقل الجيش الفرنسي، تلك البرهة من الزمن قبل أن تعود.

وذلك للتأكد من خلو ذلك المكان من أية قوة، تكون هذه العربات قد خلفتها هناك، وكان السبب من هذا الإجراء هو التأكد من خلو الطريق من أية كمائن فرنسية، فانطلقوا يغدون السير إلى أن بلغوا المكان، وكان الغالب على ظنهم، أن كل ما تكون قد فعلته العربات الفرنسية، لا يزيد عن قيامها بعملية استطلاع روتيني ثم عادت أدراجها، لكنهم فوجئوا فور وصولهم إلى مشارف المكان، بوابل من الرصاص ينهمر عليهم من كل جانب، ليستقط على إثر ذلك ثلاثة منهم شهداء، ( حيدار بحوص و المرينيان )، بينما أصيب الشاوش الطيب إصابة بليغة، قبل أن يتم اعتقاله، ولما علم (فيصل) بالحادثة إثر عودته استفسر قادة الأفواج، بل وعنف الذي أمر بهذه المبادرة الفاشلة، غير المدروسة أشد التعنيف، لأنها أودت بحياة مجموعة من خيرة رجال الكوماندو .

### 3 - معركة خناق التربة (أكتوبر 1958):

لعلها من المعارك الأولى التي دارت رحاها في المحيط القريب جدا من بلدة عسلة، ( حوالي 7 كيلومترات جنوبا)، وهذا المكان عبارة عن انجراف أحدثه الوادي ( المالح ) بفعل انحنائه نحو الجنوب، كانت قوات الاحتلال الفرنسي تصدر أوامرها إلى سكان البادية في كل مرة، ليقتربوا بخيمهم شيئا فشيئا نحو بلدة "عسلة"، وكانت نيتها المبيتة هي تنظيمهم في محتشد محاصر بالأسلاك الشائكة تحت الحراسة المشددة، ليسهل وضعهم تحت عيونها، حتى يتم الفصل بين رجال الثورة في الجبال، وعمقها الشعبي بصورة نهائية، فأخذت الخيم تقترب من كل الأنحاء باتجاه البلدة، وكان من بين المقترين رويدا رويدا العوائل التي تحدثنا عنها، حيث انتقلت من موقع "بالقراد" إلى منطقة أقرب من "عسلة"، هي منطقة

" بوغرة "، بحيث لم يعد يفصل تلك الخيم عن "عسلة"، إلا الوادي (المالح) ( حوالي 3 كيلومترات)،. وهناك أبلغوا من طرف جيش التحرير أن المجاهدين بـ " خناق التربة " ينقصهم التموين، فحمل السيدان حيدار الميلود وحيدار بوبكر تموينا، واتجها نحو المكان، ليجدا حوالي 15 رجلا، ذكر منهم سي بوبكر، راسمال عبد القادر، وحفيان التومي وأخاه عبد السلام، وحيدار المجذوب، وبالماحي معمر، والطياوي الحسن، ومولاي عمر، وحيدار بن سليمان، وبوسحابة ابراهيم، أما حيدار العربي فقد كان على الحراسة. وعند وصولهما، كان حيدار بن سليمان وراسمال عبد القادر، يتمازحان ويضحكان، فطلب ابن سليمان من سي بوبكر، تقديم موقع الدواب التي نقلها عليها المؤمن ربما من باب الاحتياط، فقام حافيا في طريقه إليها وما أن بلغها حتى فاجأتهم ثلاث طائرات، (2 من النوع الذي كنا نسميه بالصفراء، وثالثة استكشافية من النوع الذي كنا نسميه "لاموران"، يقول المصدر)، فصاح سي العربي وقد كان على الحراسة: "فرنسا معكم". فخرج بوبكر والميلود نحو قطيع من العجول كان قريبا منهما، وذلك بنية التمويه، أما المجاهدون فأخذت تطاردهم إحدى المقاتلات وتقصفهم، ثم دخلت قوة مشاة فرنسية في تبادل لإطلاق النار معهم، و فجأة غيرت الطائرة اتجاهها لتطاردهم الميلود وبوبكر بدورهما، إلى أن تمكن الجند الذي كان يسعى خلفهما من اعتقالهما، وعند الاستنطاق أنكرا علاقتهما بالمجاهدين ومعرفتهما بهم، متظاهرين بأنهما رعاة عجول لا أكثر، فتم أسرهما ونقلهما إلى ثلاثة معتقلات هي على التوالي: "العين الصفراء"، ثم "الشلالة"، وأخيرا اعادتهما إلى "عسلة".

أما الجانب العسكري، فلم يتطرق إليه مصدرنا بتفصيل، نظرا لانفصاله وزميله عن المجموعة التي تبادلت إطلاق النار مع القوات الفرنسية(45)، ومن محاسن الصدف أننا التقينا فيما بعد (2014/11/26)، بأحد المجاهدين الذين عاشوا واقعة خناق التربة، بصفة مباشرة كعسكريين، وهو الملازم الحاج ابراهيم بوسحابة (45 مكرر)، الذي وصف لنا الجانب العسكري من هذه المعركة، وذلك على النحو الآتي: كان عدد المجاهدين - حسب محدثنا - 18 رجلا، ورد منهم في سياق حديثه الشهداء والمجاهدون الأتية أسماءؤهم: راسمال عبد القادر، وحيدار بن سليمان (الإفريقي)، وحفيان عبد السلام، ومولاي عمر، وحيدار الطاهر، و الزاوي الشيخ، و حيدار العربي (كان على الحراسة)، و حيدار إبراهيم، و حيدار المجذوب ( هذا الأخير حضر بصفته مسبلا)، بالإضافة إلى قادة أعراش ومسبلين كما قال، ولعله كان يعني حيدار الميلود وحيدار بوبكر كما أسلفنا أنفا.

قال المتحدث كنا بخناق التربة، فهاجمتنا قوات فرنسية من جهات ثلاث، من جبل " ابرام " شرقا، ومن " بطمات مغنية " غربا، ومن أسفل الوادي المالح (من اتجاه بلدة بوسمغون) جنوبا، فما كان علينا إلا أن ننسحب شمالا، عبر مجرى الوادي صعودا باتجاه بلدة عسلة، وكنتُ - يقول محدثنا - أسير إلى جانب راسمال عبد القادر في مؤخرة رفاقنا، فالتفت هذا الأخير فجأة إلى الخلف، وصوّب بندقيته نحو القوات الفرنسية، فما كان مني إلا أن فعلتُ مثل ما فعل، لكنه عدل عن ذلك قائلا لي: "إنهم لا يزالون على مسافة بعيدة منا، بحيث لا يمكننا إصابتهم". ثم لحقنا برفاقنا وقد اتجهوا نحو قطعان ماشية كانت ترعى هناك نظرا

لكثرة عددها، ثم توزعنا على أشجار الوادي، بحيث اختبأت أنا وحيدار العربي داخل مجموعة أشجار ملتفة، بينما اختبأ بأشجار أخرى قريبة منا، حيدار بن سليمان (الإفريقي)، رفقة أخويه الطاهر وإبراهيم، أما حفيان عبد السلام، فكان قد انسحب منذ البداية نحو جبل " ابرام " شرقاً، متبوعاً بمولاي عمر، غير أن هذا الأخير ( أي مولاي عمر)، كان قد رصدته العسكرة الفرنسي و الحركي، فانطلقوا خلفه، ولما أيقن من أنهم أصبحوا على مقربة منه، التفت نحوهم وأطلق عليهم النار فأسقط حوالي أربعة منهم بين قتيل وجريح، أما حفيان عبد السلام فكان قد توغل في الجبل، وإلى هنا أقبلت طائرة عمودية ( هيليكوبتر)، فاختلت القتلى والجرحى، بينما لم يسقط من المجاهدين أي شهيد. (انتهت إفادة الملازم إبراهيم بوسحابة).

## تكملة لرواية هذه المعركة:

في صفحتها المعنونة " عمليات ومعارك العين الصفراء "، تقول جمعية دارالشباب - القصر - العين الصفراء، بخصوص معركة "خناق التربة"، إنها حدثت في شهر أكتوبر من عام 1958، وشارك فيها 11 مجاهداً، دون أن يستشهد منهم أحد. وقد زدنا هذا المصدر بتاريخ هذه المعركة على الأقل، فشكراً للساشرين عليه، ولو أن هذا المصدر لم يشر إلى تدخل سلاح الجو، مكتفياً بالإشارة إلى قوات المشاة.

## 4- اشتباك " نخلة بوعزة " (شماريخ):

شارك فيه الشهيد حيدار بن سليمان (الإفريقي)، وشقيقه حيدار إبراهيم، والمدعو " الهوش "، و خمسة مجاهدين آخرين، وقد تعرضوا لقصف أرضي من قبل دبابات الاحتلال الفرنسي، لكنها لم تصب الكهف الذي كانوا به ، كما ولم تسجل خسائر في صفوفهم، ثم انسحبوا من ذلك المكان بصعوبة، نظراً لطبيعة تضاريس الجبل، لاسيما من ناحية القبلة، متجهين نحو (أقطاي)، حيث مكثوا يومهم.

## الفصل الرابع: ملحمة جبل فزوز الخالدة:

(وقائع المعركة - إفادات - وثائق - صور - وهوامش تاريخية وتوضيحية)

### سياق الأحداث العسكرية:

تعتبر سنوات الجنرال ديغول ابتداء من عام 1958، من أعنف سنوات الحرب أثناء ثورة التحرير الجزائرية، فخلالها بقدر ما اشتد عود الثورة، وتجاوزت خط الرجعة بصورة نهائية، وأصبح العالم ينظر إليها كثورة حقيقية، وليس كمجرد عمليات موسمية محدودة النفس والحيز، متقطعة في الزمان و المكان، بقدر ما ثارت ثائرة المحتل الفرنسي، مستغلا عديده وعتاده الجهنميين، وحنكة ديغول الذي استدعي على عجل لإنقاذ فرنسا (مرة أخرى) ، كما كان يُعتقد أنه أنقذها إبان الحرب العالمية الثانية، من خلال ما كان يسمى بفرنسا الحرة ، فأحاط الرجل نفسه بأعتى السفاحين، يتقدمهم لأكوست المقيم العام بالجزائر،

والجنرال شال - صاحب الخط و المشروع الجهنميين المعروفين - وآخرون، فصيّروا رقعة الجزائر بترابها وجوها لهيبا ودمارا، من خلال سياسة التقتيل والتخريب، إذ وجدوا في سفاحين آخرين - تمركزوا محليا وإقليميا - كبيجار وجورج وجيل وغيرهم من قادة الكوماندوهات الميدانية المجرمة، من يطبق تلك السياسة بكل أبعادها، التدميرية والتقتيلية والإبادية، ليتم خلال تلك الأعوام بتراب تلك الجهة، تسجيل العديد



من المعارك ذات الوزن الثقيل، جرت بجبال مرغاد ، شماریخ، جبل عيسى، بوعمود، فزوز، مزي، بني سمير تانوت، شماریخ ، أم الطبايق، الركنة الكحلة، المناصب، الغنجاية، بريسط، جبيل الحيمر، تمدة، الشقق و ميرلجبال، وعنترومكشر. إلخ.

ولم تقتصر المعارك الهامة على الجبال وحدها، بل كانت السهول بدورها مسرحا لها، مثل عين حجاج، والغوية وحناق التربة، والشرشيرة، ووادي بحیح، والمزبود. إلخ. إلخ، هذا بالإضافة إلى العمليات العسكرية الكثيرة التي كانت قد جرت بتلك المنطقة، - كمنطقة حدودية مسيجة بالخطين الرهييين، خطي موريس وشال، مثل الاشتباكات والكمائن التي كادت تكون يومية، ومداهمات التجمعات السكنية، والقصف الجوي

العشوائى، الذى كان يبىد الحىوان، وبتسبب فى تهجىر حتى الطىر من المناطق المٌحرّمة حىن لا يعثر المجرمون على إنسان، وىشار إلى أن تلك الجبال و المواقع، لم تعرف النشاط العسكرى بمعدل معركة لكل جبل أو موقع فحسب، بل منها جبال و مواقع تكررت فىها المعارك لمرات عدىة، كجبل عىسى مثلا، و تانوت و شمارىخ، و بنى سمىر و بوعمود و مزى (3)، الأمر الذى اقتضى من العدو -بالإضافة إلى القوات العسكرىة الفرنسىة المتمرّكة تقلىدیا بالمنطقة - أن ىستجد دائما فى هذه المعارك بقوات دعم وإسناد و تدخل سرىع، كفرق الفىلق الثالث من مظلى العقىد بىجار، و اللفىف العسكرى الثامن، وكومانءو جورج، وهى فرق كانت تتكون من جزائرىن خونة، إلى جانب الفرنسىن، بالإضافة إلى قوات اللفىف الأجنبى، والمرترقة من الزوج الأفرقة، وهى قوات لم تكن خارج المنطقة بحكم ارتباط مهامها بحمایة الخط الجهنمى، خط مورىس بكل ملحقاته.



أسندت مهمة ((ضمان تغطية الحاجز الدفاعى لخط مورىس)) (3 مكرر)، إلى أربعة فىالق هى، (الفىلق الثالث مشاة أجانب، والفىلق 26 مشاة مىكانىكىة، والفىلق 153 مىكانىكىة، ونصف فرقة من القناصة)، بىنما وُضعت خمسة فىالق على المسالك المهمة التى ىسلكها جيش التحرىر الوطنى، وأعطى لها الحرىة المطلقة للتحرّك فى كل الاتجاهات، وكان ضمن هذه الأخيرة بطىبة الحال، الفىلق

الثالث مظلىن بقیادة العقىد السفاح بىجار. (للتوسع أنظر جمال قنءل، فى كتابه " خط مورىس وشال " ص 68/67 ط 2008).

وهكذا بلغت هذه القوات من الشراسة وعدم التقىد بأى وازع، درجة جعلتها تقصف كل كائن حى ىتحرك على الأرض بشكل استباقى، ودون حتى أن تتأكد من حقیقته، فما أن رصدت القوات المتمرّكة بـ "عسلة"، ذات مرة - بواسطة إحدى وسائلها الاستكشافىة - تحركات " مشوهة " بأعالى جبل "فروز"، حتى طلبت تدخلا جویا عاجلا من مطار مدىنة "المشرىة"، فاتجهت مقاتلات إلى عىن المكان، حىث أدى القصف المباغت إلى سقوط عدة شهداء بجبل فروز بالذات، (مكانهم ىقع بمرتفع غربى موقع استشهاد الإفرىقى).

أما فى هذه المرة، فقد بلغها - من خلال عىونها طبعاً - أمر وجود مركز، كائن بهذا الجبل أىضا ( جبل فروز)، فأغارت علیه باكرا، ثلاث مقاتلات ففجرته تفجىرا، وفى الوقت الذى انسحب فىه قادة هذا المركز

قبل الهجوم الجوي - كما سيتضح لاحقاً -، تزامنت هذه الغارة - التي أعقبها توجه أرتال بين عربات مشاة وقوات ميكانيكية، إلى عين المكان - مع وصول ثلاثة من المجاهدين إلى نفس الجبل، دون علم منهم أنه سيكون محل عملية تمشيط دقيقة، وشاملة، ورغم أن هم القوات الفرنسية كان بلوغ المركز المدمر لجهلها بالمجاهدين الثلاثة الذين التحقوا بالجبل بعيد فجر هذا اليوم، لكن هؤلاء المجاهدين وجدوا أنفسهم وجها لوجه مع طلائع هذه القوات، كما سيتضح من الوقائع المروية الموالية:



قطيع من كومانندو جورج الذي شكّل عنوان جرائم في المنطقة على امتداد خريطة الولاية الإدارية القديمة.



## وصف لجبل فزوز



يقع جبل فزوز(1) ضمن سلسلة جبال القصور الغربية، بحيث يبعد عن مقر دائرة عسلة (ولاية النعامة) بحوالي عشرة كيلومترات، أو أزيد بقليل، وهو واحد من جبال محيطة بمنطقة، تعود السكان على ممارسة قنص بقر الوحش، والأروي وغيرهما من الطرائد فيها، قبل اندلاع الثورة، مثل جبل تانوت جنوبا، وجبل بوداود(2) شرقا، وجبل المالحة شمالا، وحتى جبلي بريسط وبرام على بساطة تضاريسهما، و ادغالهما، و تركيبتيهما الجيومورفولوجية بوجه عام.

ويحد جبل فزوز من الشمال، جبل عيسى، وهو أعلى قمة في جبال القصور، بل وفي جبال الأطلس الصحراوي كله بعلو 22.36م، في نظر من لا يدرجون جبل شلية ضمن هذه السلسلة لأنه الأعلى.

## ملحمة جبل فزوز:

وتعتبر معركة فزوز التي جرت وقائعها بالوادي الأوسط من هذا الجبل، من المعارك الشهيرة التي شهدتها تراب الناحية الثانية، من المنطقة الثامنة للولاية الخامسة، يوم الخميس 02 من شهر جويلية سنة 1959، ونحن إذ نعرض لتفاصيل هذه المعركة، فإنما اعتمادا على وثيقة، كتبها أحد الشهداء (4)، ممن شاركوا في هذه المعركة ميدانيا وفعليا، وانسحب منها، ثم عكف على كتابة هذه الوثيقة إبان الفترة التي أعقبت ذلك مباشرة، (كُتبت بتاريخ 19/07/1959 أي بعد 17 يوما من تاريخ وقوع المعركة)، ومن هنا تكون هذه الوثيقة مصدرا أساسيا ومعاصرا للحدث يعكس حقيقة ما جرى.

ذلك بالإضافة إلى إفادات الشهود، ومنهم من كانوا أسرى يومها (5) لدى الجيش الفرنسي، وقد جيء بهم من مختلف المعتقلات القريبة لإخلاء القتلى والجرحى، فشاهدوا المعركة بأم أعينهم، كما ومن مصادرتنا، مجاهدون أحياء تم إبلاغهم بتفاصيل الواقعة أثناء الثورة، كما درجت عادة الإعلام الحربي زمن هذه الأخيرة.

## تحليل طبيعة الوثيقة المصدر:

تكتسي هذه الوثيقة أهميتها التاريخية، من كونها كُتبت بقلم رجل، صار في عداد شهداء الثورة الجزائرية، حيث استشهد بعد معركة فزوز بمدة ليست بالطويلة، (أوائل سنة 1961) في معركة أخرى هي معركة "الشرشيرة"، وهي معركة معروفة لاتقل ضراوة عن تلك، وسنتحدث عنها لاحقا، والوثيقة من حيث الشكل، أعدت كعرض حال مفصل حول هذه المعركة، أو قل بالتعبير الإداري الذي كانت تستخدمه الثورة، " كتقرير للقيادة عن الموقف"، متضمنة مجرياتها بكل دقة و تفصيل، وكذا حصيلتها البشرية، وهي - كتقرير - مرفوعة إلى قيادات الثورة، عبر سلمها التنظيمي فيما يبدو، بحيث حملت صفة النشرة.

وقد بلغت معركة فزوز من حيث الأهمية، أنها التُقطت عبر الأثير من طرف بعض المجاهدين، مُداعة من إحدى المحطات الإذاعية الناطقة بالعربية، وقد تكون في أغلب الظن، "إذاعة الجزائر الحرة"، أو إحدى حصص الثورة الجزائرية في إذاعة القاهرة، أو إذاعة الناظور المغربية، أو إذاعة تونس، فمن هاته الإذاعات كان الجهاز الإعلامي للثورة يفتد مغالطات، و أكاذيب الأرمدة الإعلامية الفرنسية بكل ألوانها، كما قيل إن إفادة إعلامية حول هذه المعركة، قد التُقطت من إحدى القنوات الإذاعية الفرنسية، لكن بمعلومات مغلوطة ومشوّهة كعادتهم، هذا، وحسب مصدرنا، فقد كانت هذه الوثيقة في جملة وثائق لدى المجاهد

الراحل الباقي المجذوب، الذي كان قائدا لعرش حمزة لفترة، وهي بخ الشهيد حيدار ابراهيم، (المشهور بالطالب إبراهيم).

وكما كان للمجاهد الباقي المجذوب فضل الاحتفاظ بهذه الوثيقة الهامة، فإن الأمانة تقتضي منا الإشارة إلى موقف المجاهد الراحل حيدار بلحفيان - الذي كان إبان الثورة كاتباً لقيادة عرش حمزة - وهو قد سلمنا - قبل وفاته رحمه الله - وثيقة أخرى لا تقل أهمية، كانت قيادة الناحية الثانية التابعة للمنطقة الثامنة (الولاية الخامسة)، قد وجهتها إلى قيادات أعراش "حمزة"، و" زيروت" و"التبسي" (بعسلة) (6)، وهي رسالة نعي (تعزية)، في شكل تأبين للشهيد بن سليمان حيدار (الإفريقي)، إثر استشهاده بموقعة فزوز، والوثيقة تحمل توقيع الشهيد يوسف نائب قائد الناحية الثانية، ويوسف هذا، ينتمي إلى ضواحي باتنة، وقد استشهد هو الآخر لاحقاً، (كما أفادنا بذلك المجاهد حيدار الميلود، أما سي بوعمامة بوحلة فيفيد بأن يوسف، استشهد في الشط الشرقي بالبوابة الجنوبية الغربية لبلاد الحساسنة)، وسنضمن هذا الكتاب وثيقة التعزية هذه بدورها فيما بعد.

## وقفات مع وثيقة المعركة:

أولاً: أنها أرخت للمعركة بداية من لحظة تبادل إطلاق النار، ولم تشر - لا صراحة ولا ضمناً - إلى المرحلة التمهيدية التي سبقتها، مما جعلنا نعتمد الإفادات الشفوية في رصد أحداث هذه المرحلة، التي سبقت نشوب المعركة، بعد غربة هذه الإفادات طبعاً، ثم الاستشهاد بأكثر من واحدة منها غالباً، وذلك حرصاً على استجماع الآراء، وكان سلاحنا الوحيد هو دقة السؤال، وانتظار أكثر من جواب عليه، ثم تحليل هذه الإفادات لاستخلاص أوجه الحقيقة منها ما أمكن.

ثانياً: أن الوثيقة كُتبت بخط -رغم أنه جميل- إلا أنه تقليدي من الناحية الإملائية، أي من حيث رسم الكلمات، وذلك بحكم طبيعة التكوين الثقافي لصاحبها، وهو الشهيد حيدار إبراهيم (المعروف بالطالب إبراهيم)، كواحد من حفظة القرآن الكريم آنذاك، ومع ذلك سقنا الاستشهادات من هذه الوثيقة بلغتها الأصلية، مع بعض التصويبات الواردة بين مزدوجين دائماً، حفاظاً على روح النص، وبالإضافة إلى ذلك، أوردنا صفحة خاصة بالتصويب، مرفقة بنسخة مصورة من هذه الوثيقة.

ثالثاً: أن تركيز صاحب الوثيقة - فيما يبدو- كان منصبا على الجانب القتالي وحده، فهو شغله الشاغل، بحيث لم يتطرق ولم يورد الحوار الذي كان يجري بين المجاهدين الثلاثة بين الحين والآخر، كل ما عرضنا له من كلام بينهم، أو يخص بعض كلمات الجانب الفرنسي، إنما تلقاه السيد حيدار الميلود، من الطالب

ابراهيم، الذي حدثه به، حين زارا موقع الشهيدين في إحدى الليالي اللاحقة بعد المعركة طبعاً، كما نسب السيدان حيدار الحاج المازوزي (عم الشهيد)، وحيدار الحاج بلحيا إلى الشهيد ابراهيم أقوالاً أوردناها بطبيعة الحال.

رابع: أن الوثيقة أسمت الشهيد الطاهر مختاري، "الطاهر بالمختار"، إما إنه سهو من الكاتب، أو أن الاسم الأخير كان اسم شهرته في الثورة، غير أننا نستبعد أن يكون سهواً من كاتب الوثيقة بطبيعة الحال، وعلى أية حال، فقد تم تصويب اسم الشهيد من طرف السيد بن عزوز الطاهر، ( وهو من نفس البلدة وصهر المعني)، الذي أفاد بأنه مختاري الطاهر، وليس الطاهر بالمختار (7)، وعززنا ذلك بحصولنا على شهادتي ميلاده وعضويته في جيش التحرير.

## ما قبل المعركة:

(مشهد لجانب من الواجهة الشرقية لجبل فزوز)



كان الشهداء خلال يوم الأربعاء الفاتح من جويلية سنة 1959 ، الذي سبق يوم المعركة، متمركزين بالمكان المسمى "بطمات مغنية" الواقع بالسهل الفاصل بين جبل فزوز، وبقية الجبال الجنوبية ( بريسط، تانوت. إلخ)، وهو مكان

شكّل موقع عبور وتمركز للمجاهدين عادة، لأنه يقع بأحد السهول البعيدة نوعاً ما عن الطرق التي اعتاد العدو المرور عبرها، نحو الجبال في حملاته العسكرية، لاسيما الطريق الرئيسي الرابط بين " العين الصفراء" (8) ( الدائرة الأم آنذاك)، وبقية الحواضر الشرقية لجبال القصور، لكن في هذه المرة كان على المجاهدين بحكم مقتضيات العمل الثوري، أن يلتحقوا بجبل فزوز الواقع غربي هذا المكان، أو بالأحرى الانتقال إلى هضبة " الضلعة الحمراء"، أسفل هذا الجبل، ( قيل إنهم تنقلوا بناء على موعد أو أمر أُعطي لهم، وهناك من ينفي ذلك ويجعله تنقلاً اختيارياً، ولعل هذا الأصوب).

يقول أحمد بن محمد حيدار: " كان هدفهم من التنقل هو المكوث بـ" الضلعة الحمراء"، وليس بلوغ جبل فروز، لولا أنهم اكتشفوا من طرف القوات الفرنسية، قبل أن يبلغوه"، وهي الرواية التي يؤكدتها الحاج بلحيا حيدار أيضا.



وهكذا انطلق كل من حيدار بن سليمان (الإفريقي)، وأخويه الطاهر وإبراهيم، ومعهم المجاهد الطاهر مختاري، (وهو ينتمي إلى أمازيغ بلدة بوسمغون) (9)، ومجاهد خامس هو حفاية عبد القادر (اشتهر بعبد القادر ولد الأعمى).

انطلق خمستهم باتجاه الواجهة الشرقية من الجبل المذكور، وفور أن بلغوا الهضبة المعروفة " بالضلعة الحمراء"، تخلف

السيد الطاهر حيدار، وعبد القادر لغرض ربط ( حمار) كان معهما، اتخذه المجاهدون لحمل الأمتعة، ثم صليا الفجر، لكنهما ما أن اعتزما اللحاق برفاقهما الثلاثة، حتى اكتشفا أرمدة من الآليات العسكرية الثقيلة، وهي تزحف عبر سفح الجبل، قادمة من المكان المسمى " ثنية أم الودح"، وتلك رواية الحاج حيدار الميلود، (وفي رواية الحاج بلحيا حيدار أنها أقبلت من ناحية ( آبار لحساي ).



و تتحد الإفادتان في إفادة ثالثة، تفيد أن الأمر يتعلق بقوتين، أقبلت إحداهما من، "ثنية أم الودح" غربا، والأخرى من "آبار الحسي" شرقا، لتلتقيا بالسفح الأوسط للجبل، قصد الإطباق على المنافذ السفلى، لهذا الجبل كمرحلة أولى، ثم أخذت هذه القوات تتمركز على امتداد سفح الجبل بالفعل، أي بين الجبل وبين الهضبة الواقعة أسفله، المسماة " الضلعة الحمراء"، والأخطر من هذا، أنه اتضح للرجلين

الطاهر وعبد القادر، أن عربات نقل الجند كانت فارغة، ومعنى هذا أن القوات كانت - قبل أن يكتشفاها - قد أخذت طريقها إلى الجبل، مشاة تحت جنح الظلام، في عملية تمشيط شاملة، وهذا ما كان قد حدث فعلا.

صورة لأسفل الجبل، ومنه يتراءى جزء من الضلعة الحمراء بالسهل  
الفاصل بينهما تمركزت آليات القوات الفرنسية، من عربات نقل جند  
ومدرعات، ومدافع بعيدة المدى.

و بطبيعة الحال لم يتمكن الرجال من إشعار رفاقهما بذلك، لأن هؤلاء كانوا قد ابتعدوا عنهما، و توغلوا في الجبل صعوداً، بحيث عبروا السفح عبر أحد الأودية قبل وصول طلائع القوات الفرنسية إليه، وهنا تبرز إفادة على جانب كبير من الأهمية، للحاج بلحيا حيدار ينسبها إلى إبراهيم، تفيد بان هذا الأخير ورفقيه بن سليمان والطاهر مختاري، غيروا خطتهم في آخر لحظة، بعد أن شاهدوا سيلان القوات الفرنسية ، مفضلين اللجوء إلى الجبل، بدل المكوث بهضبة "الضلعة الحمراء"، التي لاتصلح ميدانا لمعركة، و لا توفر سبيل نجاة لساطتها.

يقول الحاج بلحيا حيدار (على لسان ابراهيم): قبيل الفجر بلغنا "الضلعة الحمراء"، فشاهدنا عربات ومعدات عسكرية رابضة "بالحاسي الأبيض"، ولم نر القوات التي كانت قد أقبلت راجلة تحت جناح الليل ، بعد أن تركت تلك العربات هناك، فبادر الشهيد بن سليمان حيدار بإخفاء ما كان معنا من لوازم في مكان قريب منا، لكننا فجأة شاهدنا العسكر بقمة "الضلعة الحمراء" التي سبق وأن غادرناها منذ حين، وكان العسكر بدوره قد اكتشفنا من بعيد، فأسرعنا نحو أقرب واد، وكانت الشمس لما تشرق بعد، وعبر الوادي أخذنا طريقنا إلى الجبل.

أما الطاهر ورفيقه عبد القادر، ولأنهما يتواجدان "بالضلعة الحمراء" بالذات، فلم يعد في وسعهما لا التقدم نحو الجبل، ولا الانسحاب إلى الخلف بعيداً عن منطقة الخطر، بعد أن صار ذلك - هو الآخر - من باب المجازفة، لأن العسكر أصبح متواجداً هناك بقمة الهضبة، ولأن الشمس كانت بصدد الأشراق، مما سيسهل اكتشافهما من قبل العدو بسهولة، وأمام كل هذه الخيارات الصعبة، فضلاً الاختباء بكهف كان قريباً منهما بالهضبة الحمراء، فظلاً به طيلة ذلك اليوم، لاسيما وأن القوات الفرنسية أخذت طريقها نحو الجبل، مسكونة بهاجس الوصول إلى المركز الذي جرى قصفه صباحاً بواسطة سلاح الجو، دون أن تعير "الضلعة الحمراء" أي اهتمام، لساطتها كما أسلفنا، ولأنها تفتقر إلى أي بعد استراتيجي قد يستغله المجاهدون.

أما المجاهدون الثلاثة، فقد غدوا السير عبر الوادي الأقرب، وللتوضيح سنسميه الوادي الأول، أي شرقي المنطقة التي أخذت تتمركز بها القوات الفرنسية القادمة من "ثنية الوضع"، وقد شرعت في الانتشار ابتداءً من السفوح السفلى للجبل، إلى مداخله الوسطى فأعلاه، دون أن تغفل - بطبيعة الحال - هذا الوادي الذي سبق لها أن اكتشفت بأسفله المجاهدين الثلاثة - من بعيد - قبيل الإشراق، ثم اختفوا، فهي قد جاءت غريبه ومن أعلاه على الخصوص، حتى تسد عليهم منافذ الانسحاب، و تحول دون تمكنهم من تحسين موقعهم الدفاعي بأعلى الجبل.

ولما سألنا لماذا لم تجر المعركة بهذا الوادي الأول الذي كان به المجاهدون؟ وما الذي دعاهم إلى استبداله بوادٍ آخر يليه من الشرق؟



أخبرنا السيدان حيدار الميلود، وحيدار بلحيا، نقلا عن الطالب ابراهيم -ولحسن الحظ - أن صخرة عظيمة صلدة يصعب اجتيازها، (شبه جدارية ممتدة نحو الأعلى)، كانت قد اعترضت طريقهم أثناء صعودهم مع هذا الوادي، مما اضطرهم إلى الانعطاف نحو الوادي الموازي شرقا، (سنسميه الوادي الثاني)، فأبعدهم هذا الانعطاف - ولو مؤقتا - عن مواقع تمركز، وزحف القوات الفرنسية بأعالي الوادي الأول، وطرفه الغربي، فصعدوا بدلا عنه عبر الوادي الثاني، وهكذا كان لهذا الوادي الأخير شرف احتضان المعركة - كما سيأتي - فقد أدى اعتراض الصخرة إلى تغيير مكان المعركة، ثم إلى تأجيل موعد اندلاعها.

أما كون المجاهدين لم يواجهوا أية صعوبة خلال سيرهم عبر الوادي الأول في أول الأمر، باستثناء الصخرة التي اعترضت طريقهم، فذلك لأن هذا الوادي الذي انسابوا معه، كانت عملية التمشيط لم تبلغه بعد في ذلك الحين، بحيث يبدو أن قادة العملية الفرنسيين كان من أولوياتهم، الانتشار عموديا عبر الجزء الغربي من الجبل، ثم القيام بعملية زحف على بقية جهاته السفلى والوسطى، من الأعلى والأسفل في طريقهم شرقا إلى موقع المركز المكتشف، والذي كان هو الهدف من عملية تمشيط الجبل ككل (10).

أما الاحتمال الذي يفيد بأن القوات الفرنسية، اكتشفت المجاهدين الثلاثة منذ أول وهلة، ثم تركتهم يتوغلون في الجبل لتسهيل القضاء عليهم، لأنهم في طريقهم إلى طلائعها بأعلى الجبل وهم لا يشعرون بذلك، فهو احتمال ضعيف، إذا علمنا - وهذا هو المؤكد - أن عملية تبادل إطلاق النار لم يُشرع فيها إلا ابتداء من الساعة الرابعة مساء، ونحن نتحدث الآن عن فترة الضحى، و إذن فهي اكتشفت المجاهدين صباحا، وهم يغادرون الهضبة ( الضلعة الحمراء)، ثم افتقدت مكان تواجدهم، لما سلكوا أسفل الوادي الأول، في طريقهم من هذه الهضبة إلى الجبل، كما أفاد السيد الحاج بلحيا حيدار نقلا عن الشهيد حيدار الطاهر هذه المرة، فانتشار هذه القوات لم يكن يهدف - في الفترة الصباحية على الأقل - إلى ضرب حصار ما على المجاهدين الثلاثة، بل كان بغرض تطويق الجبل لمنع أي انسحاب قد يقع من المركز المقصود بالتمشيط، اعتقادا من قادة العملية، أن المجاهدين المشرفين على المركز (وهم غير هؤلاء الثلاثة) لا يزالون قريبين منه أو أن القصف استهدفهم، وموقع المركز لا يزال بعيدا من هنا، حيث يقع بالجهة الشمالية الشرقية من الجبل ولو من نفس الواجهة كما قلنا، أي خارج الواديين الأول والثاني اللذين نتحدث عنهما.

صحيح أن تموقع تلك القوات بالشريطين الأسفل شرقا، و الأوسط غربا من الجبل، لم يحدث اعتباطا، وإنما اقتضته عملية التمشيط، لأن بقية السفوح والمنحدرات - بما فيها أعالي الوادي الأول الذي تخلى المجاهدون الثلاثة عن السير عبره كما اشرفنا - بلغتها قوات دعم فرنسية، ومن اللطيف الأجنبي (11)، والحركي بالذات، سرعان ما أخذت تتدفق على الجبل من ثكنات الحواضر المجاورة مثل مدينتي العين الصفراء، و المشربية (12)، فضلا عن البلدات الأقل حجما، كبلدة الشلالة (13) وغيرها،



سيما وأن سلاح الجو أثبت حضوره هو الآخر، منذ أن قصف المركز الشرقي باكرا بواسطة ثلاث مقاتلات، ( عدد الطائرات من رواية السيد حيدار أحمد ولد محمد ).

ومعنى هذا أنه لا يوجد أي واد أو مكان بهذا الجبل، يمكن اعتباره آمنا، و أمام هذه الوضعية لم يبق في إمكان المجاهدين - وقد أدركوا الحقيقة - إلا أن يلجأوا إلى الوادي الثاني - كما أسلفنا - ليس لاعتبارات استراتيجية، وإنما بسبب الصخرة العظيمة التي قلنا إنها واجهتهم، مع العلم أن مسرب هذا الوادي المغطى بنبات الحلفاء بكثافة ( آنذاك )، وبعض أشجار البطم والعرعر، قد ساعدهم على التحرك باتجاه الأعلى ما أمكن، أما صعودهما إلى هذا الحد الأوسط من الجبل، فقد فسره المجاهدون الرواة الأحياء، ( منهم المجاهد حيدار الميلود نقلا عن الشهيد إبراهيم )، بأنه تم نزولا عند رغبة الشهيد حيدار بن سليمان (الإفريقي)، الذي كان همه الأوحده هو بلوغ قمة الجبل، أو التمرکز على الأقل بتضاريسه العليا، لأن هذه الأخيرة أكثر مواءمة للصمود من الناحية الاستراتيجية، من حيث مكوناتها الطبيعية ( طبيعة الكهوف، بعض أدغال الأشجار. إلخ )، كما أن التمرکز بهذه التضاريس الوعرة



سيتيح له، أولا منع عمليات الإنزال الجوي التي قد تحدث على مستوى نقاط بداية الوادي من الأعلى، وثانيا التحكم في المعركة من خلال التصدي لأي قوة، قد ترحف من الأسفل نحو

(قمة الجبل التي كان الشهيد الإفريقي يرغب في الوصول إليها قبل نشوب المعركة)

القمة، وهكذا فضل التحرك بدل الاختباء في الأمكنة السفلى البسيطة المكشوفة، لولا أنه تم اكتشافهم جوا كما روي السيد بلحيا حيدار،

## قصف جوي:

لكن وقبل أن يبلغوا تلك التضاريس، (والرواية للمجاهد حيدار الميلود نقلا عن إبراهيم دائما)، تم رصدهم من خلال طائرة استطلاع، وهم في حالة صعود مع الوادي، مما عجل بتدخل مقاتلتين، قيل إن إحداهما من نوع ب 26، والأخرى من النوع الذي كان يسمى شعبيا " بالصفراء" ( لعلها الميراج أو - ت06)، تمكنت إحداهما من قصف موقع كانوا قريبين منه، وهو موقع شجرة بطم بالوادي، غير أن القصف لم يصب منهم أحدا، ( يقول الحاج بلحيا إنهم نسوا قرية ماء بهذه البطمة).

على أية حال حدث القصف، لأن المجاهدين كانوا لا يزالون بعيدين نوعا ما عن القوات القادمة من الغرب كما أشرنا، مما أعطى المقاتلة الجوية فرصة للتدخل، اعتقادا منها أنها قادرة على التمييز بينهم وبين القوات الفرنسية، ورغم ذلك، واعتمادا على كثافة نبات الحلفاء، وبعض شجر البطم والعرعر، والحفر العميقة التي

كان الوادي أثناء فيضانه قد نحتها، بالإضافة إلى ركام الحجارة التي كانت السيول قد بعثرتها هنا وهناك، واصلوا الصعود بمنأى عن عيون العدو حتى هذه اللحظة.

## بداية المعركة:

وهنا اختلفت الإفادات، فحسب وثيقة الشهيد الطالب إبراهيم، ورواية الأسير آنذاك، الحاج قدوري عبد الكريم، الذي كان حاضرا (وقد تطابقتا تماما والرجل لا يقرأ ولا يكتب، ولم نطلعه على ما تتضمنه الوثيقة)، فإن تبادل إطلاق النار لم يحدث إلا ابتداء من الساعة الرابعة مساء، لكن حسب روايات من كانوا يومئذ على مسافات متفاوتة من السهول المتاخمة للجبل، بحيث يتسنى لهم سماع دوي القصف ولعلعة الرصاص، (والأمر هنا لا يعني إلا الرعاة، ومزارعي الحقول البورية في زمن الحصاد، لأن بقية الجزائريين كانوا محاصرين في المحتشدات بقرى المنطقة)، حسب هؤلاء، فإن أزيز الرصاص قد سُمع منذ صبيحة ذلك اليوم، لكن ما يقلل من أهمية هذه الرواية الثانية، في نظر المدافعين عن فكرة أن تبادل إطلاق النار لم يحدث إلا مساء، أن المواجهة لو حدثت منذ الصباح كما ترى الرواية الثانية (14)، لكان هذا في غير صالح المجاهدين إلى حد ما، وذلك - في نظر أصحاب هذا الرأي لتوفر الزمان الكافي، بحيث كان هذا اليوم من أيام الصيف الطويلة (شهر جويلية)، حتى قالت شقيقة الشهيد بن سليمان وإبراهيم - الحاجة فاطمة رحمها الله - منشدة، وقد كانت تعني هؤلاء المجاهدين بالذات:

"أزمان الصيف والصمايم  
واسيادي وين ناطحين الكفاح".

أي كيف يتسنى لهم أن يقتحموا وغي الحرب، تحت حرارة الصيف المرتفعة؟ فمزجت - في هذه الصورة الشعرية - بين حرارة الصيف ولهب المعركة.

ثم لتأخذ عامل الذخيرة لدى المجاهدين، الذي غطى زمتنا تمثل في أربع ساعات ونصف من القتال، (أي من الرابعة حتى الثامنة والنصف)، فنقلا عن حيدار بلحيا وحيدار الميلود، فإن ما كان مع المجاهدين الثلاثة من ذخيرة، كان بين المائة تطلق ناري (رصاصه) في هذه الرواية، بقي منها في حوزة الطالب إبراهيم أثناء انسحابه حوالي تسع قذائف، بينما في رواية أخرى نقلت عن الحاج إبراهيم بن قرع، الذي كان أول من لقي حيدار إبراهيم في صبيحة اليوم الثاني بعد انسحاب هذا الأخير في الليلة السابقة من مكان المعركة، فقال له إبراهيم حيدار كان معنا 130 رصاصة فلم يبق معي منها سوى خمس عشرة رصاصة،

ذلك ما جاء في الروايتين السابقتين، في حين تفيد وثيقة الطالب إبراهيم كتابيا، أنه فضل معه من الذخيرة أثناء انسحابه، حوالي 20 رصاصة، فأصاب بإحداها العسكري الفرنسي الذي واجهه أثناء الانسحاب، دون أن يذكر العدد الكلي لقطع الذخيرة، التي كانت معهم منذ الصباح، وهذا بصرف النظر عن ذخيرة المسدس،

الذي كان بيد الشهيد الطاهر مختاري طبعاً، مع العلم أن الوثيقة لم تحدد مع الأسف، زمن قصفهم من طرف الطائرة المقاتلة، وكيف تمكنوا من الاختباء عن عيون القوات الفرنسية بعد ذلك، وإلا كنا حددنا زمن اكتشافهم من طرف هذه القوات، أو عرفنا ظروف اختبائهم طوال تلك المدة ، إلى غاية زمن تبادل إطلاق النار.

## المكان الممكن بدل المكان الأنسب:

كانت القوات الفرنسية لاتزال في مرحلة شروع في التموقع من جهة، كما أنها لم تحدد بعد مكان المجاهدين من جهة أخرى، مما وقر هذا الوقت بين الصباح وموعد تبادل النار، وجعل المجاهدين - إلى حد ما - يفاضلون بين المواقع الدفاعية - ولو في عجلة من امرهم - ويتجنبون ما أمكن الاختباء بسفوح الجبل السفلى شبه العارية، ولو أن رغبتهم في الوصول إلى أعالي الجبل، حيث تضاريسه الأكثر وعورة، أصبح تحقيقها في طور المستحيل، بحكم عملية الانتشار عبر منحنيات الجبل، التي يواصلها الجيش الفرنسي، معززا بالمدد الذي يتلقاه من مختلف الحواضر المجاورة كما أسلفنا من جهة، ولأن الطائرة الاستكشافية لم تمهلهم على التوغل والصعود أكثر من جهة ثانية، وفي هذا الظرف العصيب، كان على المجاهدين أن يحتسبوا بأقرب مكان يساعد على الدفاع، الذي أصبح لامفر منه، وهنا يضيف الحاج بلحيا حيدار - نقلاً عن إبراهيم - أن ما برر بقاءهم بهذا المكان، هو أن الطائرة الاستكشافية اكتشفتهم مرة ثانية، سيما وأنهم ليسوا بعيدين من المكان الذي سبق قصفه من الجو في الصباح، يعني مكان شجرة البطم، صحيح أنهم تجاوزوه صعوداً، لكن ليس بشكل يجعل الطائرة تفتقدهم كلياً.

## المظاهر الإستراتيجية للمكان

### وأسلوب إدارة المعركة:

#### 1) طبيعة المكان:

ويبدو أن خيار خوض المعركة كأمر حتمي، لم يكن غائباً منذ البداية عن ذهن الشهيد بن سليمان (الإفريقي)، ولذلك ظل همه الأوحده هو البحث عن المكان، لا نقول المناسب بل الممكن لتحقيق هذا الخيار، وإدارة المعركة بنجاح، ففضل في نهاية المطاف مضطراً - أمام اكتشافهم من قبل الطائرة، ووصول طلائع القوات الفرنسية إلى المكان تبعاً لإشارة هذه الطائرة - هذا الموقع الذي هو بأواسط الجبل، بل و بأواسط الوادي الثاني من ناحيتين طولاً وعرضاً، طولاً بمعنى انتهاء السفوح السفلى للجبل نحو الأعلى، وبداية التضاريس العليا، (أي غُلُظ الجبل كما يقال)، مما جعله أقرب إلى هذه الأخيرة.

أما عرضا فهو موقع شبيه إلى حد بعيد بمكان القنص (الصيد)، حيث رابط ضمن تلة طبيعية من الأحجار، تتوسط منتصف مسيل الوادي، وبذلك تجنّب التموقع بإحدى ضفتي الوادي، وهما عبارة عن هضبتين متقابلتين من الناحيتين اليسرى واليمنى



فضمن، بهذا الذكاء الحربي، وضع الضفتين معا تحت سيطرته، ومراقبة زميله، لأن تمركزه بإحدهما - لحدث - كان سيجعله ورفيقه هدفا سهلا للهجوم من الخلف أو من فوق، وهو ما تجنّبه، باعتبار أن التمركز بالوسط، يعطيه فرصة الكشف عن سيهاجمه من

### منظر عام لموقع المعركة بالضبط

الضفتين كليهما، وهو ما حدث بالفعل أثناء المعركة، وأعطاهما نفسا طويلا من حيث الزمن، بل وأسفر عن ذلك العدد الضخم من قتلى العدو وجرحاه، نظرا لتمدد مسافات الهجوم، وانكشافها أمام الشهيد، ورغم أن كل المجاهدين الذين قابلناهم، يجمعون على ضائلة القيمة الإستراتيجية لهذا المكان، إلا أن صمود الشهيد الإفريقي، وتحكمه في أساليب الرماية كقناص شبه محترف، عوضا هذا الموقع ما كان ينقصه من أهمية إستراتيجية، وهكذا نتج عن اختيار المكان بهذا الشكل، عدة فوائد إستراتيجية كانت في صالح المجاهدين، نذكر منها على الخصوص:

## 2) عزل الآليات الضخمة:

يضاف إلى ذلك عامل آخر بالغ الأهمية، ولا نجزم بأنه كان في حسابات الشهيد، بحيث ربما توفر صدفة، ولكن أيضا نتيجة توغل المجاهدين في أعماق الجبل، هذا العامل هو عزل ميكانيكية القوات من، دبابات ومدفعية ثقيلة رابضة بأسفل الجبل، فاكتمى العدو بتحريك الجنود المترجلين (مشاة غير مؤللة)، إذ إن هذا المكان - وإن اضطر إليه الشهيد كموقع دفاع - صعب من مهمة تدخل هذه المعدات الثقيلة، فبقيت رهينة أسافل الجبل، فلا هي قادرة على قصف الموقع من بعيد، ولا هو في إمكانها أن تغادر مراتبها السفلية صعودا نحو ميدان المعركة، إن لم يكن ذلك بحكم بُعد المسافة، فهو بالتأكيد لطبيعة التضاريس التي تحجب مكان المعركة عن مواقع هذه الآليات الرابضة، سواء المتمركزة منها بـ "ثنية أم الوضح" شرقا، أو بـ "أعالي الحاسي الأبيض" غربا.

### 3) تدخل نسبي لسلاح الجو:

والواقع أن طبيعة المكان لم تفلح في عزل معدات ميكانيكية المشاة، (أي آلياتهم الضخمة) كما أسلفنا فحسب، بل حدثت من نشاط سلاح الجو، الذي لم يتدخل إلا مرتين قبل نشوب المعركة كما أثبت الرواة، عكس طائرات الاستكشاف التي سيتضاعف نشاطها من خلال إرسال الأضواء الكاشفة ولاسيما ليلا، و يكمن سبب الحد من تدخل سلاح المقاتلات، في التحام طرفي القتال على الأرض (مجاهدون وقوات فرنسية)، بشكل لم يترك للمقاتلات الفرنسية أية مسافة للتدخل، خشية أن تقصف جنودها، فاقصر سلاح الجو على طائرات الاستكشاف، ثم إنزال المدد خلف الضفة الغربية بواسطة العموديات.



### 4) استراتيجية الضلع الفارغ:

لقد كان ميدان المعركة - إذا ما نظرنا إليه من الناحية الهندسية - عبارة عن مستطيل، يتكون ضلعا طوله من ضفتي الوادي الممتدتين من أعلى إلى أسفل، في حين يتكون ضلعا عرضه من الجهة العليا للوادي ثم الجهة السفلى منه، مع بداية المعركة، فضّل العدو - حسب الرواة - (15) ترك وسط واجهة إحدى الضفتين (الشرقية) فارغا، فأبقاه عاريا من جنده، وهو الجزء الذي كان مقابلا تماما لقواته التي تباشر القتال على الضفة الأخرى من الوادي (الغربية)، وحين نقول خاليا من الجند، فعلى الأقل عبر المدى المنظور بالعين، لأن قواته ظلت مرابطة خلف هذه الضفة، وبأعلاها وبأسفلها، تحسبا لأي مستجد قد يطرأ على المعركة الدائرة رحاها بين منتصف هذا الوادي بالذات، حيث يتموقع المجاهدون، وبين ضفته الغربية حيث الجزء الأساسي من القوات الفرنسية، التي تواصل القتال فعليا، وقد اختار العدو فراغ هذا المكان، خوفا من تجابه مواقع طرفي قواته على الضفتين، بحيث كانت هتان القوتان ستصيران متقابلتين بصورة مباشرة لو لم يفعل ذلك، مما كان سيؤدي حتما إلى حدوث ما يعرف بالنيران الصديقة بين هذه القوات في غمرة



المعركة من جهة، ولأن وسط هذه الضفة كان الأقرب إلى موقع المجاهدين، ومن ثمة فهذا المكان يشكل خطراً أكبر على جنوده، لاسيما المهاجمين منهم من جهة أخرى.

وعلى أية حال، ومن الناحية العكسية، فإن فراغ وسط هذه الضفة، كان عاملاً إيجابياً بالنسبة للمجاهدين - كما سنرى - بحيث أرغم العدو على أن يعري ظهورهم - إن صح التعبير - ولو على مسافة ما، ونقول على مسافة ما، لأنه - وتحسباً منه لأي انسحاب قد يقع من طرفهم عبر ذلك الوسط، الذي اعتبره كما لو أنه منطقة منزوعة السلاح - ظل محتفظاً بقوات له، تمركزت خلف هذا الوسط، وأخرى بأعلاه، وأيضاً ثالثة بأسفله، وذلك منذ الصباح كما أشرنا، أما دور هذه القوات - المرابطة في نهاية الوسط وبأعلاه وبأسفله - فإن استراتيجية العدو اقتضت عزلها مؤقتاً عن المشاركة في المعركة، أي خلال الفترة النهارية على الأقل، ذلك لأن قادة العملية - وتحت ضرورة اشتداد الحصار الذي سيعتمده ليلاً - سيضطرون لاحقاً إلى استدراك ملء الوسط الفارغ من هذه القوات، دون أن يخلوا بقية المواقع العليا والسفلى والخلفية طبعاً.

## مجريات المعركة:

### أ. من خلال الوثيقة:

لم تتعرض وثيقة الطالب إبراهيم إلى مرحلة ما قبل المعركة، وهو ما جعل هذه الفترة محل روايات متعددة بلغت حد التضارب أحياناً، فقد استهلّت الوثيقة رواية الأحداث انطلاقاً من تمركز كل من المجاهدين الثلاثة، والجيش الفرنسي بالجبل، مثبتة تاريخ المعركة وهو يوم الخميس، الثاني من شهر يوليو (جويلية) سنة 1959، جاء في الوثيقة أنه:

((عندما كان هذا اليوم المذكور، كانوا (كان) جنود من جيش التحرير الوطني الجزائري، كانوا في هذا الجبل المذكور، وجاءت فرنسا بقوة عظيمة.))

ومعنى هذا أن تمركز القوات الفرنسية لم يسبق تواجد المجاهدين بمكان المعركة على الأقل، فهي قد كانت في أثرهم، وهذا ما يؤكد كلام السيد الحاج عبد الكريم قدوري - وهو شاهد عيان كأسير يومها - الذي أفاد بأنه جيئ بهم إلى هذا المكان حوالي الساعة الرابعة مساءً، وهو زمن نشوب المعركة، وإذن فالمجاهدون سبقوها إلى أواسط الجبل.

وحسب الوثيقة فإن الطرفين تواجها قتالياً، ابتداءً من الساعة الرابعة مساءً، فور أن اقتربت من موقعهم طلائع الجيش الفرنسي المهاجمة، وهو ما عبرت عنه الوثيقة بالقول:

((وجاءت فرنسا بقوة عظيمة ولحقت بالجنود فتقربا (أي اقتربا) من بعضهما على الساعة الرابع ( أي الرابعة ) مساء، والجنود عددهم ثلاثة، فلما قربوا (اقتربوا) منهم تكلم بينهم البارود وهم (أي المجاهدون) عندهم (بلج واحدة.))

هكذا عبرت الوثيقة عن بداية المعركة، ثم حمي وطيسها، حيث أصبحت القوات الفرنسية تهاجم بتكاثر، بل وغالبا ما تقترب من موقع المجاهدين، مستغلة تكثيف نيرانها، لكن الشهيد بن سليمان حيدار ( الإفريقي) كان يرد المهاجمين ((بالرصاص))، فقتل منهم نتيجة ذلك ما لا يحصى، وهو ما أشارت إليه وثيقة الطالب إبراهيم، حيث جاء فيها بهذا الخصوص:

(( فلم يزالوا كذلك في الضرب الشديد ( أي القتال المحتدم) وكانوا يجيئون (أي يجيئون) متقاربين ( أي قريبين) منهم بشدة البارود ( أي اعتمادا على كثافة النيران)، ويردهم الاخ الإفريقي بالرصاص ، وطاح ( أي سقط) منهم ما لا يحصى.)) (16)



لاتزال آثار الرصاص على الصخر باقية.

ودام الوضع على هذه الحال، والشهيد الإفريقي يرد هجمات العسكر الفرنسي، ومن في صفوفه من اللفيف الأجبي والحركي، والشهيد لا يوازره إلا الطاهر مختاري بمسدسه، حينما تصير الأهداف في مرماه طبعاً، رغم أن الشهيد الإفريقي طلب إليه الحفاظ على ذخيرة المسدس، عله يساعدهم في حالة الانسحاب، وكذا حتى لا يتفطن العدو إلى تواضع ما بحوزتهم من سلاح، كما أن المسدس سيساعد في حال تجرأ العدو وتجاوز في هجومه خطوط تموقعه، فأصبح أقرب إليهم من المسافة التي تغطيها البندقية عادة، فلنا استمر الأمر كذلك لمدة ساعتين، أي من الساعة الرابعة إلى غاية الساعة السادسة مساء، وفي تمام هذه الأخيرة سقط حيدار بن سليمان (الإفريقي) شهيدا رحمه الله، ورغم أن استشهاد الطاهر مختاري جاء لاحقا في الزمان لاستشهاد الإفريقي، فإن الوثيقة أشارت إلى الاستشهادين جملة واحدة، حيث تضمنت:



((فلما بلغت الساعة السادسة مساء، استشهد الأخ الإفريقي، والأخ الطاهر بالمختار، رحمهم (رحمهما) الله تعالى، هما والشهداء أجمعين)).

## ب . إفادات شفوية منسوبة للطالب إبراهيم:

وحول كيفية استشهاد السيد بن سليمان حيدار (الإفريقي)، سترك الوثيقة جانبا، لأنها لم تفصل في الموضوع، مكتفية بما جاء فيها أعلاه بهذا الخصوص، ونستعرض أولا، الإفادات التي تتخذ من الطالب إبراهيم مصدرا لها، وهي التي كان قد أدلى بها إلى المجاهد حيدار الميلود فيما بعد، باعتبار إبراهيم هو وحده الذي كان حاضرا لحظة الاستشهاد، مع أنه للأسف لم يعرض لذلك بكل التفاصيل، التي أصبحنا نرغب فيها اليوم بكل تعطش.

تقول الإفادة إن الشهيد بن سليمان (الإفريقي)، واصل الدفاع عن نفسه وعن رفيقيه بكل حزم وإصرار، بحيث كان يجندل كل مهاجم على مرمى بصره، ببندقيته وهي من نوع (بلج)، دون أن يكرر الإصابة لدرايته بفنون الرماية كقناص سابق (صياد)، وقد كان لذلك أهمية أخرى في الحفاظ على الذخيرة التي كانوا قد يقعون أسرى في حال نفاذها، كما أنه، وحرصا منه على مواصلة القتال شخصا، كان قد رفض أن يناول أخاه إبراهيم البندقية حين طلبها منه، ليربحه لبعض الوقت من مكابدة المواجهة، سيما وأنه تحمّل عبئ القتال بمفرده لمدة طويلة.

وفي هذه الأثناء كان أحد جنود العدو (وقيل حركيا)، قد تسلل من خلف الهضبة حتى تمكن من التخندق، بفجوة أسفل صخرة ضخمة تقع بأعالي المنحدر، إنها قمة الهضبة، التي حرص الشهيد منذ البداية، على أن لا يعلوها أي مهاجم، لكن هذا المتسلل من خلف الصخرة، صار في وضع مقابل للشهيد، فمكث يتحين أي فرصة قد تسمح له برصد جسمه، كحركة قد تصدر عنه أو غيرها، ومما يدل على أنه حدّد مصدر نيران الشهيد، بادر إلى إطلاق رصاصة من بندقيته (نوع عشارية)، فأصابت الحجارة الأمامية التي كان يستند عليها الشهيد أثناء الرماية و يكمن خلفها، و نتيجة إصابة الحجارة تحت ناظره ، رفع الشهيد رأسه تلقائيا، لأن فئات الحجارة قد تطايرعلى عينيه لعنف القذيفة، وأيضا رغبة منه في تحديد مصدر هذه القذيفة المفاجأة.

وبما أن تلك الحركة التي أبدأها الشهيد، جعلته كما لو أنه يطل برأسه، فسرعان ما وافته قذيفة ثانية من نفس العسكري، الذي كان لم يسحب إصبعه من الزناد منذ الطلقة الأولى، حسب تفسير الطالب

إبراهيم لسرعة الطلقة، فأصابت هذه الطلقة الشهيد بن سليمان في مقتل، بحيث زحزحه عنف الإصابة عن موقعه، ليسقط إلى الخلف مستلقيا على قفاه، وقد انتقلت روحه الطاهرة إلى بارئها.

## المرحلة الثانية من المعركة:

وأمام هذا الوضع، ما كان على الطالب إبراهيم إلا أن يسحب جثمان شقيقه (بن سليمان)، جانبا ليفسح له مجال استئناف المواجهة من نفس المنفذ، الذي سبق لشقيقه أن كان يستخدمه، ثم يتناول البندقية البلج ذاتها، وسيلة الصمود الأسطورية، التي كانت قد تدرجت قرب جثمان الشهيد - و يواصل القتال، وربحا للوقت، ولكيلا يمهل العدو على التقدم، أخذ يقتلع الذخيرة من حزام أخيه الشهيد، ليعبئ بها بندقيته، ثم يقذف كل مهاجم يحاول اعتلاء واجهة الهضبة المقابلة له، كما كان يفعل شقيقه الشهيد، وانطلاقا من هذه اللحظة دخلت ملحمة جبل فزوز مرحلتها الثانية.

وفي هذه المرحلة الثانية، لم يُسجَل إلا متغير واحد في المواجهة، وهو اسم المقاوم الجديد، حيدار إبراهيم، أو قل الطالب ابراهيم، وقد صار وحيدا وسط طوق أو أكثر من القوات المحاصرة له، التي تتحفر للهجوم عليه، وقد عجزت عن حسم المعركة حتى الآن.

لم يتغير شيء كما أسفلنا، سوى أن الشهيد الإفريقي، وزميله الشهيد الطاهر قد استبدلا بإبراهيم، بعد أن استشهدا رحمهما الله، فالموقع الدفاعي هو الموقع الدفاعي، والعزيمة القتالية هي العزيمة القتالية، والبندقية البلج المجاهدة (كما نعتها إبراهيم في وثيقته) وحدها تزمجر في وجه النيران الكثيفة، المتنوعة المعادية، منها المضخي، و المتباعد الطلقات، كما كان عليه الحال قبل استشهاد الإفريقي، بل إن القذائف المتساقطة من جنود الاحتلال، تزداد حدة واتساعا، وإرادة القتال عند الفتى إبراهيم (وقد كان فتى فعلا في العشرين من عمره)، يتراجع أمام حدتها كل تحفظ، أو وهن أو تفكير في الاستسلام، وكل ذلك لكيلا يترك للخصم أي انطباع أو استنتاج، يوحى بتضعف جبهة الدفاع الصامدة؛ جاء في وثيقته:

((واستخلف الأخ إبراهيم بعد الأخوان (الأخوين) و ابقى (أي بقي) في الحرب الشديد(ة) مع الاستعمار الخبيث)).

هنا الشهيد إبراهيم يتحدث عن نفسه بضمير الغائب، فهو الأخ إبراهيم.

صحيح أنه في اللحظات الأولى، تناول البندقية بحماس الشباب، ورغبة ملححة في القتال قد لاتخلو من اندفاع، الأمر الذي جعل الطاهر مختاري ينصح - قبيل استشهاده - بالحفاظ على الذخيرة، وعدم التهور

في القتال، لما لاحظ عليه مضاعفة الإصابات، بمعنى أنه كان يصيب العسكري الواحد بطلقتين للتأكد من مصرعه، (هذه الرواية لحيدار الحاج محمد البواب).

وحسبما إفادة المجاهد حيدار الميلود نقلا عن الطالب إبراهيم دائما، فإن هذا الأخير قد أصاب - أول ما أصاب - قاتل أخيه الذي ظهر من تحت الصخرة، متحينا الفرصة لمعاودة الرمي باتجاه إبراهيم، فما كان من هذا الأخير إلا أن عاجله برصاصة أولى، مما يوحي بأن عينه كانت عليه منذ البداية، بل وأصابه باثنتين أو ثلاث أخريات نكائية فيه، فأرداه صريعا على الفور، (توجد آثار الرصاص على صفحة الصخرة التي كان يختبئ تحتها، قاتل الشهيد الإفريقي).

ويبدو أن معسكر الاحتلال لم يفته هذا التغيير الذي طرأ على موقع دفاع المجاهدين، من جراء ما أشرنا إليه من استبدال الرامي، وطريقة الرمي معا، فصاروا يكثرون من مهاجمة إبراهيم أكثر من ذي قبل، ومن أكثر من موقع، ربما رغبة في إرباكه وتخوينه، وهو ما عبّر عنه في وثيقته:

**((كلما أرادوا العزم (أي الهجوم) عليه يردهم بالرصاص، والله المستعان)).**

وهو هنا يعني نفسه بالطبع.

لم تكن المعركة في طورها الثاني هذا أقل ضراوة، وإنما الذي حدث هو تغير طريقة الرماية كما أشرنا، فقد روى المجاهد الأسير عبد الكريم قدوري، أنه لما اشتد القتال، علا الصراخ في صفوف أفراد القوات الفرنسية، نتيجة كثرة الإصابات التي كان بعضها غير مميت، عكس المرحلة الأولى حيث كان الإفريقي - كصياد محترف - لا يصيب إلا الإصابة القاتلة، وربما لذلك قال السيد عبد الكريم: "إن عدد الجرحى تجاوز عدد القتلى في هذه المرحلة".

كما أضاف السيد عبد الكريم، بأن قوة دفاع المجاهدين، أجبرت الضباط الفرنسيين، وضباط الصف على أخذ جنودهم بالشدة وبالتعنيف، وبالتهديد، وهم يحرضونهم على الهجوم والتقدم إلى الأمام، بحيث أخذوا يدفعونهم دفعا إلى الخطوط الأمامية، وإلى ميدان المعركة وهم (أي الضباط) في ثورة من الغضب والانفعال والتهديد، لكن الجنود ظلوا يواجهون كل ذلك بالتراجع والإدبار نحو الساتر الخلفي للهضبة، بعيدا عن مسرح القتال، تارة بدعوى نفاذ الذخيرة، وطورا لأسباب أخرى مفتعلة وواهية، حتى لا يواجهوا رصاص الطالب إبراهيم، الذي دامت مواجهته للقوات الفرنسية، مدة ساعتين ونصف بالتمام، وبدون انقطاع، بحيث لم يتوقف إطلاق النار من طرف القوات الفرنسية تجاهه، إلا عند الساعة الثامنة والنصف مساء.

وعن ذلك قالت الوثيقة:

**(فلم يزالوا (أي الطرفان) في الحرب الشديدة) حتى بلغت الساعة الثامن (الثامنة) ونصف مساء النهار المذكور قبل (أي من قبل)، فارتفع القتال)).**

ارتفع القتال، هنا بمعنى توقف.

## هدنة وحصار وغلق الممر الشاغر:

وحلّ الظلام، أو ((أظلم النهار)) كما قالت الوثيقة، وربط ((كل منهما في موقعه، وهم دائرين (كذا) به كمثل الجراد))، تضيف الوثيقة، وإلى هنا، ومع شدة الظلام، لم تر القوات الفرنسية بدا، من الاكتفاء بإحكام حصارها على موقع الطالب إبراهيم، والشهيد من حوله.

لكن هذه الهدنة غير المعلنة، التي اعتمدها العدو مقدرا أهميتها بالنسبة إليه، كالحمد من سقوط قتلاه وجرحاه، وانتظار اشتداد الظلام، والإمعان في اللعب على معنويات الخصم، وتشديد الحصار من الجهات الأربع، متخلياً عن الاستمرار في تبني فكرة الممر الفارغ الذي أشرنا إليه، كل هذه التقديرات لم تكن في صالحه بالمرة، بحكم ما سيطراً على الموقف من تداعيات ليلا، كما سنرى.

ومما يفيد بأن الجيش الفرنسي تخلى ليلا، وربما قبيل وقف إطلاق النار بقليل - عن فكرة الممر الشاغر التي تبناها نهاراً، وكأن هذا الممر قد استنفذ وظيفته، إن وثيقة الطالب إبراهيم تشدد على ما كان عليه ذلك الحصار، من حيث رصّ الصفوف، والإحكام وتلاحم الأفراد، حيث تقول حرفياً:

**((وبقي كل منهما (يعني الطرفين) في موقعه وهم دائرين (دائرون) به كمثل الجراد ولم تكون (تكن) فوجرة بينهم ابدا)).**

لم تكن من فجوة بين الجندي والجندي أبداً، أي لا توجد ثغرة من شأنها أن تسهّل مهمة انسحاب الفتى الصامد، فما بالك بممر أو وسط كان شاغراً، فلقد حوصرت واجهة الهضبة الواقعة خلفه كلها وبإحكام، بعد أن ظل وسطها خالياً من الجند طوال النهار، حيث تم الاكتفاء بالمرابطة بأسفلها وخلفها وأعلىها، مع إخضاع وسطها الفارغ هذا لمراقبة القوات الجوية والبرية معاً، ما أفاد الأسرى والرواة، نقول القوات الجوية، لأن الأنوار الاستكشافية لم ينقطع إرسالها جواً فور انسداد ظلام الليل، فكان الطالب إبراهيم حينها يلجأ إلى الظل، كما روى ذلك هو شخصياً بعد المعركة لكل من السادة، حيدار الميلود وحيدار المازوزي و حيدار بلحيا، وقد كانت هذه الأضواء الاستكشافية من القوة، بحيث أضاءت أماكن تقع على مسافات بعيدة من المكان كما أثبت الرواة، حتى أصبحت تميز الشاة من أختها بالقرية البعيدة، كما قالوا.

ويستخلص من التعديل الذي تدارك به الجيش الفرنسي خطته، أنه إذا كان إبقاء الممر شاغراً، والإكتفاء بالمواجهة على الهضبة الأمامية لتلافي النيران الصديقة بين جنود العدو مناسباً للفترة النهارية، فإن حلول الليل اقتضى عكس ذلك تماماً، فقد اقتضى - من بين ما اقتضاه - إغلاق الممر الشاغر من خلال سده بواسطة قوة، مهمتها تشديد الحصار أو ربما دعيت للهجوم لقربها من الموقع، ووجود مثل هذه القوة في

ذلك المكان هو ما استدعى على الفور وقف إطلاق النار، لأن حشد قوة فرنسية ليلا على ممر مقابل للقوات الفرنسية الأساسية التي تخوض المعركة، لا يجنبهما أخطار النيران الصديقة في حال استمرار القتال، مهما بلغت درجة الحذر، بحكم الطبيعة الجغرافية للموقع التي تجعل قوة الضفة الأساسية مع قوة الممر في وضعية تقابل مباشر لا مفر منه، يزيد من خطورته، قرب المسافة الفاصلة بينهما (ضفتان لا يفصل بينهما إلا مسرب نهر جبلي متوسط العرض).

ولذلك سارعت قوات الاحتلال إلى وقف القتال حفاظا على جنودها، وليس رحمة بإبراهيم . الرجل الراسخ الإيمان، الحامل لكتاب الله -الذي لا ينتظر الرحمة والرفقة إلا من الله سبحانه وتعالى، وستنزل إن شاء الله، وهكذا كان الحصار والهدنة مجرد حرب نفسية لممارسة نوع من الضغط النفسي، والتهيؤ على المقاتل إبراهيم نتيجة الإعياء والوحدة، وكل الضغوط النفسية الاستثنائية المعروفة في مثل هذه المواطن الصعبة.

ويرى محللو المعركة، أن وقف النار الذي اضطرت إليه القوات الفرنسية اضطرارا، خوفا من وقوع نيران صديقة في صفوفها، بعد وجود قواتها في حالة تقابل لا مفر منه كما أسفنا، قد جعلها تخسر فرصة تحديد مصدر نيران الطالب إبراهيم، تحديدا صار ممكنا بحكم شدة الظلام لو تركت القتال متواصلا، هذا دون أن نغفل الرأي الذي يقول، إنها قررت تعويض القتال بالحصار، لما تأكد لديها أنها تواجه شخصا واحدا فقط، أصبح وضعه - حسبما توهم الفرنسيون - بين خيارين، إما سيجبره الإجهاد والإعياء، وربما التذمر النفسي واليأس جراء ظروف الحرب وقلة الزاد وعطش الصيف، على الاستسلام في لحظة ما ربما لم تكن بعيدة في تصورهم، وإما سيتم القبض عليه من خلال هجوم بسيط عديم الخسائر.

لكن الذي لم يخطر لقادة هذه القوات على بال، أن الطالب إبراهيم، المتشبع بالثقافة الدينية، والروح الوطنية، اللتين تضعان الاستسلام والتراجع (أن تولي العدو الأدبار) قريبا من الكبائر، وفي صميم الخيانة، هذا الفتى الذي صار وحيدا في ميدان الوغى، ورغم صغر سنه وسقوط شقيقه بين يديه، سيعرف كيف يستغل وقف إطلاق النار هذا إلى أبعد حد ممكن لصالحه، بل ولصالحه وحده، وبالفعل فقد سمحت له هذه الهدنة، التي لا شك أن العدو لم يقدم عليها إلا بعد تفكير وتدبر، و استغلال لخبراته العسكرية العالية و الطويلة، قلنا إن هذه الهدنة سمحت لإبراهيم بما يلي:

أولا: بتفتيش جثمانى الشهيد بن سليمان (الإفريقي) والظاهر مختاري، بحيث حمل معه كل ما عثر عليه معهما، كما سيخبرنا كتابيا من خلال وثيقته، التي جاء فيها:

((والاخ إبراهيم لما اظلم عليه الليل فتش الشهداء (الشهيد بن) على الكواغط (الوثائق) والدراهم و السوائع (الساعات) ولم يترك لهم (أي الفرنسيين) شيء (كذا) كل الذي لقاها (لقيه) حمله معه)).

## لغز المسدس:

يشار هنا إلى رواية السيد حيدار الميلود المنقولة عن الطالب إبراهيم شفويا، التي أخبره فيها أنه حمل كل ما عثر عليه مع الشهيدين فعلا، إلا المسدس لأنه لم يستطع فك أصابع الشهيد الطاهر مختاري، بعد أن استشهد وأصابه تقبض عليه بإحكام شديد، فتركه بيد الشهيد لكيلا يضيع الوقت، وسنقف على صحة هذا الكلام حينما يحدثنا إبراهيم كتابيا عن الأسلحة (البندقية البلج)، وكمية الذخيرة التي كانت معه أثناء الانسحاب، دون أن يشير إلى المسدس، لأنه تركه فعلا بين أصابع الشهيد الطاهر، للسبب الذي ذكرته رواية السيد حيدار الميلود آنفا.

ثانيا: ان كل ما قام به السيد إبراهيم، منذ وقف القتال، كان يندرج ضمن هدف أكبر، ألا وهو الانسحاب الذي استقر عليه رأيه، ذلك أن عدم الانسحاب لا يعني إلا أمرين، إما الموت أو الأسر، وهما أمران بدا للطالب إبراهيم أنه لا يزال في وسعه، العمل على تجنب الوقوع في أحدهما أو كليهما معا، ولم لا؟ إلا ما كان قد قدره الله بطبيعة الحال، فذلك ما ليس منه بد، أما من جهته، فلا ينقصه ما يحقق الانسحاب - رغم شدة التطويق الذي يوجد داخله - تعلق الأمر بالإيمان، أو بالعزيمة و الشجاعة.



همّ بالانسحاب إذن، ولاشك أنه كان قبل غروب الشمس قد ألقى نظرة أو أكثر، على ما أصبحت عليه خريطة الميدان في المساء، ورصد - في حدود ظروفه طبعاً - تموقعات العدو الذي ينتشر أفراداً عبرأضلاع المستطيل وزواياه، عرضاً (من أمام وخلف)، وطولاً من أعلى وأسفل، أي عبر مسرب الوادي من فوق

وتحت، ولأن الضفة الأمامية كانت قد شكلت ساحة قتال في النهار، محتفظة في ناحيتها الخلفية بالعموديات، (طائرات الهيليكوبتر)، التي لا تفتأ تنقل الجرحى إلى المستشفيات العسكرية المتواجدة بحواضر المنطقة، وربما إلى خارجها بالنسبة للإصابات الأكثر خطورة، و بتلك الناحية الخلفية من هذه الضفة يقع أيضا المركز الميداني لقيادة العملية كلها، ولأن أعلى الجبل لا يتيح التسلل عبره، إذ من السهل على من يعلوك في المكان، أن يكتشف تحركك كلما اقتربت منه، ولأن الانطلاق نحو الأسفل يعني التوجه رأساً نحو مرابض آليات العدو، ومعداته الثقيلة وبقايا قواته الاحتياطية، التي لما تشارك في القتال بصورة مباشرة بعد.

أمام كل هذا الانغلاق، انغلاق المكان، بقيت زاوية واحدة، وهي زاوية وسط الضفة اليسرى، وهو الوسط الذي كان فارغا خلال النهار، وما هو الآن بشاغر، ولكن بدا لإبراهيم أنه بالقياس إلى غيره قد يصلح للمغامرة، وهل بقي أمام هذا الفتى إلا المغامرة، وهو يعتزم القيام بانسحاب اقتحامي يكتسي صفة الهجوم؟



ومن هنا خطورته، ثم هل بدا لإبراهيم أن هذه الضفة هي الأهون في استراتيجية تموضع القوات الفرنسية في هذه الليلة؟ ربما، إذ لعل الأفيد في توجهه نحو هذه الزاوية، أي من الجنوب الشرقي للضفة اليسرى، ومن الزاوية الأقرب إلى وسطها بالتحديد، أنه يَمَكُن من تحييد قوة الضفة الأمامية التي كانت هدفا لنيارانه أثناء المعركة، وأيضا القوة المرابطة بأعلى موقعه، وهذا كله لبعدهما نسبيا عن مسلك الانسحاب، و بالإضافة إلى هاتين القوتين، ربما أدى ذلك - وإلى حد ما - إلى تحييد قوة ثالثة، هي قوة أسفل الوادي رغم أنها قريبة من مسلك الانسحاب، ولنعد إلى الوثيقة، وهي تصف هذه اللحظة الحاسمة ، التي أبقى فيها إبراهيم إلا أن يخاطب نفسه بضمير الغائب كعادته:

((وأراد الانسحاب من بينهم ومعه من السلاح بندقية نوع بلج المجاهدة وقنبولة (كذا) يدوية و(ما) (17) معه من القرطاس ( أي الذخيرة) لم يكون ( يكن) أكثر من عشرين قرطاسا ( أي طلقا ناريا او رصاصة ))).

..

صورة الهضبة الشرقية التي انسحب عبرها الشهيد إبراهيم باتجاه الأسفل



تتحدث الوثيقة هنا عن أنواع السلاح الذي في حوزة إبراهيم، ليس لأن هذا السلاح كان من الضخامة و الكمية، بحيث يشكل عماد انسحاب خطير كهذا، يحمل كل خصائص الهجوم الفردي على جيش جرار، ينتمي إلى رابع قوة في العالم آنذاك، بل لأن سي إبراهيم - ذلك العم الصنديد - لا يفوته فقط أن يعبر عن اعتزازه بتلك البندقية / البلج، التي أودت بحياة العشرات من المحتلين، بين ضباط وضباط صف وجنود، ممن كانوا يمتلكون شتى أنواع الأسلحة المضخية الفتاكة، والأكثر تطورا، و التي تشكّل خلاصة ما انتجته عبقرية الحلف الأطلسي، بينما وقفت البندقية/ البلج وحيدة، تتصدى لتلك القوات بشراسة، ولكن أيضا بحكمة، فما رحمت منهم مهاجما، و لا وقعت بيد ملوثة من أيديهم، حتى انسحبت في سلام وشموخ، فالسي إبراهيم هنا يمتدح صمودها، لأنها ظلت وفية له ولصاحبها، شقيقه الإفريقي من قبله، إنها تستحق تسمية البلج المجاهدة كما أسماها.



هذا، وعلى القارئ أن يلاحظ معنا أن سي إبراهيم، حين ذكر السلاح الذي كان معه أثناء انصرافه من ميدان المعركة زمن الهدنة، لم يتطرق إلى المسدس، وهو ما يثبت صحة الوثيقة، التي لم تتطرق إلى المسدس في جملة ما عثر عليه إبراهيم مع الشهيدين، ويثبت صحة إفادة السيد حيدار الميلود، التي أوردناها بهذا الخصوص، فالمسدس، بدوره بقي وفيا لأصابع الشهيد الطاهر مختاري، تماما كما ظلت البلج وفية ليد إبراهيم، فما كنتُ . بفتح النون المشددة - ولا وهنت، إنه سلاح الثورة، الذي لطالما تصرف بوعي كرجالها رغم أنه من جماد.

## وجها لوجه:

ثم تحدث إبراهيم في الوثيقة، واصفا لحظة الحسم، وقد كان دائما يعني نفسه في خطاب بضمير الغائب:

((وأراد الانسحاب وعزم على الخروج أتى [قابل] (كذا؟) (18) متوجها نحوهم يمشي مشية رفيقة ( أي حذرة) فلما بقا (بقي) بينه وبينهم نحوى (نحو) ثلاثة (كذا) خطوات فنضروه (كذا أي ابصروه ) وارادوا ان يطلقوا عليه قوة الرصاص فسبقهم وربما (كذا) عليهم القنبولة (كذا) التي كانت معه)).

وملخص ذلك، أنه ما إن عزم على الانسحاب، حتى تحرك مباشرة نحو الحصار، يسير بخطى وثيدة حذرة لكيلا يلتفت وقع خطواته انتباه أحد من أفراد العدو، غير أنه لما اقترب منهم بحيث لم يعد يفصله عنهم سوى مسافة بضعة خطوات، اكتشفوه، وهمّوا بتكثيف النيران باتجاهه، لكنه باغتتهم حين رماهم بالقنبلة الوحيدة التي كانت معه، وتستطرد الوثيقة متحدثة عن فعل هذه القنبلة:

(( فلما رأوها متوجهة اليهم فروا هاربين من امامه)).

أما هو، (كما يضيف في وثيقته):

((فلما رأهم في ذلك(كذا) الحال، طلق (اطلق) عنهم رصاصة بلج واحدة اصابت واحد (واحدا) منهم فقتلته)).

يورد الحاج بلحيا حيدار رواية نقلها عن إبراهيم نفسه، تفيد بأن انسحابه تصادف تماما مع هجوم كانت القوات الفرنسية قد باشرته عليه، لكن يبقى السؤال هل هي القوات التي اتجه نحوها منسحبا، أم قوات الزوايا الأخرى من ميدان المعركة؟

## أهمية الحس الحربي:

وإذن، فالطالب إبراهيم نجح حتى الآن في نقل المعركة من موقعه إلى مواقع الجيش الفرنسي، بدليل أنه هو الذي يهاجم الآن وليسوا هم، وهم الذين يفرون من أمامه وليس هو، وعلى إثر القنبلة أطلق عليهم رصاصة من بندقيته البلج، فأصاب أحدهم كما أشارت الوثيقة، فما كان منهم إلا أن انبطحوا أرضاً، ونادوا بإحضار المدفع الرشاش، لكن الطالب إبراهيم ما أن أطلق تلك الرصاصة، حتى انسحب ببعض خطوات فتمكن بذلك من تغيير مكانه، ثم انبطح مثلهم في مكان آخر.



وما هي إلا لحظات، حتى أقبلت طائرة استكشافية وأخذت ترسل أضواء كاشفة، موجهة نحو المكان الذي سبق لهم أن رصدوه فيه، كانت هذه الأضواء من القوة بحيث صيرت الليل نهاراً، ثم وتحت هذه الأضواء القوية أحضروا المدفع الرشاش، الذي أخذ يصبّ حمم قذائفه على المكان الذي سبق لإبراهيم أن أطلق منه الرصاصة تلك، وهكذا نجا من وابل قذائف المدفع الرشاش السريعة والمتتالية، بفضل حسه الحربي الذي دفعه إلى مغادرة مكانه الأول الذي اكتشفوه فيه، يقول

السيد حيدار الميلود نقلاً عن إبراهيم مشافهة في هذا الموقف، إن عاملاً حاسماً كان وراء سلامته من تلك القذائف، وهو عامل تغيير المكان الذي أطلق منه آخر رصاصة، كما أسلفنا، وقد تم ذلك بالسرعة المطلوبة، في تلك اللحظة الدقيقة.

أما العامل الثاني الذي أعجز الطائرة الاستكشافية عن رصده، فيرويه عنه السيد الحاج بلحيا حيدار، وهو يتلخص في لجوئه إلى الظل القريب منه، سواء أكان ظل شجرة أم ظل صخرة، هذا الظل الذي كانت تنتج الأضواء الكاشفة المرسله من الطائرة ذاتها، فتعطي نتيجة عكسية، بحيث تنشئ أمكنة مظلمة (مظللة) لا تعلم حقيقة ما تحتوي عليه، وبذلك لعب الذكاء الحربي دوره في سلامة سي إبراهيم مرة أخرى، بعد كل ذلك، لبث في مكانه و انتظر - كما قال - إلى أن توقفت النيران الأرضية المنبعثة من المدفع الرشاش، وابتعدت الطائرة بأضوائها ربما لاستكمال تحليق روتيني، وكأنهما معا يعلنان خيبة أمل كبرى، فتقدم إبراهيم بين جنود العدو، الذين ربما اعتقدوا - لشدة ظلام الليل - أنه واحد منهم، ثم تسلل إلى خلف خطوطهم وستره الله، وما أن تخطى خطوط العدو الخلفية، حتى أخذ يغذ السير سالكا منحدر الجبل في حذر، لأنه لا يعلم منتهى أطواق الحصار المضروب، وتجنب بطبيعة الحال الاقتراب من المواقع التي توقع بها بقايا العدو، كأسافل الوادي الذي سبق له أن احتضن المعركة، وما جاوره بصورة مباشرة من أودية وآكام وهضبات. إلخ.

وما أن قطع السفح حتى استقبله سهل " الرمثاء "، (كانت منطقة للزراعة البورية)، كما لو أنه يقدم إليه كل ما في جوف آبار الحاسي الأبيض (الحسي) من مياه، لكن سي إبراهيم، ولقرب هذه الآبار من سفح

جبل فزوز، واحتمال أنها قد لا تخلو من كمائن، لم يقترب منها رغم شدة عطشه، بل تجاوزها على ما به من ظمأ وتعب وتأثر، ألى غاية بلوغه "عين الشيخ بن التومي" (شخنابة الشيخ)، " شرقي آبار " الحاسي الأبيض" تلك، وكان الليل لا يزال مخيما، والأرض مقفرة خالية والصمت يلف الأنحاء منذ أن أجبر المحتل الفرنسي سكان بواديهها على النزوح مكرهين نحو محتشد عسلة، وبذلك اختتمت ليلة إبراهيم، وقد كانت ليلة ليلاء بحق، غادر الطالب إبراهيم "عين الشيخ بن التومي"، الواقعة على بضع كيلومترات جنوبي غربي عسلة، بعد أن شرب من مائها، غادرها لقربها من بلدة " عسلة "، وأيضا لانبساط الأراضي المحيطة بها، منسحبا إلى أقرب منطقة أكثر أمنا، ( قيل إنه اتجه شرقا إلى "حجرات بوذن"، وقيل إنه كمن بكهف بأكمة "الشيخ بن التومي" ذاتها)، وهناك مكث منتظرا انبلاج الصباح، لأنه سيأتي لامحالة بأصحاب قطعان الأغنام ممن يمكنهم مغادرة المحتشد، اعتمادا على تراخيص من ضابط المصالح الإدارية الاختصاصية S.A.S باعتبارهم رعاة أغنام ومربين محترفين، وهكذا كان السيد بن أقرع الحاج إبراهيم أول من عثر على الطالب إبراهيم، وقد وجده - حسبما نقل عنه - في حال من الإجهاد، ونوبات إغماء تعاوده نتيجة ما واجهه يوم أمس، وليلة البارحة من هول تلك المعركة الضارية، فقام سي إبراهيم بن قرع تجاهه، بكل ما يلزم، بحيث قدم له كل ما كان معه من زاد، جزاه الله خيرا، قبل أن ينقل الخبر إلى قيادات عروش الثورة بعسلة.

## حصيلة المعركة:

جاءت حصيلة معركة جبل فزوز في وثيقة الطالب إبراهيم على النحو الآتي: - شهيدان من المجاهدين، و 65 بين قتيل وجريح في صفوف الجيش الفرنسي، من بينهم 09 ضباط وطبيب واحد، وفي إفادة ثانية يؤكد الحاج عبد الكريم قدوري - وهو كما أسلفنا من الأسرى الذين أحضروا يومها، وكانوا ينقلون الجرحى والقتلى الفرنسيين إلى حيث تجثم الطائرات العمودية - أن عدد القتلى بلغ 32 فردا، أما الجرحى فيتجاوز عددهم الحصر، وأن هذا العدد من القتلى، هو الذي شارك هو في حمله، إلى جوار الطائرة العمودية، التي كان هو وآخرون يضعون القتلى قريبا منها، غير مستبعد أن تكون هناك جهة أخرى أو أكثر كان أسرى آخرون ينقلون إليها القتلى والجرحى، بالإضافة إلى هذه الجهة التي كان بها هو، لأن تعدد جهات نقل القتلى و الجرحى، يسمح للعدو بالتكتم على عددهم الحقيقي، الذي لا يمكن أن يكشفه للأسرى ، أو لغيرهم.

وأضاف، بأن القتلى لم يتم نقلهم بالطائرات العمودية في اليوم الأول، رغم أن جثامينهم باتت مصففة بالقرب من تلك الطائرات، ربما لأن الأسبقية أعطيت لنقل الجرحى بهدف إسعافهم، أو كان ذلك لإعتبارات أخرى، نقول، في الوقت الذي عرفنا فيه العدد الذي قدمته وثيقة الشهيد الطالب إبراهيم، والعدد الذي أورده الحاج عبد الكريم قدوري، تفيد إفادة ثالثة بمقتل ستين عسكريا من القوات الفرنسية يومئذ، شارك المجاهد قوراري عبد القادر في إخلائهم، وكان يقوم بإحصائهم واحدا واحدا، كما نقل إلينا ابن إخيه السيد

قوراري محمد (والعهدة على الراوي)، وإلى جانب الإفادات الثلاث المذكورة، يقدم الحاج بلحيا حيدار إفادة رابعة، يقول إنها نقلًا عن إبراهيم، تفيد بأن عدد القتلى في صفوف القوات الفرنسية، بلغ 70 قتيلًا، بينما لم يتجاوز عدد الجرحى في حال الخطر الـ 20 جريحًا، وإذا استعدنا رواية سابقة للحاج بلحيا حيدار نقلًا عن الطالب إبراهيم أيضًا، تقول بأن ما كان معهم من الذخيرة، قد بلغ 100 طلق ناري خاص بالبندقية من جهة، ثم جئنا بوثيقة الطالب إبراهيم التي أخبرنا فيها هذا الأخير، أن ما فضل معه من الذخيرة أثناء انسحابه، لم يتجاوز 20 طلقة نارية من جهة أخرى، أدركنا أن الروايات الأربع كلها متقاربة، ونحن هنا لسنا في وارد الفصل بينها بطبيعة الحال.

## روايات إضافية حول معركة فزوز:

### أولاً / خاصة باليوم الأول:

#### أ - الاحتماء بالأسرى أثناء حملهم الجثث:

روى الحاج عبد الكريم قدوري: ((أن الجنود الفرنسيين غالبًا ما كانوا يسيرون خلفنا نحن الأسرى، كما لو أنهم ملتصقون بنا، فأثناء إقبالنا على ميدان المعركة لحمل الجرحى أو القتلى، يستغل هؤلاء الجنود اقتربنا من مكان المجاهدين ما أمكن، كما لو كنا سواتر متحركة، أما أثناء انصرافنا من ميدان المعركة، ونحن نحمل الجرحى إلى حيث مرابض الطائرة العمودية وراء ضفة الوادي، فيندفعون إلى السير أمامنا متظاهرين بالانسحاب، بدعوى التزود بمزيد من الذخيرة، أو غير ذلك، لأن قيادة العملية توجد وراء تلك الضفة)).

#### ب - استخدام الأسرى دروعًا بشرية علنا:

ومن جهته، يروي الحاج بلحيا حيدار نقلًا عن أسير ثان، أُحضر إلى ميدان معركة فزوز، واسمه الحربي "قنيفيدا"، وهو من مدينة المشرية، قال: "عمد أحد العسكريين الفرنسيين إلى استخدام الأسير قنيفيدا هذا درعًا بشرية، بحيث وضعه أمامه، وأجبره على السير نحو صخرة قريبة من موقع الطالب إبراهيم، وكان هذا العسكري قد اعتمز رفقة خمسة عشر عسكريًا آخر - اصطفوا خلفه - القيام بهجوم جماعي، ومنسق على إبراهيم، لكن حين اقتربنا من هذا الأخير، وهمّوا باقتحام موقعه - يضيف السيد قنيفيدا - رمانًا بقنبلة أفلحت في تراجع العسكريين المهاجمين، أما العسكري صاحب المبادرة، فقد سقط على الأرض، ولم أعرف ما جرى له بعد ذلك.

بالأسفل صورة الموقع الذي أسقط فيه الطالب إبراهيم، النقيب الفرنسي الداعي لتكثيف الهجوم، وقريبا منه أسقط الطبيب الذي أنزلته العمودية على جناح السرعة، لعلاج ذلك الضابط لأهمية رتبته.

لاحظ اسم هذا الطبيب بالملحق فقد أثبتناه بالنسخة الاليكترونية لأننا عثرنا عليه بعد صدور النسخة الورقية للكتاب.



### ج - مصرع الطبيب وإغضاب اتفاقيات جنيف:

لقد أشارت وثيقة الطالب إبراهيم - كما مرّ معنا - حين تحدثت عن حصيلة المعركة، إلى وجود طبيب ضمن قتلى الجيش الفرنسي، وتتفق إفادات السادة حيدار الميلود، وحيدار المازوزي، وحيدار بلحيا - وكل من حضروا تسجيل أحداث هذه المعركة - أن أحد الضباط الفرنسيين (كان برتبة نقيب)، أخذ ينادي بأعلى صوته: "هجوم. هجوم."، وقد كان يستند إلى ظل صخرة بقمة الضفة، فما كان من الطالب إبراهيم إلا أن سدّد نحوه بندقيته، ثم رماه برصاصة فأصابه، فنودي فوراً على الطبيب الذي جاء به حوامة من الجو (هيليكوبتير)، فاقتربت من الأرض فأنزله على عجل، وغادرها مرتدياً ملأته البيضاء (كحصانة حرية)، متوجهاً نحو الضابط المصاب، فما كان من الطالب إبراهيم إلا أن عاجله هو الآخر برصاصة، ليستقر قريباً من الضابط الذي جاء لعلاج.

وعند هذا المشهد فقط، تذكر الفرنسيون أن هناك موثيق دولية تُجرّم قتل الطبيب في الحروب، بحيث صاح أحدهم وهو يرى الطبيب صريعا: ((هذه جريمة حرب، فالطبيب لا يُقتل))، وكأن هذه الموثيق، قالت بقتل وحرق وحصار كل شيء في هذا الجبل، وفي غيره من بقاع الجزائر، إلا طبيههم هذا، حتى ولو كان في طريقه إلى إنقاذ ضابط من مجرمي الحرب، والمحرضين على الهجوم و القتل، يقول السيد الميلود حيدار: "إن الشهيد محمد الشلالي، قائد الناحية الثانية، قد زار موقع معركة فروز في ليلة لاحقة، وهو الذي عشر على نظارات هذا الطبيب، الذي كان إبراهيم قد قتله قريبا من ركام الحجارة، وكانت قد سقطت في المكان الذي قُتل فيه (لاحظ الصورة).

## د - التحريض على الهجوم:

لم يكن النداء المتكرر بالهجوم، الذي مافتى يردده الضابط الذي أصيب وهرع إليه الطبيب من الجو، سوى واحد من نداءات كثيرة بالحض على التقدم، التي كان يصرخ بها في حنق، قادة العملية المتمركزون خلف ساتر الضفة، حيث يوجد مركز القيادة، حسب السيد الحاج عبد الكريم قدوري، الذي كان يحدثنا وهو ينعت أعلى هؤلاء الضباط رتبة تارة بالعقيد، وطورا بالرائد، فضلا عن مجموعة من النقباء والملازمين وضباط الصف، وكان الكل يدفع بالجنود دفعا إلى الأمام باتجاه الجانب الآخر من الضفة، كانوا يدفعونهم - كما أسلفنا أعلاه - إلى الجانب الملتهب، حيث تصنع البندقية /البلج/ لوحدها أروع البطولات، لكن التقدم إلى الأمام بالنسبة للقوات الفرنسية وأذناها ممن باعوا ضمائرهم، كان يعني الموت المحقق، حيث كان كل من يحل ضيفا على الضفة المقابلة لموقع المجاهدين، إلا و يقتل أو يصاب، أو يسارع إلى التراجع، موليا الأدبار قبل أن يلحق به أذى.

ولذلك حدث في أوساط الجند الفرنسي، ليس فقط ما يشبه رفض غير معلن للقيام بأي هجوم، بل حدث تراجع مستمر إلى خلف الضفة، التي تشكل واجهتها الأخرى ساحة للمعركة، فلم تتشكل من بين القوات الفرنسية - نتيجة لذلك الرعب والخوف - أية طليعة قتالية أمامية قد تنفرد بالهجوم، أو تقود بقية القوات إلى التحرك نحو موقع المجاهدين في جرأة وإقدام، وإذا لم تكن في مستوى الهجوم، فعلى الأقل القيام بما كان سيمكنها من إحراز مواقع قتالية متقدمة بأعالي الضفة، المباشرة لمكان المجاهدين، أو حتى منحدرها القريب منهم، وهو ما لم يحدث أيضا، لأنه ما من عسكري حاول التقدم، إلا و سقط صريعا، سواء أثناء المرحلة الأولى، مرحلة الشهيد الإفريقي، أو مرحلة الطالب إبراهيم، وما سقوط الضابط الذي كان يدعو إلى الهجوم، ثم مصرع طبيبه الذي جئ به لإنقاذه، وعلى قمة الضفة ذاتها، إلا دليل على ضراوة المقاومة الفردية للشهيد.



بل إن كثرة المنهزمين تباعا، والمولين الأدبار، أثارت حنق الضباط، لاسيما القائد الأعلى للعملية، الذي أخذ صراحة يزيد ويهدد، ويتوعد بتوقيع أقسى العقوبات، كما يستطرد الأسير الحاج عبد الكريم قدوري، وقد كان موقع هذا القائد قريبا من الطائرة العمودية، الجاثية التي تنتظر مزيدا من الجرحى لتقلع باتجاه ما، ولعل هذا التزايد المضطرد في عدد الجرحى، وهذا التكاثر الذي تعرفه صفوف القتلى المتراصة الماثلة أمام قائد العملية ومساعديه ومختلف الضباط، هما اللذان جعلوا المشهد مخيفا في نظر هؤلاء، مما ضاعف من حنقهم وأفقدتهم صوابهم، فصبوا جام غضبهم على الجنود البسطاء.

## ثانيا/ روايات متعلقة باليوم الثاني:

### أ - تمويه وتغليط:

ساق رواة معركة جبل فزوز، عدة روايات بخصوص أساليب تمويه الحقائق، وفنون التغليط اللذين اعتمدهما قادة تلك العملية الفرنسيون، لاسيما حينما زار مكان الموقعة، أحد سامي ضباطهم في اليوم الثاني، ( الجمعة 1959/07/03 ) من ذلك، هذا المثال الصارخ :

### ب - استغلال نبات الحلفاء (روايتان):

فقد روى الذين زاروا المكان بعد المعركة، وذلك بنية دفن رفاتي الشهيد بن سليمان حيدار، و الطاهر مختاري، أنهم وجدوا نبات الحلفاء الذي تتميز به تلك المنطقة، وقد تم حرقه على امتداد الضفة الأمامية التي كانت مسرحا للمعركة، فأدركوا أن ذلك تم من قبل القوات الفرنسية للتغطية على دماء قتلاها، التي سألت عبر المنحدر إلى أن كادت

صورة تقريبية فقط



تغطيه، وأضافوا، أن هذه الدماء صارت سوداء اللون، بل وشبيهة بالقطران بفعل تلك النيران، أما من كانوا معتقلين لدى القوات الفرنسية وحضروا تلك الموقعة، فقالوا إن ذلك إن حدث فلم يحدث أمام أعين الأسرى، بل ربما حدث بعدما أعيدوا إلى معتقل المدينة.

ودائما بخصوص نبات الحلفاء، روى الأسير الحاج قدوري عبد الكريم، أن القوات الفرنسية قامت باقتلاع نبات الحلفاء فعلا، لكنها وضعت فوق جثماني الشهيد فآخفتها، لكيلا يكتشفها الضابط السامي الذي زار المنطقة، واستمع إلى (الحجج) التي قدمها ضباط العملية لتبرير سقوط هذا العدد الكبير من قتلاهم وجرحاهم، زاعمين أن كميننا نصبته (فصيلة) (19) من جيش التحرير لقواتهم، فاشتبكوا مع رجال الكمين، ثم فرّ أفرادهم بعد أن أوقعوا بهم ما أوقعوا على حين غرة، وردا على مسألة تغطية جثماني الشهيد بالحلفاء، يقول بعض من حضروا عملية دفن جثمانيهما، إنهم وجدوا الجثمانين بدون غطاء من الحلفاء،



وهذا يفسر أن قادة العملية بعد أن انطلت حيثهم على الضابط السامي، أبعادوا هذه الحلفاء من عن الجثمانين حتى لا تفسر تلك التغطية لدى من سيعثر عليهما فيما بعد، على أنها شكل من أشكال الاهتمام بالشهيد، أو قد يكون لذلك معنى آخر.

أغلب الذخيرة الحية، تركت على امتداد هذه المنطقة العلوية (الصورة).



## ج - ذخيرة حية بمواقع الجند:

لكن هناك أشياء لم يطلها التزييف لأنها تمت في غفلة من هؤلاء الضباط، ومنها هذه الشهادة التي يقدمها السيد حيدار الميلود، وقد وقف على حقيقة أمرها رفقة الطالب إبراهيم، وهما يطوفان بميدان المعركة،

حيث عثرا على كميات هائلة من الذخيرة الحية، (رصاص جاهز)، أي خراطيش غير خاملة بالتعبير العسكري، عثرا عليها بمواقع الجنود الفرنسيين، مما يفسر - في نظر الراوي - أولا عدم مشاركة هؤلاء الجنود عمليا في المعركة، خوفا من اكتشاف مواقعهم من طرف المجاهدين، لأن ذلك سيؤدي إلى القضاء عليهم، وثانيا أنه يبرر عودتهم إلى موقع قيادتهم خارج مجال المعركة، (أي خلف الضفة)، أي إلى بر الأمان، طلبا للذخيرة بدعوى أنها نفذت، وكل هذا خوفا من البقاء بجهة القتال.

## قصص أخرى:

من بين القصص التي أثارها معركة جبل فوزز وحيكت حولها، قصة الحركي (بسكون الراء) الذي قيل إنه حاول - في اليوم الثاني - إضرام النار في جثمان الشهيد حيدار بن سليمان الإفريقي، أو التمثيل به، ليظهر بمظهر المنتقم للجنود الفرنسيين، والخونة الذين قتلهم الشهيد، وذلك تملقا من هذا العميل للضباط الفرنسيين، لكن ضابطا فرنسيا انتهره بقسوة قائلا: ((لقد كنا ننتظر من يفعل به ذلك حين كان حيا ، أما الآن فقد مات، وهذا يكفي)). وقد سيقت إلينا هذه القصة من طرف الحاج بلحيا حيدار، وهي قصة سمعنا بها منذ أيام تلك المعركة على كل حال، وربما ما يرجح صحتها، أنها قصة قديمة متداولة منذ أيام الثورة.

كما تحدثت هذه القصص، عن الضابط الفرنسي السامي الذي زار الموقعة في اليوم الثاني، ناسبة إليه أنه أدى تحية عسكرية إلى جثمان الشهيد بن سليمان (الإفريقي)، قائلا إنه جدير بالاحترام، لكن هذه الرواية - وإن كانت هي الأخرى قديمة، قدم معركة فوزز - إلا أن لنا عليها اعتراضا، وهو أنها لا تنسجم مع قصة تغطية جثماني الشهيد بن نبات الحلفاء، إذ كيف يّحي هذا الضابط جثمانا أخفاه عنه ضباطه قبيل مجيئه؟

ثم إن الحاج عبد الكريم قدوري، حين سألناه عن هذه الحادثة، اكتفى بالقول، بأنه لم يكن موجودا بعين المكان في اليوم الثاني، ومن ثمة فهو لا ينفىها ولا يشتهاها.

## حينما حزن سي العربي ولم يسغ الطعام:

هذا الخبر ساقه الحاج بحوص حيدار قال، إنه كان في ذلك اليوم ( يوم المعركة 1959/07/02 )، رفقة كل من حيدار بوبكر، والراحل حيدار محمد بن ابراهيم، يقومون بعملية حصاد في منطقة "مصران" ( لاحظ الهامش 6 ) شمالي بلدة عسلة، وأثناء ذلك ذهب محدثنا بطعام إلى كهف قريب من حقول الحصاد، كان يختبئ فيه آنذاك ثلاثة مجاهدين هم، سي العربي حيدار ( شهيد ) (20) - لاحظ حياته في الفصل الخاص بالتراجم، وهو أخو الحاج بحوص - وحيثالة محمد بن الناصر ( شهيد )، ومجاهد آخر، فلما وصل إليهم بادره سي العربي بالسؤال، عما إذا رشح من خبر بخصوص هذا القصف الذي يسمع غربا ودوي الرصاص، قال الحاج بحوص، فوضعت الطعام أمامهم، وقلت حين كانوا بصدد الشروع في الأكل، لقد أفاد بعض المجاهدين، ممن انسحبوا من تلك الجهة، أن الأمر يتعلق بقتال يخوضه سي بن سليمان (الإفريقي) ضد القوات الفرنسية بجبل فروز، قال فعندما سمع سي العربي كلام ، أعاد الملعقة إلى صحن الطعام قبل أن تصل إلى فمه ولاذ بصمت، ورسمت ملامحه حزنا عميقا، وهكذا لم يسغ سي العربي الطعام، لأنه ابن عم بطلي معركة فروز بن سليمان (الإفريقي) و ابراهيم، ومن ثمة بدا عليه كل هذا التأثير حين علم بأنهما المعنيان بتلك المعركة الرهيبة، التي كانت تدور آنذاك وقد عم دويها كل المنطقة، ثم أننا أوردنا هذا الخبر، لأنه يفيد ان القوات الفرنسية أغرقت جبل فروز بالقصف، ودوي الرصاص منذ هذا الوقت المبكر، أي قبل الزمان الذي حددته وثيقة الطالب إبراهيم لاندلاع المعركة.

## سي بوعمامة يثني على "بلج" الإفريقي:

سي بوعمامة بوحلة وجه من وجوه جيش التحرير الوطني، ما أن تراه حتى تتذكر الثورة التي أعطها زهرة شبابه، وهو بطبيعته ليس كثير الكلام، لكن ما أن يكون محتوى هذا الكلام، يدور حول الثورة وخصوصا في جانبها العسكري، حتى تراه نعم الراوي الذي يجبر كل من حضر على الإنصات، ليس لأنه الأعلام بما حدث فقط، بل ولأنه الثقة و الطرف الموثوق بكلامه، قال مثنيا على بندقية الشهيد الإفريقي " البلج "، التي

كانت عماد معركة " فزوز"، إنها من النوع النادر في المنطقة آنذاك، سواء من حيث خفة وزنها، أو دقة إصابتها، أو قصر قامتها، وهي معاني لا يعرف سرها إلا العسكريون بطبيعة الحال، وقد أدرك الشهيد هذه الأسرار فيها، بحكم طول تعامله معها، إلى آخر لحظة في حياته، وحين ودّعه لم تثق في يد أخرى غير يد شقيقه إبراهيم، التي لم تكن أقل تبيلا لها وتشريفا.

## "حجرة الإفريقي" كبوابة عبور للمجاهدين:

هكذا تُسمى، وهكذا عُرفت خلال الثورة المسلحة، و هي صخرة عظيمة تقع بمنطقة جراويين، (على مشارف طريق عين ورقة)، يقول سي بوعمامة بوحلة - الذي هو مصدرنا الأوحده في هذا الباب -، إنها كانت مركزا عسكريا للعبور، يُشرف عليه الشهيد الإفريقي، يتزود منه أفراد جيش التحرير، و يستريحون به أثناء قدومهم من الجهة الغربية، ( الحدود) صوب الشرق، وكذا مرورهم من الشرق نحو الغرب، أي عبر المنطقتين الثالثة والثامنة، بالإضافة إلى المتجهين منهم من الصحراء نحو الشمال والعكس، وهكذا عُرفت هذه الصخرة لدى أفراد جيش التحرير، والمسبلين " بحجرة الإفريقي".

لاحظ هوامش الفصل الرابع بملحق الهوامش والإحالات.

# وثائق:

أولاً: ثبت وثيقة حيدار إبراهيم (الطالب إبراهيم)، الخطية في وصف مجريات معركة فزوز:

يوم ١٩ . ٧ . ٥٩  
 EXPOSITION زهرة اخبارية  
 المشهد  
 في يوم الخميس الثاني من شهر  
 اجوان الثاني سنة ١٩٥٩  
 لثورة جبل افزون

عندما كان هذا اليوم المذكور كانوا جنود من جيش التحرير الوطني الجزائري كانوا من هذا الجبل  
 المذكور وهو جبال امراة بقوله طليعة ولقت بالجنود بقضبا من بعضهم على ملحة الراس  
 منسا والجنود عدد ثلاثة فلما قربوا منهم تحلم بينهم البرود وهم عند هرب بلح واحد فلم يزلوا  
 كذلك في الفري الشديه وكانوا يجوزوا متفارين بين منهم بشدة البرود ويردهم الا لا يهربون بل يرمون  
 وكلح منهم ما لا يعمل فلما بلغت الساعة السادسة استشهدوا الذي ابرهني والاي الفاهرا في  
 المتحار رحمهم الله تعالى هذا والشهداء المجهدين  
 واستعملوا الا ابرهني بعد الاتحار وايضا في الحرب الشديدة مع الاستعمار اليه كملد انما العز  
 عليه يردهم بالارصاد والله هو المستعان ولم يزلوا في الحرب الشديدة حتى بلغت الساعة  
 الثامن ونصف مساء النهار المذكور قبله بل ارتفع القتال والحلم النصار ونزل كل متعلق وموقعه  
 وهم دائري به كمثل البراد ولم يتكوه بوجه بينهم ابدا والاخ ابراهيم لما اتم عليه الليل فقتل  
 الشهداء على التوائف والاراهيم والسوايع ولم يترك لهم شيء كل الذي لقله جله معه واراد الانسحاب  
 من بينهم ومعه من السلاح يدوية نوع بلح موزيل المبادلة وقنبولة يدوية ومعه من الفرط لم يبقوا اكثر من عشرين  
 من لانس فلما كان الامر كذلك واراد الانسحاب وعثر على الخروج التي نزل متوجها نحوهم يشي  
 مشية رفيعة فلما بلا بينه وبينهم نحو ثلاثة تكومات فنضروا وارادوا اريدوا عليه فموتوا  
 بسيفهم ورموا عنهم القنبولة التي معه فلما راوه من جهة اليمين فزوا هاربا من املهم فلما روهم  
 في ذلك الحال كلف عنهم رصاصه بلح واحد اصاب احد منهم وقتلته وقضوا الارض وعيلوا على  
 الياسه ليضربوا العدو والاخ ابراهيم لما ضربهم فورا من تلك الموضع نحو تحطوت فليلات وقبض  
 الارض كملهم بوزات القنابل وقلعة منجيات فخرج الليل نهار والله هو الساتر الجبار فلما حضرت  
 بينهم البيدست في الموضع التي ضربهم منه وترجع والاخ كعبتي قوله الرصد والافوا  
 هم من بينهم واسترد الله اخبار الموت من العدو ملت من العدو في موت ومجروح هبهم في ضلله  
 وكثيبا واحد والافوا عمسكي ومن الجنود اثنين رحمهم الله ولعنة الله على الكافرين

يوم 59 /7/ 19

رقم

نشرة إخبارية

EXCONPOSITION

العدد (غير واضح)

هاذا(هذا) خط المجاهد إبراهيم

لثورة جبل افـــــــــزوز(1)

في يوم الخميس الثاني في شهر جوان

الثاني سنة ١٩٥٩

عندما كان هذا اليوم المذكور (كانوا) (2) جنود من جيش التحرير الوطني الجزائري كانوا عبر هذا الجبل المذكور وجاءت فرنسا بقوة عظيمة ولحقت بالجنود فتقربا من بعضهما على ساعة الرابع ( الساعة الرابعة) مساء والجنود عدد ثلاثة فلما قربوا منهم تكلم (3) بينهم البارود. وهم عندهم بلج واحدة (4) فلم يزالوا كذلك في الحرب الشديد (ة) وكانوا يجينوا (يجينون) متقاربين (5) منهم بشدة البارود ويردهم الأخ الإفريقي (6) بالرصاص. وطاح منهم ما لا يحصى. فلما بلغت الساعة السادس (ة) مساء استشهد الأخ الإفريقي والأخ الطاهر بن المختار (6 مكرر) رحمهم (رحمهما) الله تعالى هما والشهداء أجمعين.

واستخلف الأخ إبراهيم (7) بعد الإخوان (الاخوان) وأبقى (وبقي) في الحرب الشديد مع الاستعمار الخبيث. كلما أرادوا (العزم) (8) عليه يردهم بالرصاص والله هو المستعان فلم يزالوا في الحرب الشديد حتى بلغت الساعة الثامن (ة) ونصف (والنصف) مساء النهار المذكور قبل.

فارتفع القتال واطلم النهار و [بقا] (بقي) (9) كل منهما في موقعه وهم دائرين (اودائرون) به كمثل الجراد. ولم تكن (فوجة) (10) بينهم ابدا . والأخ إبراهيم لما اظلم عليه الليل فتش الشهداء على



الكواغظ (الكواغذ) (11) والدراهيم والسوانع (الساعات) ولم يترك لهم شيئا. كل الذي لقاه (لقيه) حملة معه واراد الانسحاب من بينهم ومعه من السلاح بندقية نوع بلج موزيل المجاهدة وقنبلة يدوية ومعه من القرطاس ولم يكون ( يكن ) أكثر من عشرين قرطاس ( قرطاسا)(12).

فلما كان الأمر كذلك وأراد الانسحاب وعزم على الخروج أتى قابل (13) متوجها نحوهم يمشي مشية رفيقة فلما بقا ( بقي) بينه وبينهم نحوى ( نحو) ثلاثة ( ثلاث) خطوات فنظروا له (14) وأرادوا أن يطلقوا عليه قوة الرصاص فسبقهم و رما (رمى) عنهم ( عليهم) القنبولة ( القنبلة) التي معه ولما رأوها متوجهة إليهم فروا هاربين من أمامه فلما رأهم في ذلك ( تلك) الحال اطلق عنهم ( عليهم) رصاصة بلج واحدة اصابت واحد ( واحدا) منهم فقتلته وقبضوا الأرض (15) وعيطوا(16) على البياست ( البياسة) (17) ليضربوا العدو. والأخ إبراهيم لما ضربهم فر من تلك (ذلك) الموقع نحوى ( نحو) (18) خطوات قليلا وقبض الأرض مثلهم. فجاءت الطائيرة (الطائرة) وطلقت(أطلقت) صنيلات (19). فرجع الليل نهار (نهارا) والله هو الساتر الجبار. فلما حضرت (احضرت) بينهم البياست ( البياسة) ضربوا الموقع الذي ضربهم منه وتركهم. (20) والأخ لما كفت قوة الرصاص و الضوا ( الاضواء) خرج من بينهم وستره الله (21).

أخبار الموت (الموتى): من العدو 65 فردا بين موت (أي ميت) وجريح. فيهم 09 ضباط وطبيب واحد والباقي عسكري. ومن الجنود اثنين (اثنان) رحمهم (رحمهما) الله ولعنة الله على الكافرين.

## الهوامش: (الهوامش إضافة من محقق الوثيقة، أي مؤلف هذا الكتاب):

- 01 - أفروز: جبل بولاية (النعامة)، يقع ضمن سلسلة جبال القصور — جوان الثاني: هنا هو شهر جويلية (يوليو)، كما يشته التاريخ الذي كُتبت فيه الوثيقة الخطية (انظر اعلاه).
  - 02 - جاءت هكذا بصيغة الجماعة في الوثيقة الأصل الخطية بدل (كان).
  - 03 - تكلم البارود هنا، بمعنى نشب القتال.
  - 04 - البلج: نوع من البنادق معروف زمن الثورة، وهي بندقية الشهيد الإفريقي.
  - 05 - بمعنى قريبا منهم، أي كانوا يحاولون الهجوم اعتمادا على تكتيف النيران.
  - 06 - هو الشهيد ابن سليمان حيدار (الإفريقي)، شقيق السيد إبراهيم كاتب الوثيقة، ولمزيد من التوسع في حياته، أنظر كتاب " من شهداء ثورة التحرير" إعداد المنظمة الوطنية للمجاهدين ص102 ومجلة أول نوفمبر العدد 1978/27، و ملخصا للمقال المذكور في أحد أعداد مجلة الجيش، الصادرة عن الجيش الوطني الشعبي (باللغة الفرنسية).
  - (6 مكرر) لعل هذا اسمه الثوري، أما اسمه الحقيقي، فهو مختاري الطاهر.
  - 07 - إبراهيم، هو كاتب هذا النص الأصلي، استشهد في واقعة الشرشيرة، (لاحظ قصة استشهاده) في هذا الكتاب.
  - 08 - أي كلما همّوا بالهجوم عليه.
  - 09 - (بقا)، تبدو الكلمة في النص الأصلي كذلك، مع صعوبة تحديد حروفها.
  - 10 - في النص الأصل، جاءت فوجة بدل فجوة.
  - 11 - هي الوثائق ذات الصلة بأسرار الثورة طبعاً.
  - 12 - أي وما معه من (القرطاس)، لم يكن يتجاوز عشرين (قرطاسا)، و(القرطاس) هنا هو الذخيرة الحربية، أي الطلق الناري طبعاً.
  - 13 - كلمة (قابل)) هنا، إما بمعنى (مقبل) عليهم، أو ربما دلالة على القبلة التي انسحب باتجاهها السيد إبراهيم.
  - 14 - هكذا تبدو الكلمة في الوثيقة الخطية، (تفيد معنى أنهم رصدوه).
  - 15 - أي انبطحوا.
  - 16 - نادوا باحضارها.
  - 17 - البباسة (مدفع رشاش).
  - 18 - أي بخطوات قليلة، بدل الموقع الذي ضربهم منه خوفا من ردة الفعل.
  - 19 - أضواء استكشافية كانت تُطلق من الجو.
  - 20 - لم يرد عليهم خوفا من أن يحددوا موقعه، وقد أصبح قريبا منهم.
  - 21 - أي اخترق الحصار المضروب عليه، وانسحب سالما.
  - 22 - عدد الموت (الموتى) أي: نتائج المعركة.
- ملاحظة: ما ورد بين هلالين من تصحيح إملائي، أوردناه تسهيلا لفهم هذه الوثيقة، دون أن ينال ذلك من روح النص. كما أن الفواصل بين الفقرات من وضعنا. (المحقق).

ثانيا) ثبت رسالة النعي (التعزية)، التي أرسلتها الناحية الثانية، معددة فيها مناقب الشهيد الإفريقي:

الولاية الإفريقية

REGION 2

مكتب التعليم والادارة بالولاية  
 رقم الملف: ... / ... / ...  
 تاريخ: 1989 / 7 / 15  
 الموضوع: ...

مما بينك وبيننا يا بني ...  
 لك يا ذوق ...  
 في سعادة ...

مما بينك وبيننا يا بني ...  
 لك يا ذوق ...  
 في سعادة ...

مما بينك وبيننا يا بني ...  
 لك يا ذوق ...  
 في سعادة ...

مما بينك وبيننا يا بني ...  
 لك يا ذوق ...  
 في سعادة ...

مما بينك وبيننا يا بني ...  
 لك يا ذوق ...  
 في سعادة ...

مما بينك وبيننا يا بني ...  
 لك يا ذوق ...  
 في سعادة ...

مما بينك وبيننا يا بني ...  
 لك يا ذوق ...  
 في سعادة ...

مما بينك وبيننا يا بني ...  
 لك يا ذوق ...  
 في سعادة ...

مما بينك وبيننا يا بني ...  
 لك يا ذوق ...  
 في سعادة ...

مما بينك وبيننا يا بني ...  
 لك يا ذوق ...  
 في سعادة ...

مما بينك وبيننا يا بني ...  
 لك يا ذوق ...  
 في سعادة ...

مما بينك وبيننا يا بني ...  
 لك يا ذوق ...  
 في سعادة ...

مما بينك وبيننا يا بني ...  
 لك يا ذوق ...  
 في سعادة ...

مما بينك وبيننا يا بني ...  
 لك يا ذوق ...  
 في سعادة ...

مما بينك وبيننا يا بني ...  
 لك يا ذوق ...  
 في سعادة ...

مما بينك وبيننا يا بني ...  
 لك يا ذوق ...  
 في سعادة ...

مما بينك وبيننا يا بني ...  
 لك يا ذوق ...  
 في سعادة ...

مما بينك وبيننا يا بني ...  
 لك يا ذوق ...  
 في سعادة ...

مما بينك وبيننا يا بني ...  
 لك يا ذوق ...  
 في سعادة ...





## إعادة كتابة نص رسالة النعي (التعزية)، مع الشرح تسهيلا لفهمها:

الجمهورية الجزائرية

جبهة وجيش التحرير الوطني الجزائري

الرقم 240/ ن 2 / م 8 / و 5

يوم 15/7/1959

الموضوع: تمجيد البطل الشهيد الإفريقي.

من النائب السياسي للناحية 2 م 8 الملازم الأول يوسف

إلى قيادتي عرشي " حمزة وزيروت "

وقيادة قبيلتي التبسي.

اخواني وابائي من اعضاء و قيادات اعراش " حمزة و زيروت" و التبسي، وكافة المناضلين و المواطنين، - اقارب الشهيد و افراد الاعراش، اقدم لكم سلامي الخالص، وتحياتي الثورية الوطنية الحارة .

اخواني وابائي اعراش "حمزة وزيروت" و " التبسي "، باسمي الخاص، وباسم القيادة والجيش و الشعب، اشارككم في اساكم في [.....] (1) الثورة و الوطن، في البطل الفحل والاخ الشهيد و الابن البار، الشهيد الصادق والمخلص، الشهيد المرشد السياسي الافريقي، رحمه الله، ورضي عنه.

هذا الرجل البطل الخالد، الذي خدم الاسلام والشعب باخلاص و يقين، والجزائر الغالية والثورة التحريرية بكل قواه، و قت الاعداد والتوحيد، و اثناء اعوام الثورة كلها، منذ يومها الاول، الى الساعة السادسة من عشية، يوم الخميس 02 يونيو 1959 (2) التي فاضت فيها روح البطل المسلم الاخ العزيز الافريقي، وارتفعت الى خالقها شهيدة الحق و الاسلام و الحرية، و الاستقلال للجزائر الغالية، منتقمة للشعب من الاجلاف المستعمرين الفرنسيين خير انتقام.

اخواني وابائي من اعراش " حمزة و زيروت و التبسي "، ان اشتباك جبل فوز يوم الخميس 1952/7/2 بين البطل الافريقي و اخيه الطالب (3) و المختار (4) ، ببندقية البطل الشهيد من جهة ،

و بين قوات [...] (5) الجوية و البرية من جهة ،كامل 6 ساعات ، يعد من اكبر [...] (6) في ثورتنا التحريرية ، في تاريخ الجزائر ، واسطع برهان على ان الله معنا ضد القوم الكافرين ، المستعمرين الفرنسيين و اتباعهم بائعي الدين ، و ابرز حجة على ما يفعله الايمان و الثبات و اليقين ، بالفشل و الخوف والشك.

نعم ان اشتباك جبل فزوز يوم الخميس 1959/7/2 ، ومواقف البطولة و الشجاعة و براهين الايمان و التضحية في سبيل تحرير الجزائر و استقلال الجمهورية ، التي اظهرها كل من الابطال ، الشهيد الافريقي، والبطل الناشئ اخيه ابراهيم والشهيد المختار ، لمفخرة خالدة في تاريخ عرشي " حمزة و زيروت " ، و قبيلة " التبسي" عامة ، و في تاريخ الجزائر الخالدة ، وثورتها التحريرية بزعامة قيادة الجمهورية الجزائرية ، وجيش و جبهة التحرير الوطني الجزائري.

ابائي واخواني من اعراش حمزة - تبسي و زيروت ، اننا في الوقت الذي تتمزق فيه قلوبنا اسفا و حزنا، على البطل الشهيد الافريقي ، لاننسى ان نذكر ما قاله عليه الصلاة و السلام ، في مثل [...] (7) ، قال " العين تدمع و القلب يخشع .." الشهيدين منهم [...] و [...] فخرا ، هؤلاء ابطال معركة فزوز [...] في هذه الاية القرانية الكريمة (( رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم))

اخواني و ابائي من اعراش حمزة و زيروت و التبسي ، ان البطل الشهيد لم يميت ، لانه حي بيننا بنشاطه و باخلاصه و بطولته و شجاعته و مواقفه الثورية الاسلامية الخالدة وبتضحياته [...] (8) ، من اجل الشعب والثورة و الجزائر ، و قد ارتفعت روحه الطاهرة الزكية الى بارئها راضية مطمئنة ، متيقنة من عشرات ارواح الباطل التي [صدها] (9) اثناء المعركة ، لتكتوي بنار جهنم بعد رصاصه في الدنيا ، من ابناء العدو ، ومؤمنة بان عرشه واقاربه ورجاله واخوانه سيتمون العمل الذي سبق فيه وشارك ، يؤدون الامانة ، ويواصلون الجهاد و [...] (10) مثله ، او باكثر، حتى تستقل جزائرنا الثائرة قريبا باذن الله ، لان البيت و العرش والقبيلة و الوطن و الثورة ، التي انبتت البطل الشهيد الافريقي ، لم (كذا) تبخل بانبات امثاله في هذه الاوساط بين اخوانه و ابنايه

ومواطنيه ، فرحمه الله [...] و اسكنه دار الخلد وجنة الفردوس ، ورزقنا الصبر في مواصلة طريقه البطولي ، بمثل ايمانه و صبره و نشاطه ، اذا مات واستشهد الافريق فهو البطل ، وكلكم ونحن الافريقي ، الله اكبر والعزة و [...] و النصر للجزائر. و السلام عليكم جميعا.

## قيادة الناحية 2

المنطقة 8 الملازم الاول

النائب السياسي يوسف



## هامش توضيحي:

- (1) لعل الكلمة التي بين معقوفين هي (فقيد) الثورة والوطن.
- (2) التاريخ الحقيقي للمعركة هو 2 يوليو 1959 أي جويلية، وليس يونيو كما ورد سهوا هنا، وسيدكر كاتب النص التاريخ الحقيقي في المرات الموالية.
- (3) الطالب إبراهيم أي حيدار إبراهيم، وقد اشتهر بتلك الصفة التي تُطلق عادة على من يحفظون القرآن الكريم.
- (4) المختار، يعني الشهيد مختاري الطاهر، ولعله اشتهر في جيش التحرير بالمختار، لأن اسم المختار ورد في الوثيقتين معا، وثيقة الطالب إبراهيم، ووثيقة الناحية هذه.
- (5) و(6) الكلمتان اللتان أشرنا إلى موقعيهما بالنقاط بين معقوفين، غير واضحتين والأولى على كل، تعني قوات العدو الفرنسي، ولعل الثانية بمعنى "أكبر دليل"، أو "أكبر شاهد" إ.خ.
- (7) يبدو أن الكاتب اكتفى من الحديث الشريف بالمقطع الذي يناسب السياق، وإن جاء به كاملا، فغموض الخط حال دون قراءة بقيته، أما ما سبق الاستشهاد بالحديث النبوي، فالكلمة المشار إلى غموضها تُقدّر بمعنى "هذا"، أو في مثل " هذا الموقف ".
- (8) الكلمة الواردة في النص كوصف للتضحيات، غير واضحة بدورها.
- (9) هكذا تبدو الكلمة ظاهريا (صدها)، لكن المعنى الأبلغ " حصدها "، وقد تكون بهذه الصيغة الأخيرة مادام الأمر يتعلق بالأرواح.
- (10) هنا أيضا كلمة من مرادفات الجهاد حسب السياق، لكنها غامضة.

## صور لميدان المعركة ومحيطه مع التوضيح:



الأعلى: مشهد من لحظة الوصول إلى أسفل جبل فوز يوم 20 سبتمبر 2012 لإحياء الذكرى الـ 53 لاستشهاد الشهيد الإفريقي ( حيدار بن سليمان )، وذلك بسفح الجبل الذي شهد المعركة .

الأسفل: جزء من الهضبة المعزولة في نهاية السهل الفاصل بينها وبين سفح جبل فوز، المسماة " الضلعة الحمراء " )



الصورة الأبعد) وبها اختبأ المجاهدان الطاهر حيدار وعبد القادر حفاية، فلم يشاركا في المعركة بعد أن فصل الجند الفرنسي بينهما وبين رفاقهما، وبهذا السهل الفاصل بين الضلعة الحمراء وأسفل الجبل(الشريط المواجه للجبل)، تمركزت آليات الأرمدة العسكرية من دبابات، وعربات نقل جند، ومدافع بعيدة المدى، بعد أن لم تسعفها طبيعة الجبل على المشاركة في المعركة، فبقيت هناك لتدعم عمليات الحراسة من بعيد.



المجاهد الحاج الميلود حيدار يقودنا نحو مكان المعركة صعودا مع الوادي الذي جرت فيه  
بجبل فروز، وهو الوادي الذي سبق للشهداء أن سلكوه، متجهين إلى أعلاه قبيل نشوب المعركة.



- الصورة العامة للوادي بصفته وأعلاه، ومن هنا صعد الشهداء الثلاثة في طريقهم إلى المنعطف الأعلى الذي شكل  
ميدانا للمعركة، وبعد أن نجتاز أشجار البطم هذه، متوغلين في الوادي نحو الأعلى توجد شجرة بطم منفردة، وهي التي  
قصفت محيطها الطائرة المقاتلة الفرنسية في ضحى ذلك اليوم، أثناء صعود المجاهدين الثلاثة مع مسرب الوادي قريبا  
منها، (إفادة الحاج الميلود حيدار نقلا عن الشهيد حيدار إبراهيم)، من هنا نشاهد أعالي الجبل التي كان الشهيد الإفريقي  
يصرّ على الوصول إليها لطبيعة تضاريسها، لولا أن اكتشف أمرهم من طرف الطائرة الاستكشافية حال دون ذلك، (نشاهد  
في هذه الصورة المجاهدين، وأبناء الشهداء، وأحفادهم، ومواطنين، وشبابا ممن حضروا للاستفادة من رواية وقائع معركة  
فروز، ومعاينة الأرض التي كانت ميدانا لها، بمناسبة الذكرى الـ 53 لاستشهاد الشهيد بن سليمان حيدار "الإفريقي").





صورة أكبر حجما نوعا ما لأعلى الوادي الذي جرت به المعركة، وقد كان الشهيد الإفريقي يرغب في الوصول إلى هذه القمة، لأن بها اماكن استراتيجية أفضل بكثير من المكان الذي اضطر فيه لخوضها، بوسط هذا الوادي بالذات.



أرضية المعركة بشواهدها الأرضية ومنها: 1 مكان تمركز المجاهدين (وسط الوادي، حيث توجد صور أشخاص قرب صخرة سوداء) 2 غربها بالزاوية الدنيا للصورة، تقع الصخرة التي تسلل منها قاتل الشهيد الإفريقي. 3 وإلى جانبها، تظهر إحدى صخور الركام الذي أسقط فيه الطالب إبراهيم الضابط الفرنسي، الذي كان ينادي بالهجوم، ثم قتل الطبيب الذي جاءت به الطائرة العمودية لإنقاذه، مما يدل على علو الرتبة العسكرية للضابط.



. وسط الوادي، وهو المكان الذي تموقع فيه المجاهدون الثلاثة بالذات، وظل مصدرا لنيرانهم طوال زمان المعركة، ثم استشهد فيه الشهيدان، حيدار بن سليمان (الإفريقي)، والظاهر مختاري، ولا تزال آثار الرصاص على صخوره. على الصورة، الحاج أحمد حيدار ابن الشهيد الإفريقي يصوب بالبندقية متقمصا شخصية والده، في المكان الذي استشهد فيه هذا الأخير بالذات، ويوجد في الصورة مجاهدون، وأبناء شهداء، وأبناء مجاهدين، يستلهمون من المكان روائع ما صنع أبائهم من أجل هذه الأرض الطيبة.







آثار الرصاص على الصخور التي كانت خلف الموقع الدفاعي للشهيد الإفريقي، ثم إبراهيم من بعده، هذه الآثار تعكس قوة تركيز الروماة الفرنسيين على جداريتها الأمامية بكل عنف، وحقد بعد أن تأكدوا من أن ضراوة المقاومة، لم تترك لهم أي طمع في استسلام هؤلاء الشهداء، أو الوصول إليهم وهم أحياء، فحاولوا إبادتهم من بعيد بكل الوسائل المتاحة لهم، لأن كل دقيقة في حياة الشهيد، تعني سقوط مزيد من القتلى في صفوف قوات الاحتلال.



. الكهف الأسفل الذي تسلل إليه أحد الجنود الفرنسيين بقمة الهضبة، (وقيل حركيا) زاحفا من خلف هذه الصخرة، بعد أن غادر الهضبة الغربية التي كانت تتمركز خلفها، قيادة العملية والعموديات الناقلة للجرحى، وهكذا كمن بهذا التجويف السفلي، فأصبح بذلك في مواجهة مكنم الشهيد الإفريقي من بعيد، ومن ثمة سدّد بنديته (العشارية) وأطلق النار على الشهيد، فاصطدمت رصاصته الأولى بالحجارة التي كانت أمام الشهيد، الذي أصيبت عيناه بما تطاير منها من فتات، فأطل برأسه — ربما لاشعوريا — فأطلق الفرنسي النار ثانية فأصابه في مقتل رحمه الله، (لاحظ التفاصيل في النص)، ثم بهذا المكان بالذات قتل الشهيد الطالب إبراهيم قاتل شقيقه بثلاث رصاصات، (جدارية التجويف الأسفل تحتفظ بآثار عدة رصاصات)، وذلك فور أن استلم بنديته شقيقه وحل محله في المقاومة.





الركام الصخري الذي قتل فيه الطالب إبراهيم النقيب الفرنسي، الذي كان ينادي بالهجوم فهرع إليه الطيب (مرتديا ملاءته الاستشفائية من باب الحذر)، ولأهمية هذا الضابط فقد تم إنزال الطيب من طائرة عمودية بموقع إصابته، وذلك لإنقاذه، فما كان من إبراهيم إلا أن أردى الطيب بدوره قتيلا هو الآخر، فاحتج أحد العسكريين من الناحية الأخرى صائحا: "هذه جريمة حرب، إن قتل الطيب ليس من تقاليد الحروب، أو قال ليس من موثيقها"، ولا شك أن الشهيد إبراهيم (الذي كان يحسن اللغة الفرنسية نوعا ما. أنظر حياته)، يكون قد اندهش لهؤلاء الذين يعتبرون قتل طيب هو وحده الجريمة، وكأن إبادة فرنسا لشعب بكامله - بل لشعوب في إفريقيا وآسيا - هي من صميم تقاليد الحروب وموثيقها.



- جزء من الضفة الشرقية للوادي، (وهي عبارة عن هضبة) رابطت قوات فرنسية أخرى خلفها طوال يوم المعركة، ثم زحفت إلى أعلاها بعد الغروب، لإحكام الحصار على الطالب إبراهيم، ومن هذه الهضبة انسحب هذا الأخير ليلا، بعد أن اشتبك في أثناء الطريق مع أحد أفواجها، و رماهم بالقنبلة التي كانت معه، مما سهّل انسحابه رغم أضواء طائرة الاستطلاع، وإحضار المدفع الرشاش كما جاء في وثيقته، (كان انسحابه حسب الرواة، نحو الاتجاه الذي تتراءى منه في الصورة، بعض الجبال البعيدة شرقا).



نظرة عامة على محيط جبل " فوز"، تتراءى منها الجبال المجاورة، فمن الجنوب الشرقي، جبل "برام" الذي يبدو كأعلى قمة، وعن يمينه تظهر بداية جبل " تانوت"، وخلفهما يمتد جبل " تامدة".

في صيف عام 1985 توقف مؤلف هذا الكتاب قريبا من جبل فوز، الذي جرت به معركة استشهاد والده (الإفريقي)، فجاشت نفسه بهذه الأبيات تخليدا للذكرى 26 لتلك المعركة.

## "في مآتم الإجلال"

وشاخصة للقبر دمن وأهـضـب  
لباق كما الأهرام أقوى وأصلب  
إلى منتهى الأزمان والكهف ناعب  
كما انجرفت بالرافدين الطحالب  
هي النصر - لو تدري - سناه مخضب  
فيسمو إلى حيث الوصال محبب  
كما ابتدعت صفو الخلود الكواكب  
ومبدأ عز والأنا يتهـذب  
على صهوة الأحراش دمدم واثب  
وفجر عمق الأرض في العنف راغب  
وكم فيلق يمّ العراء مكبب  
تضيق بها الأجواء والأفق صاخب  
دقائقها شأن الخوا تتشاءب  
لها في مسام الزهر نسغ مهرب  
إلى الرب روحا للقاء يتوئب  
كما طوّقت بهو العرين ثعالب  
كذاك يموت الحر للعتق طالب  
شعوب تشيع الفخر فيها مناقب  
تسرمد في الأحياء ما عاش ثاقب

أكاظمة عنف الدمار المسارب؟  
ورمسك لو تمحو السيول بطاحه  
تقيم تلال الطود فيه مناحه  
حدادا ضفاف النهر أفرخ حزنها  
ترتل من يوم الحصار قصيدة  
هي الحب إذ يجلو العوالم سحره  
تغنى بها تموز أبداع لحنها  
ضوابط نذر والصمود جبلة  
أماسي كما البركان يطفو لهيبه  
أحال سفوح الطود رخوا فتاتها  
فرنسا. لكم بزّالكتائب " بلجه "  
وطائرة ألوى الدوي عنانها  
وما الدهر من تموز إلا كساعة  
وفي مآتم الإجلال للعرس رهبة  
تهادى شموخ افروز لحظة أسلم  
تطوف فلول الغزو حول رفاتته  
وأعلن في الأجناد صوت مؤبن  
لتحيا على نهج المناعة خلفه  
وللموت في الأوطان منية ثامر

## الفصل الخامس: معارك ذات صلة أعقبت ملحمة فزوز:

### - معركة جبل "بريسط" (1960):

**السياق:** نحاول أن نستجمع ملامح الوضع آنذاك، لعلنا ننشئ ما يمكن أن يمثل سياقاً لهذه المعركة، قلنا أثناء الحديث عن معركة التربة، إن قوات الاحتلال الفرنسي أجبرت سكان البادية على الانتقال بصورة تدريجية عبر الضواحي، (تم تجميع الخيم بوادي بوغرارة في 1958، ثم بـ "شايب راسه" في آوائل 1959)، لِيُنقلوا بعد ذلك إلى بلدة "عسلة" مباشرة، أمام مركز ضابط شؤون الأهالي والثكنة العسكرية، ثم أحكمت طوقها على الجميع بدوا وحضرا معا، داخل محتشد أحاطته بالأسلاك الشائكة والحراسة المشددة، بحيث لم يكن في وسع أي أحد مغادرته إلا إذا تحصّل على تصريح مكتوب، و موقع من طرف ضابط المصالح الإدارية الاختصاصية SAS، (21).

وإذ سُمح للأغنام بالرعي خارج المحتشد، فذلك لم يعف رعاتها من المراقبة، والمفاجأة، والمباغثة، في كل لحظة من قبل القوات الفرنسية، خوفاً من أن يتعاون هؤلاء الرعاة مع المجاهدين، أو يزودوهم بأي شيء من الزاد، أو اللباس أو نقل البريد، أو غيرها مما قد يحتاجون إليه، وفي هذا النطاق تندرج أسباب هذه المعركة المعروفة بمعركة (وادي العمور)، بجبل "بريسط" (جنوبي عسلة)، وتدخل أيضا في عداد معارك جبل "تانوت"، لأن مكانها قريب منه هو الآخر.

و"بريسط" - الذي ظل المعنى اللغوي لاسمه منغلقا عن الفهم إلى يومنا هذا - جبل هرمي الشكل، شاهق عموديا، لكنه محدود الامتداد أفقيا، ومن ثمة، فهو لا يغطي مساحة كبيرة على الأرض، عكس جبل "تانوت" العظيم، الذي يحتضنه من الناحية الجنوبية، إلى حد يُعتقد فيه أنه يعانقه، ولبساطة تركيبته الجيومورفولوجية، لم يعرف جبل بريسط نشاطا قتاليا إبان الثورة، كالذي عرفته الجبال القريبة منه شرقا (كجبل تامدة)، وغربا (كجبل عيسى ومكشر)، وجنوبا (كجبل شماريخ)، وشمالا (كجبل فزوز)، بل و لم يعرف من المعارك حتى ما عرفه جاره الملتصق به، جبل "تانوت" ذاته، وربما لذلك كانت سلطات الاحتلال الفرنسي، تسمح للرعاة والأغنام بالرعي قريبا منه أكثر من غيره.

## المعركة:

لقد اعتاد الحركي - بسكون الرء - وهم من الجزائريين الذين التحقوا بصفوف القوات الفرنسية، وأصبحوا - لاسيما في الأرياف - في الغالب من أعوان ضابط شؤون الأهالي - أعتادوا على القيام بدوريات عسكرية على سهوات خيولهم عبر ضواحي عسلة، للاستكشاف و التحسس و مباغته رعاة قطعان الأغنام، وهذه المرة انتقلوا نحو القطعان التي كانت ترعى بمنطقة " السطح"، قريبا من جبل " بريسط"، وما أن بلغوا هذا المكان، حتى هاجمتهم مجموعة من المجاهدين، بعد أن نصبت لهم كمينا، ففر الحركي لا يلوون على شيء، إلى أن بلغوا " عسلة"، فنقلوا الخبر إلى ضابط شؤون الأهالي، وما هي إلا لحظات حتى غادرت البلدة، قوات فرنسية مدججة، و نصف مؤلفة في طريقها إلى عين المكان.

وكان المجاهدون - بعد هجومهم الذي لم يخلف قتلى في صفوف الحركي - قد انسحبوا نحو جبل تانوت باعتباره الأنسب استراتيجيا، لكن سرعان ما عاد بعضهم إلى مكان الكمين، لأن أحدهم بقي مريضا هناك، ولم يستطع اللحاق بهم - على ما يُقال - بينما كان ثلاثة آخرون منهم، قد توغلوا في جبل تانوت فلم يتمكنوا نتيجة لبعده المسافة التي قطعوها، من العودة الى رفاقهم، وهكذا اشتبك الفريق الذي عاد إلى مكان الكمين (يسمى المكان وادي العمور) مع القوات الفرنسية، التي أبقى الحركي إلا أن يرافقوها ليشدوا أزرها، وليحددوا لها مكان الكمين الذي سبق وأن ترصده، و دارت معركة بين الطرفين، استشهد فيها المجاهدون، حيدار الطاهر بن عبد القادر - واسمه الأصلي محمد الطاهر (وهو أخو الإفريقي والطالب إبراهيم وبحوص و محمد)، وبوبليحة الشيخ، والباقي علي رحمهم الله، بينما تم أسر المجاهد حفيان التومي (اسمه الثوري المختار)، الذي بقي معتقلا حتى الاستقلال.

وأضافت الحاجة ربيحة أرملة الشهيد الطاهر إلى هؤلاء الأربعة، اسما خامسا يُلقب بـ " مهاية"، هذا وسجلت خسائر في أرواح العدو، وقد جرت هذه المعركة عام 1960، وهي تُعد دائما ضمن معارك جبل تانوت.



## 2 - معركة جبل شماريخ (1960):

روى مصدرنا نا (وهما اثنان) (22) أحداث هذه المعركة، نقلا عن الشهيد الطالب إبراهيم ( حيدار ابراهيم ) وكان هذا الأخير قد شارك فيها، وقد جرت في جبل شماريخ، ويبدو أنها معركة عام 1960 التي دارت رحاها بهذا الجبل، و قد جاء في هذه الإفادة أنه بعد أن وضع المجاهدون أسلحتهم اطمئنانا لمناعة موقعهم، وشرع بعضهم في تهيئة طعام الغذاء، و كان أحد نواب قائد الكتبية يجلس رفقة حيدار إبراهيم، إذ أقبل عليهم مجاهد



شاب، وهو يقول: "دلوني على شقيق الإفريقي، فقد قيل لي إنه هنا معكم"، ولما دلوه على إبراهيم طلب منه فقط أن يسمح له بالتموقع بجانبه، وفعلا بقي إلى جانبه إلى أن انسحب معا بعيد انتهاء المعركة كما سنرى، ثم ما لبثوا أن سمعوا أصوات الحراسة تحذر من إنزال عسكري يتم الآن على قمم الجبل، فسارعوا إلى أخذ مواقعهم، ولما ابتداء الاشتباك، وتبادل إطلاق النار، حاول أحد الجنود الفرنسيين التسلل إلى قدر(الطعام) التي كانت لاتزال

تغلي، وقد أرسلت روائح منعشة عبر محيطها، فما كان من إبراهيم إلا أن أصابه، ليسقط فوق القدر تماما ثم سكنت حركته.

وفي رواية أخرى -نوردها كتكملة - إن إبراهيم - بعد عودته من معركة شماريخ مباشرة - كان قد حدّث مصدرنا هذا، عن الحماس الذي كان يغمره إلى حد الانفصال، وهو يقاتل جنود الاحتلال في هذه المعركة، إذ كان يشعر برغبة لامحدودة في الانتقام منهم، بعد أن كانوا قد قتلوا أخاه الشهيد الطاهر الذي استشهد في تلك الأيام بموقعة جبل "بريسط"، (يعرف المكان بوادي العمور)، فقاتل في تلك المعركة بلا هوادة انتقاما لروح الطاهر رحمه الله، وأرواح بقية الشهداء.

ونعود إلى المصدر الأول الذي أفاد بأنه كان من ضمن المجاهدين في معركة شماريخ، عدد من المجاهدين العزل (من لا سلاح معهم)، وقد أووا إلى كهف يقع أسفل مواقع المجاهدين المسلحين، حتى يتسنى لهؤلاء الدفاع عنهم، وبالفعل فقد أرسل أحد الجنود الفرنسيين قنبلة باتجاه ذلك الكهف، لكن إبراهيم ومجاهدا آخر أطلقا عليه النار فأردياه قتيلا، المهم حدث مع تطور القتال أن أصيب نائب قائد الكتبية - أو قائد فصيلة - بطلق ناري، مما اضطر إبراهيم ومجاهد آخر إلى حمله على ظهرهما بالتناوب، و النزول به إلى سفح الجبل، وكان معهما شاب ثالث وهكذا، اتجهوا تحت جناح الظلام، إلى المكان المعروف "بأم الودح"، بأسفل جبل فوزز جهلا منهم بكمين كان منصوبا هناك، لترصد كل من يأتي رغبة في التزود بالماء، لكن لحسن الحظ أن أحد أفراد الكمين ما لبث أن سعل، ولم يكتف بذلك بل أشعل سيجارة، وهكذا انصرف إبراهيم ورفيقاه بعيدا عن ذلك المكان.



## أما المجاهد بوحلة بوعمامة الذي حضر هذه المعركة، فيرويهما على النحو الآتي:

حدثت هذه المعركة في شهر جانفي عام 1960، وكان عدد المجاهدين 35 مجاهدا (من كوماندوس 06)، بقيادة بن ماحي معمر، سقط فيها شهداء منهم بوغفالة بوداود، ورأسمال احمد بن بحوص، المدعو بوشريط (مجدوبيان)، وبراهيمي بن احمد (النائب العسكري لقائد الكوماندو، وهو أخو الأستاذ عبد المالك ابراهيمي المعروف)، واعتقل فيها أربعة هم، العامري أحمد، والتومي العربي، وبن ماحي معمر، وبوفلجة شريط، وبلغت خسائر العدو 40 قتيلًا. (نقلا عن مخطوط مذكراته).

وخارج مذكراته يقول سي بوعمامة شفويا، إنهم كانوا (يعني الكوماندو 6 و 7) بجبل بوعمود، فنلقوا أمرا من قائد الناحية سي محمد الشلالي بالانتقال إلى جبل شماريخ، للالتقاء هناك بقائد الكوماندو بن ماحي معمر، بالواجهة الشرقية من الجبل (وربما ذكر الوادي الأعوج)، فحدثت المعركة من خلال إنزال جوي وحصار بالدبابات، وكان الطالب إبراهيم (حيدار إبراهيم)، في موقع استراتيجي هام جدا، تمكن من خلاله من منع زحف الجند الفرنسي - الذي كان يتم إنزاله - نحو مواقع بقية المجاهدين المتمركزين بالجهات الأخرى، وكان إبراهيم رفقة بوعمامة بالعربي (ماحي مجدوبي)، و حداد المجدوب (من بني عقبة)، ثم بعيد انتهاء المعركة، انسحب هؤلاء الثلاثة إلى جبل فزوز.

(وهكذا اختلفت روايتنا الحاج المازوزي، وسي بوعمامة، فيمن انسحوا فقط، واتفقتا في عددهم " ثلاثة"، وعلى المكان الذي انسحبوا إليه " جبل فزوز "). ومن جهة أخرى أفاد السيد محمد رأسمال بن بحوص، وهو أخو الشهيد رأسمال أحمد المدعو بوشريط المذكور أعلاه، ان هذا الأخير حينما اعتزم الانضمام إلى جيش التحرير، استشار أباه فاعترضت خالته وقد كانت حاضرة، فقال لها الشهيد بانفعال: (( هل نبقي هنا حتى يجرننا الفرنسيون من خياشمتنا؟! )) وغادر نحو الجبل.

## 3 - معركة سهل " الشرشيرة " (أوائل 1961):

### مقدمات المعركة:

من الصحيح والثابت أن يوما أسود، سبق تلك المعركة على مستوى المحتشد الأهلي ببلدة "عسلة"، تم خلاله تمشيط خيم بعينها، والبحث والتحري عن أسماء معينة، تعود كلها إلى أناس يحملون لقب (( حيدار )) (23)، وهو لقب الطالب إبراهيم (الشهيد حيدار إبراهيم)، الذي كان البحث جاريا عنه في هذه العملية، وهكذا تم التركيز على من كانوا ملاحقين منهم من طرف العدو، وبصورة خاصة والدة الشهيد الطالب إبراهيم (الراحلة بلحيا خيرة)، المرأة المسنة، وحتى بعض حفدتها القصر، من أبناء أخيه الشهيد الإفريقي (كمؤلف هذا الكتاب)، ربما للتمكن من رصد المعلومات عن الشهيد إبراهيم من خلال الأطفال عن طريق، إغرائهم وتخويفهم كما كان محققو الاحتلال يفعلون مع الأطفال الجزائريين، ولحسن الحظ كانت هذه الجدة رحمها الله، قد غادرت خيمتها قبل هذه الأحداث بقليل، من باب الاحتياط إلى خيم أخرى من خيم المحتشد، مبتعدة ما أمكن عن الخيم التي قد تكون، محل شبهة من طرف قوات الاحتلال، فقضت يومها في خيمة المدعو "التامدي محمد"، التي دخلتها عن طريق الصدفة طبعًا، حيث رحبت بها زوجته، وقضت معها يومها كاملا، قائلة

لها أثناء الاستقبال: - كما روت عنها العجوز خيرة فيما بعد: (( أدخلي يا خالة، فلنعتقل معا أو ننجو معا))، هذه الزوجة المناضلة، الشجاعة، التي تستحق كل الشكر، نجهل مع الأسف حتى اسمها، وإلا كنا ذكرناه للتاريخ .

أما بقية الرجال الحاملين لهذا اللقب (لقب حيدار) بالمحتشد وعوائلهم، فقد قضوا يومهم ذاك الطويل الشاق في إجراءات البحث، والتحقيق، تحت تهديد لم يخل من تعذيب، و تعنيف وشدة على قارعة الطريق، حيث كانوا هدفا لكل أنواع التعسف، وبصورة خاصة الراحل حيدار محمد بن إبراهيم (عم الشهيد إبراهيم، الذي اشبهه اسمه على المحققين سيما، وأن والدته هي الأخرى تدعى خيرة )، وهكذا اعتقدت سلطات الاحتلال، أن هذا الرجل هو حيدار محمد ( مؤلف هذا الكتاب) ابن أخي الشهيد إبراهيم، لكن الرجل/ الشبح ( أي البياع )، الذي كان يدل المحتلين على كل شيء يعرفه عن هذه العائلة، انكر عليهم ذلك نافيا أن يكون محمد المقصود في مثل هذه السن، فمحمد المطلوب لا يزال صغيرا (كان يبلغ من العمر تسع سنوات ونيفا فقط)، مما جعلهم يكفون عن تعذيب السي محمد بن إبراهيم رحمه الله، ذلك في حين تم عرض النساء - سافرات الوجوه - واحدة تلو الأخرى أمام ذاك الشخص المجهول (البياع)، الذي كان قابعا بعربة عسكرية، وقد جرى به متكررا، للتعرف على المرأة التي يقال لها "خيرة بنت بلحيا" والدة الشهيد إبراهيم حيدار، وحفيدها المطلوب إحضاره معها،(وهو مؤلف هذا الكتاب) كما ذكرنا.

أما هذا الأخير، فقد كان ساعثا في المدرسة التي سبق له أن التحق بها تحت أبوة مستعارة تمويها ( **24**)، وعلى أية حال لم يعثر العدو الفرنسي، ولا الخائن الذي جاء به، على طائل من وراء كل ذلك، وفي تلك الأثناء كان قد تم اعتقال الشهيد حيدار المجدوب ولد سليمان، وكان رجلا معروفا بنشاطه الثوري، يروي أخوه السيد حيدار الحاج الميلود، (الذي كان يومها قائدا لعرش حمزة )، أن أحد الحركي قال له محذرا: ((لقد جعلوا من موكا - أي البومة - عقابا))، ففهم من كلامه أن شخصا عديم القيمة يكون قد ارتكب أمرا خطيرا، فنال بذلك حظوة لدى قوات الاحتلال، فنصح أخاه الشهيد حيدار المجدوب بالفرار إلى الجبل، (لأنه كان محل متابعات سابقة)، غير أن هذا لم يأخذ الأمر على محمل الجد، فباغته مع الصباح الموالي أعوان "الصاص"، ليقتدوه إلى مكتب ضابط شؤون الأهالي بأعالي تلة الشكنة.

ومن يومها سلطت عليه كل أنواع التعذيب، قصد افتكاك الأسرار التي تكون لديه، وقد بلغ التعذيب الذي تعرض له حدا جعل الأسرى الذين كانوا بالمعتقل قبله ينكرونه لما أدخل عليهم، فلم يعرفوه نتيجة ما لحق به من تعذيب، حيث تشوّه كل شيء في وجهه، وجسمه، وصوته، ورغم ذلك نُقل مصحوبا بأسير آخر هو الشهيد بومدين عبد القادر - أخي سي بوعمامة الذي استقبل قايد أحمد في خيمته كما اشترنا - نُقلا إلى موقعة الشرشيرة التي تلت ذلك مباشرة، كما سنرى.

## الأسباب المباشرة للمعركة:

بالإضافة إلى ما تطرقنا إليه أعلاه من أسباب غير مباشرة لمعركة الشرشيرة، حدثت المعركة بعد ذلك مباشرة في هذا المكان، الذي لم تكن سلطات الاحتلال الفرنسي قد اكتشفته إلا في تلك الأثناء، ولأن هذه المعركة أعقبت مباشرة تلك الأحداث فُسرت معركة " الشرشيرة " ذاتها، على أنها امتداد لما جرى في محتشد عسلة قبلها بيوم، ( أي أن الطالب إبراهيم، الذي لم يتم العثور عليه في المحتشد، قد حُدد مكان وجوده بالشرشيرة)، وهكذا نقلت قوات الاحتلال في الصباح الموالي، عتادها الحربي وأرتالا مؤللة من جيشها،(قوامها مدرعات في الغالب، ثم عربات نقل جند)، دون أن تنسى نقل الشهيدين حيدار المجدوب، وبومدين عبد القادر، واتجهت رأسا إلى " الشرشيرة "، حيث جرت المعركة المشهورة هناك:

**الزمن:** يظل من القريب للثابت، أن هذه المعركة جرت في شهر فبراير عام 1961.

**المكان:** أما مكانها، فيُسمى الشرشيرة (لعلها كلمة أمازيغية من أشرشار، بمعنى المصب أو الشلال)، وهو يقع شمالي بلدة "عسلة" ببضعة كيلومترات، يحده شرقا "جبل بوداود"، وشمالا جبل " المالحة "، وغربا سهل " مصران " الزراعي (25).

و"الشرشيرة"، هي المكان الذي كان يأوي بعض المجاهدين يومها، وهو عبارة عن تجويف صخري، عميق، ذي مظهر خارجي بسيط، (أو قل كهف شبيه بالبئر) يلجئون إليه من فوهة ضيقة عليا، إما بواسطة حبال بالنسبة لكبار السن - يتم إنزالهم -، أو من خلال سلاليم نُحِتت كثقوب على جدار الكهف بشكل تنازلي، وهذا الكهف لا يعرفه إلا من كانت له علاقة بهذه المجموعة من المجاهدين، التي فضلت الإقامة به لأسباب استراتيجية على ما يبدو، رغم قُربه من طُرق - غير معبدة - غالبا ما استخدمتها أرتال المحتل الفرنسي، وقوافله في عملياتها العسكرية، نحو الجبال الشمالية، أو ما حولها. (26)

## وقائع المعركة:

قلنا إن القوات الفرنسية اتجهت نحو مكان " الشرشيرة"، وذلك على عدة محاور - في رواية السيد الحاج حيدار الميلود نقلا عن الشهيد هرمك قدور - هي، محور "المظل"، "عين اللاّفعي"، وآخر أقبل عبر طريق "مصران"، وهما محورا عربات نقل جند، تتقدمها عربات " جيب"، بينما ظهر المحور الثالث والأهم قادما من عيون أولاد سيد الماحي المسماة " تالبونة " غربا، وهو محور مدرعات، كل ذلك إلى جانب طائرتين استكشافيتين، شرعتا في مهمتهما ابتداء من المكان المسمى " وادي الظرابنة"، مروراً بـ " المريجة"، فمحيط المكان المستهدف كله، وبعد قيام محاور القوات البرية بتحركات تمويهية، كالتظاهر بتجاوز المكان و. إلخ، باشرت إحدى عربات "الجيب" طريقها إليه رأسا، كما لو أنها تحمل على ظهرها دليلا عارفا به.

وكان الشهيد قدور هرمك قد أنذر رفاقه، إلى أن قوات العدو تتجه نحوهم، في نوع من التلاحم بعد تظاهرها في البداية بأنها متفرقة الاتجاهات، و بالفعل فقد أخذت القوات تتمركز قريبا من الكهف الذي سرعان ما تموقعت المدرعات حوله بمسافات قريبة جدا، اطمئنانا منها - ربما - إلى أن رجال الثورة لا يمتلكون أي سلاح مضاد للدروع، في هذه الربوع على الأقل، وكان وصول القوات الفرنسية إلى عين المكان في تمام الساعة الرابعة مساء، وكان أول ما شرعت فيه هما، عمليتان اثنتان تستهدفان الإغراء و التهديد معا، الإغراء بدعوة المجاهدين إلى الاستسلام، بواسطة نداء بمكبر الصوت، ومحاولة التيسيس الذي يهدف إلى إقناعهم، بأنه أصبح لا مخرج أمامهم إلا تسليم أنفسهم، ثم التهديد من خلال شروع هذه القوات في إطلاق قذائف دخانية كثيفة على الكهف، الأمر الذي دفع بالمجاهدين إلى استخدام خرقات قماشية مبلّلة على أنوفهم، لتقيهم استنشاق الدخان.

## محاولات إنزال بشري إلى قعر الكهف:

ثم أمام انعدام أي رد فعل من الثوار داخل الكهف، عمدت قوات العدو إلى ربط الأسير الشهيد حيدار المجدوب بحبل، ثم أنزلته إلى أعماق الكهف، لإخبارها بما يحتوي عليه هذا الأخير، لكنها لم تستطع إخراجه بعد ذلك، لأن المجاهدين قطعوا الحبل لئبقوا الرجل معهم، فأعدت الكرة مع الأسير الثاني الشهيد، بومدين عبد القادر، الذي ما أن تم إنزاله، ثم إعادته إلى الخارج بواسطة الحبال، حتى نفى وجود أي شئ داخل الكهف، لكن قوات العدو لم تصدقه، فأدلت - في المرة الثالثة - أحد جنودها إلى أعماق الكهف على نفس الصورة، بعد أن شدته إليها بحبال، فما كان من المجاهدين إلا أن أطلقوا عليه النار، حين برز رأسه داخل فوهة الكهف قادما من أعلى، فأردوه قتيلا قبل أن يتم تصعيده بالحبال من قبل قواته، التي تحركت نحو الخلفا سماعها صوت الرصاص، وقد تأكدت من وجود المجاهدين بداخل الكهف أكثر من

ذي قبل، فضاعت من إطلاق قذائف الدخان، قصد إحداث اختناق كبير في صفوفهم ، ودامت هذه الأعمال التمهيدية حوالي ساعتين.



ثم بادر اثنان من المجاهدين - كانا يمتلكان سلاحا - بمغادرة الكهف، سيما تحت جنح الظلام مع إقبال الليل، رغم الأضواء الكاشفة المرسلّة من الطائرتين تباعا، ومن أماميات المدرعات القريبة باتجاه فوهة الكهف تماما،

والاثنان هما الشهيدان، هرماك قدور وحيدار إبراهيم ويوضح مصدرنا ذلك - نقلا عن الشهيد هرماك قدور- أن أول من غادر الكهف كان الشهيد شخنابة عبد القادر (المولود عام 1929) - وهو مسبل - (27)، وما أن اكتشفته قوات الاحتلال حتى أمطرته بوابل من الرصاص، الذي اخترق كل زوايا جسمه بوحشية، فاستشهد من ساعته رحمه الله قريبا من مدخل الكهف، كانت الأضواء الكاشفة المرسلّة جوا من حيث القوة والكثافة بحيث صيّرت الليل نهارا، مدعومة بأنوار المدرعات المرسلّة من الأرض، ورغم ذلك غادر الشهيدان هرماك قدور وحيدار ابراهيم الكهف، حيث تمكن الأول من اجتياز منطقة الخطر إلى أن نجا، و يفيد المجاهد الحاج الطاهر راسمال بن عبد القادر- نقلا عن هرماك قدور ذاته - أن الشهيد حيدار إبراهيم ( الطالب إبراهيم) هو من غطّ انسحاب السي قدور، بعد أن كان هو الآخر قد غادر الكهف في إثره، وقد أكد المجاهد بوحلة بوعمامة هذه الإفادة.

ولما تحرك إبراهيم حيدار بنية الانسحاب هو الآخر، وكان العدو قد ترك مساحة فارغة من الجند ما دون المنطقة المسماة "وادي الظرابنة"، رصدته الأضواء الاستكشافية، (الرواية لحيدار الميلود)، فغيّر الطريق التي سبق لقدور هرماك أن سلكها، لاجئا إلى ظل حجارة المرتفع، كانت قريبة منه بأعلى التلة ، وهناك أخذ يستعد للدخول في المعركة - على طريقة ما فعله في جبل فوز، قبل أكثر من عام ونصف - لولا أن الميدان كان غير الميدان، من حيث اختلاف حجم المساحة ومجال الامتداد، كما وأن القوات غير القوات، فقد صار وجهها لوجه، ليس أمام قوات مشاة، كما في معركتي "فوز" و " شماریخ"؛ ولكنه الآن أمام رتل، أو يزيد من سلاح الدروع (المدرعات)، الرابضة قريبا جدا منه، وخراطيمها ممتدة نحوه في عناد.

ورغم هذا الاختلال الصارخ في ميزان القوة، دخل في تبادل لإطلاق النار مع الجنود الفرنسيين، المتواجدين خلف الدبابات، وحواليها، يثبت ذلك ما رواه لنا المجاهد بوغفالة أحمد ولد محرز، (وقد كان

حاضرا يومها واعتقل)، بل واستمرت المعركة بينه وبين القوات الفرنسية - على أصح الأقوال - حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وقيل حتى الفجر، ثم انتهت باستشهاده رحمه الله.

وعلى أية حال، فطريقة استشهاد الطالب إبراهيم متفق عليها، وهي أن ضابطا (قيل برتبة نقيب) اكتشف مكانه بحكم قوة الأضواء الكاشفة، وقيل إنه - أثناء إرسال هذه الأضواء - تم رصد حركة بدرت من إبراهيم، حينما كان يحاول تغيير اتجاه بندقيته، بشكل يساعده على التسديد، ولأنه كان داخل تجويف حجارة ممتدة، تشبه الخندق بأعلى تلة منبسطة من الخلف، أقبل عليه الضابط الفرنسي من خلف الحجارة، - فوق التجويف - الأمر الذي مكّنه من أن يكون في وضع أعلى من إبراهيم، الذي كان ممددا باتجاه ناحية القوات الفرنسية، ودباباتها أمامه، أي باتجاه الأسفل، ثم أطلق عليه النار من فوق، فأصابه بين كتفيه، فسقط شهيدا رحمه الله.

وكان الشهيد إبراهيم آخر، من سقط شهيدا هناك، لأن بقية الشهداء، استشهدوا داخل الكهف، ومعظمهم عزل من غير سلاح، إذ كان المسلحون ثلاثة هم فقط، إبراهيم، وقدر، وقيل المدعو "كفيس"، والذين سقطوا شهداء هما، حفينة سليمان بن محمد من مواليد 1942، ووزنة محمد بن محمد ولد سنة 1941، بالإضافة إلى شخانة عبد القادر، الذي أشرنا إليه سابقا، كما استشهد يومها، المدعو الطيب الأغواطي وهو برتبة ملازم من نواب قائد الناحية، وقد جاء في مهمة، يقال إنها كانت تتعلق بنقل رئيس القسم الذي هو حيدار إبراهيم، إلى القسم الرابع، بعد أن تم تعيينه خلفا للشهيد بومدين سليمان، الذي استشهد بضواحي بلدة "البيوض"، في معركة ضارية تمكن خلالها من إسقاط طائرة فرنسية، (الإفادة المتعلقة بمهمة الطيب الأغواطي أدلى بها لنا، المجاهد حيتالة الحاج أحمد المعروف بحيدة أبا)، ذلك بينما تم اعتقال الباقيين.

كما جرى إعدام الأسيرين، بومدين عبد القادر (المولود سنة 1922)، وحيدار المجدوب (لاحظ نبذة عن حياته)، هكذا على الهواء الطلق بدون أية محاكمة، من طرف حفدة جان جاك روسو، ومونتسكيو، وفولتير؛ فلاسفة (الحقوق) و (الحرية).



## الأسرى واللعب بالموت:

وبخصوص إعدام الشهيد حيدار المجدوب، يسوق أخوه السيد حيدار الميلود روايتين، الرواية الأولى - وربما تكون نقلا عن حضر الواقعة من الحركي، و لعلها الأصدق - وهي أن من أعدم حيدار المجدوب، هو الذي كان قائما مقام ضابط شؤون الأهالي - لأن هذا الأخير كان يومها في عطلة - فضابط شؤون الأهالي المنتدب، هو من أصاب سي المجدوب برصاصة من مسدسه، في قنة رأسه فاخرقت جمجمته، لتخرج من ناصيته رحمه الله، (كانت قيادة المصالح الإدارية المختصة sas توجد ببلدة "تيوت"، وكان لها فروع بمختلف البلديات).

والرواية الثانية -يضعفها الراوي، وهو يوردها فقط من باب ما كان يتردد -وهي، أن الفرنسيين أمروا سي المجدوب بالجري أمامهم، ولما أخذ يجري شقه أحدهم بقذائف رشاش من ظهره عموديا، فسقط على إثر ذلك شهيدا، بل وقيل -في رواية ثالثة -إنه فرّ من بين أيديهم، دون أن يطلبوا منه الجري، فتناوشه رصاصهم إلى أن سقط، لكن الراوي يرجح الرواية الأولى.

وقد وجده السيدان حيدار الميلود، و بومدين بوعمامة -حينما ذهبا لدفنه -مهشم الوجه والرأس، ملطّخا بدماء التعذيب، و قد صارت سوداء جامدة، تماما كجلبابه الذي إسودّ لونه هو الآخر نتيجة انهيار الدماء عليه، واستشهد وهو في وضع قرفصائي، (عبر الراوي عن ذلك بقوله: مقعمر)، وقد عظ على شفته (28).

أما إبراهيم، فقال سي الميلود حيدار، إن معطفه كان مُكوّما أمام وجهه، (فعل الفرنسيون ذلك لكيلا يعرفه القائمون بدفن الأسرى)، وقد شاهدها ممددا وسط صخور شبيهة بالخرندق، كان قد استشهد في فجوتها التي يبدو أنه اتخذ منها مكمنا، وقد عرفه السيد حيدار الميلود - وهو ابن عمه - من خلال ثيابه، حينما كان يسترق النظر إليه بحذر، لأن قوات الاحتلال التي رافقت السيد الميلود، وزميله بومدين بوعمامة إلى عملية الدفن - وهما أخوا الأسيرين الشهيدين - لم تسمح لهما إلا بدفن أخويهما الأسيرين، حيدار المجدوب، وبومدين عبد القادر، لأنهما مدنيان، أما العسكريون من أفراد جيش التحرير الوطني، فمُنع عنهما مجرد النظر إليهم، لكيلا يتمكنوا من التعرف على أي منهم.

قال الحاج الميلود حيدار: كان أحد المجندين في الجيش الفرنسي من الجزائريين، يقول لي لا تنظر إلى القتلى من أصحاب الجبل، فأنت ورفيقك مراقبان من قبل العسكر، وقال إن ما أبلغه به قدور رحمه الله، هو أنه حينما انسحب هذا الأخير، ترك إبراهيم يتحفز للخروج خلفه، وهو ما حدث بالفعل، لكنه استشهد رحمه الله أثناء انسحابه.

هذا، وقد اعتقل في هذه المعركة عدد من المجاهدين، منهم بوغفالة محمد (المدعو لمطحطح)، و بوغفالة أحمد ولد محرز، ومجاهد ثالث من قبيلة العمور (العين الصفراء)، يُشتهر بلقب (أكفيس)، وهذان

الأخيران لايزالان على قيد الحياة، في حين بلغ عدد المجاهدين - حسب رواية السيد حيدار المازوزي - 13 مجاهداً، أما الشهيد هرمك قدور الذي انسحب من معركة الشرشيرة - لاحظ ترجمته - فقد استشهد بعدها ببضعة أشهر، رفقة الشهيد مولاي عمر، وشهداء آخرين رحم الله الجميع، وذلك بالمكان المسمى "البقلة" (بالقاف المفخمة)، حيث تدخلت في القتال، طائرات عمودية وسلاح الدروع، وقد انسحب يومها السيد حيدارالميلود.

### روايات أخرى حول هذه المعركة:

إلى جانب الروايات المذكورة أعلاه، هناك رواية أخرى حول استشهاد السيد إبراهيم حيدار(الطالب إبراهيم)، وهي رواية تواترت منذ أيام تلك المعركة، وهذه الرواية بدورها كانت تنسب إلى الشهيد هرمك قدور، وتفيد بأن هذا الأخير روى أنه لما انسحب من كهف "الشرشيرة" ليلاً، أخذ يتعدى في حذر وهو يعتقد أن جنود الاحتلال سيسقطونه بين لحظة وأخرى، وعند كل خطوة كان يخطوها، لكنه سرعان ما تمكن من النجاة، فغذ السير إلى أن أحس أنه قطع مسافة لا يستهان بها، فأوى إلى أحد التلال القريبة، وأخذ يتسمع، ومن هناك سمع صوت رصاص بندقية منفردة، يقاطع رصاص الجنود الفرنسيين، فتبين أنه صوت بندقية إبراهيم، لأنه كان يأتي في شكل طلقات متباعدة متتالية، عكس زخات رصاص الفرنسيين الناتج عن أسلحتهم المضخية و الأوتوماتيكية، فأدرك أن إبراهيم لم يتمكن من الانسحاب، وإنما دخل في اشتباك مع القوات الفرنسية أثناء انسحابه.

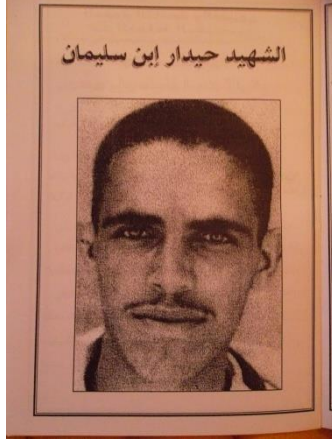
فأخذ سي قدور يتتبع أزيز رصاص البندقية، لأنه متميز بطلقاته المتتالية غير المضخية، الذي لم ينقطع إلا باقتراب بزوغ الفجر، وعندها خطر ببال سي قدور احتمالان، إما أن يكون إبراهيم قد استشهد، أو أنه انسحب، وخوفاً من انبلاج الصبح واكتشاف أمره، غادر سي قدور مكانه منصرفاً.

هذا بالإضافة إلى سيل من روايات آخر سيقت، بخصوص هذه الواقعة لم نستعرض أغلبها، ومنها أن الطالب إبراهيم، أخذ يصيب برصاصه مصادر الأضواء الأرضية، بما فيها أضواء الدبابات التي كانت تسلط على مكانه حين تنطفئ الأضواء الكاشفة المرسله جواً من الطائرات الاستكشافية وغيرها، ولكن من المتفق عليه، أنه كان آخر من سقط من رفاقه المسلحين، بحيث لم يستشهد بعده إلا ابن عمه الشهيد حيدار المجدوب، الذي ألقى عليه قوات الاحتلال القبض بعد أن غادر الكهف في جملة المغادرين، فاعتقلت هؤلاء، و أعدمته هو صبيحة اليوم الثاني، رحم الله الشهداء.

## تراجهم لبعض الشهداء:

## الشهيد حيدار بن سليمان (الإفريقي):

( 1926 – 1959 )



الشهيد حيدار بن سليمان (الإفريقي)

شيخ زاوية صنعت الحدث، ثم محافظ سياسي.

صانع ملحمة جبل "فزوز"، الذائعة الصيت.

هو الشهيد حيدار بن سليمان بن عبد القادر، المعروف أثناء الثورة بالإفريقي (1)، ولد سنة 1926 بعسلة، ابن عبد القادر، و بلحيا خيرة، له ابنة واحدة، وولدان هما، محمد (مؤلف هذا الكتاب)، والحاج احمد، خلف الشهيد الإفريقي أباه عبد القادر (1884 - 1952) على زاوية سيدي أحمد المجذوب، كمقدم لها ابتداء من سنة 952 ، وكان له - إلى جانب الأخوات - أربعة إخوة هم، محمد، والطاهر، ويحوص، وإبراهيم، وكلهم سقطوا شهداء في ميدان الشرف رحمهم الله.

نشأ الشهيد في وسط متشبع بمنظومة القيم المعروفة في الريف الجزائري الصحراوي، وسط اعتمد سكان حواضره على النشاط الزراعي، وانصرف سكان بواديه إلى تربية الماشية، وتجارة القوافل، قبل أن تختفي هذه الأخيرة، وقد ساعد الشهيد مركزه، كوكيل زاوية ذي سلطة روحية، على إقامة علاقات اجتماعية واسعة، مع أبرز أعيان قبائل المحيط، كحميان، والعمور، وغيرهم، حيث لعبت أسواق الماشية التي عُرفت بها مدينتا العين الصفراء، و المشرية، دورا هاما في لقاءه بالناس، و توطيد علاقاته بهم

أما من ناحية النشاط السياسي، فقد كان قد انخرط عام 1947 - إلى جانب أبيه عبد القادر بن إبراهيم، و أعمامه، سليمان والشيخ و الطيب - في "حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية"، (حزب الشعب

سابقاً)، حيث كانوا يؤدون اشتراكاتهم بانتظام، لدى ممثل الحزب المدعو " ليتيم "، الذي كان صاحب مطعم بمدينة العين الصفراء آنذاك، وكذا تلقي توجيهات الحزب عبر السياسي المعروف باقي بوعلام.

مكث الشهيد الإفريقي مقدماً للزاوية، التي احتضنت في عهده أولى اجتماعات التحضير لثورة أول نوفمبر 1954، بإشراف الراحل بوشريط في النصف الأول من عام 1956، حيث كانت هذه الزاوية أول مكان حل به هذا الأخير، أثناء زيارته الأولى لمنطقة المجاذبة الغرابية وما حولها، وقد نجح الشهيد الإفريقي في أداء مهمته المتمثلة، في التنظيم والتعبئة وجمع التبرعات والأسلحة وإحصاء القناصة (الصيادين) والاتصال بهم وتحسيسهم، والتأسيس لفروع الثورة بالمنطقة، حيث ساعده على هذا النجاح، كونه مقدم زاوية مشهورة، وذات سمعة محترمة، لها العديد من المريدين والأتباع والزوار، سواء من أعيان القبائل، أو من عامتهم بوجه عام، الذين كانت تربطه بهم علاقات روحية قوية قبل الثورة، فضلاً عن سكان قصور هذه الجهة.

وبعد تلك المرحلة التمهيديّة تم تعيين، (أو قل انتخاب) (2) الشهيد الإفريقي قائداً لأحد أعراش القبيلة، وأصبحت الزاوية مركزاً من مراكز الثورة، إلى أن اكتشف أمرها من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي، في النصف الثاني من سنة 1956، (من خلال عيون لهذه السلطات)، فأصبح ملاحقاً لمدة من قبل سلطات الاحتلال، مما اضطره إلى تغيير إقامته بين البدو والحضر من باب التمويه، قبل أن يتجه بعائلته نحو البادية، ثم التحق بصفوف جيش التحرير الوطني، هو وإخوته.

كان الشهيد الإفريقي في أول الأمر، قائد مركز، ثم قائد عرش، وأخيراً عُين قائداً لما كان يُعرف " بإرشادية الإفريقي"، ومصطلح المرشد السياسي، هو الذي أصبح يُعرف في مقررات مؤتمر الصومام بالمحافظ السياسي (3)، وزاره بمنطقة سطح بالقراد، القيادي قايد أحمد (الرائد سليمان)، أثناء جولته العملية كقائد لقائد المنطقة الثامنة، قادماً من "فيقيق" و"العين الصفراء"، في طريقه إلى "البيض"، و"أفلو"، وذلك في إطار إشرافه على تنظيم المنطقة الثامنة، وفق المفهوم الذي وضعه مؤتمر الصومام لهياكل الثورة، وأساليب نشاطها.

شارك الإفريقي في عدة معارك واشتباكات، منها اشتباك - أو معركة - "حجرة واقف" (4) قرب جبل بني سمير، إلى جانب الشهيدين الكبيرين، سي عبد القادر راسمال، وسي الطاهر راسمال المعروف بفيصل، كما شارك الشهيد الإفريقي في معركة "جرف التربة"، ثم معركة جرت بالناحية الجنوبية من شماريخ، حضرها إلى جانب الشهيد، كل من شقيقه حيدار إبراهيم، والمدعو "الهوش"، وخمسة مجاهدين آخرين (5).

وأخيراً معركة جبل "فروز" في 02/جويلية/1959 التي صنع الشهيد ملحمتها، بمعونة أخيه إبراهيم، وفيها استشهد رحمه الله، رفقة الشهيد الطاهر مختاري.

وفي مجال التكريم، كانت هناك لفتات كريمة تجاه هذا الشهيد من طرف الجيش الوطني الشعبي، وكذلك من طرف الدرك الوطني، بالإضافة إلى بعض المؤسسات المدنية، ففي 29/06/2002

تفضلت الناحية العسكرية الأولى للجيش الوطني الشعبي مشكورة، بإطلاق اسم هذا الشهيد، على الدفعة التاسعة والعشرين (29) للضباط المهندسين، خريجي المدرسة العسكرية، المتعددة التقنيات ببرج البحري (الجزائر العاصمة)، كما نال الشهيد تقديرا تفضلت به كل من، القيادة الجهوية للدرك الوطني بوهران، ومدرسة أعوان الدرك الوطني، بمدينة "أجنين بورزق" (ولاية النعامة) مشكورتين، حيث حملت اسمه الدفعة السادسة عشرة للطلبة الدركيين الأعوان من خريجي المدرسة المذكورة، وذلك يوم 27 فبراير 2014. وكانت قد كرمته إحدى مدارس بلدية البيوض (ولاية النعامة)، بإطلاق اسمه عليها، وذلك منذ الثمانينيات، بمبادرة من مثقفيها ورجال التعليم بها مشكورين.

(1) قيل إن من أطلق عليه اسم الإفريقي كلقب ثوري، كان يدعى منصور وهو من تلمسان أو ضواحيها، ووفق هذا النعت لم نعثر إلا على الشهيد سي منصور، وهو باي الميلود من مواليد مدينة سيدو عام 1934، والتحق بصفوف جيش التحرير سنة 1954، واستشهد سنة 1960. "المصدر مديرية المجاهدين بتلمسان"، لكن هذا المصدر لم يعطه أي اسم ثوري، كما وأنا نهجنا علاقته بالمنطقة الثامنة آنذاك. عن حياة هذا الأخير راجع أيضا، علي نهاري في كتابه "من سجل شهداء ومجاهدي الولاية الخامسة"، وهذا المصدر الأخير هو الذي أعطاه لقب سي منصور، وقيل بل الذي لُقّب الشهيد حيدار بن سليمان بلقب الإفريقي، إنما هو المجاهد المعروف بـ "الهوش" (؟؟) الذي شارك معه في معركة أو اشتباك بجبل "شماريخ"، و الاحتمالان للمجاهد حيدار الميلود، والرجلان من مواليد تلمسان، ويصحح المجاهد بوسحابة إبراهيم لقب "الهوش" بـ "الهمش"، أي بالميم بدل الواو، لكن مراجع مديرية المجاهدين بتلمسان، لا تتوفر في حقل هذا اللقب، إلا على اسم أحد المجاهدين، هو همش حمو ولد بن أعمر (1932 - 2013)، الذي التحق بصفوف جيش التحرير بعد استشهاد الإفريقي، مما ينفي أي احتمال للقائهما في الجبل.

. يبقى أن نشير إلى أن المدعو الهوش (بالواو)، لم نعثر له على سند كتابي، أو شفوي من شأنه أن يوضح أمره، وهذا في حدود معلوماتنا المحدودة طبعاً، مما يبعث على الاعتقاد أن "الهوش"، قد يكون اسماً ثورياً لمجاهد أو شهيد، ويظل الاحتمال الأكبر أن بوشريط هو من أطلق هذا اللقب على الشهيد، نظراً لسعة الأفق السياسي للزعيم بوشريط، وحرصه على انتماء الجزائر للقارة الإفريقية، هذا إذا لم يكن القائد أحمد هو من أعطاه هذا اللقب، (لن أنسى أن أتقدم بتشكراتي الخالصة، إلى السيد اللواء قائد القيادة الثانية للدرك الوطني بوهران، الذي أثار مسألة مصدر تسمية الشهيد "بالإفريقي"، متسائلاً عن من أطلق عليه هذا اللقب الثوري، أم أنه اختاره هو لنفسه.

وذلك حين تفضل حضرته بالإشراف مباشرة على تكريم الشهيد، بمدرسة الدرك الوطني بمدينة "أجنين بورزق"، وكان سؤاله - غير المسبوق في الحقيقة - هو ما شجعنا على البحث والعثور على بعض هذه المعلومات المتواضعة، وسنواصل البحث. كما أشكر مديرية المجاهدين بتلمسان - وخصوصاً مصلحة الأرشيف - على قيامها بالتقصي المطلوب، لحقيقة هذه الأسماء تلبية لرغبتنا، وحسن استقبالنا حضورياً وهاتفياً).

(2) ما تم يومها، كان انتخاباً فعلاً لأنه جرى بواسطة رفع الأيدي، على مرشحين اثنين قصد تكوين عرشين.

(3) لقد كانت المراسلات الصادرة عن الشهيد، تحمل عبارة "إرشادية الإفريقي"

كتصدير لها بأعلى الصفحة، يأتي مباشرة بعد الإشارة إلى جهة وجيش التحرير الوطني، والمنطقة والناحية.

(4) انفرد السيد "بلحيا حيدار"، بالإشارة إلى مشاركة الشهيد في هذه المعركة.

(5) لم يحدد مصدرنا (وهو السيد الحاج الميلود حيدار)، الزمان الذي جرت فيه هذه المعركة.



## الشهيد الشلالي محمد (سي النوار):

قائد ناحية صاحب الروح الكارزمية العالية:

اشتهر الشهيد الشلالي محمد بالسي النوار كاسم ثوري، وهومن المجاهدين الأوائل، حينما زار بوشريط زاوية سيدي أحمد المجذوب لأول مرة ببلدة "عسلة" (أوائل 1956)، كان الشهيد محمد الشلالي في جملة مستقبله، لكن هو الوحيد الذي خصه بوشريط بانطباع استثنائي، قبل أن يأخذوا أماكنهم للجلوس، فقد اكتشف بوشريط بفراسسته مدى الكاريزما (الروح القيادية)، التي يتوفر عليها سي محمد، تلك الكاريزما التي رصدها بوشريط من خلال اتقاد نظرات سي محمد، فقال له وهو يصفحه: "إنها نظرات قائد". وتحقق هذا التوقع، بحيث أُسندت إلى سي محمد في بادئ الأمر، مهمة الإشراف على عبور إحدى الفرق العسكرية القادمة من تلمسان وفق الرواية التي سقناها، بل ولم يمض على ذلك التنبؤ وقت طويل، حتى أصبح سي محمد الشلالي، أول قائد للناحية الثانية التابعة للمنطقة 8 ثم 3 فور تأسيسها، تلك الناحية، التي كان مقرها بجبل "المسيثير"، حيث امتدت سلطة سي محمد العسكرية من جبال القصور شمالا إلى منطقة (أولف) (1) بأقاصي الجنوب الغربي، وكان يتصف بالرزانة، وبعد النظر والإخلاص للقضية الوطنية، وخوف الله (2).

و استشهد سي محمد رحمه الله في 23 أكتوبر عام 1960، بمعركة "الركنة الكحلة"، وتسمى أيضا "أسبت" - بسكون السين وفتح الباء - (تقع بالواجهة الجنوبية لجبل تانوت، شرقي حمام عين ورقة المعدني)، و سي محمد الشلالي، هو والد العقيد الطيب الشلالي، الذي انخرط في صفوف الجيش الوطني الشعبي عن طريق مدارس أشبال الثورة، إلى أن ترقى إلى رتبة عقيد، وقد ورث العقيد الطيب وطينة والده، و أعمامه المجاهدين (سي العربي، و سي أحمد، والشهيد الميلود)، بل وتشربها حتى النخاع، توفي رحمه الله، إبان السنوات القليلة الماضية بسبب المرض، وخلف الشهيد - إلى جانب العقيد الطيب - ولدا آخر هو الحاج المجذوب.

---

(1) "أولف" تقع بمنطقة تيدكلت، شمال شرقي رقان، وهي مقر دائرة تابعة حاليا لولاية أدرار، (للمزيد أنظر "صفحات من تاريخ منطقة أولف"، لمؤلفه الدكتور عبد المجيد قدي).

(2) تلقينا هذه الإفادات من السادة، الحاج الميلود حيدار، الحاج بلحيا حيدار، والأستاذ محمد حفيان، إلا مسألة الكاريزما، فهي من إفادة الحاج بحوص حيدار، أما أنه كان أول قائد لهذه الناحية، فالإفادة للمجاهد بوعمامة بوحلة.

## الشهيد عبد القادر راسمال:

(1914 - 1960)

كان لا يُصيب أعداءه إلا في مقتل.

كان سي محمد الشلالي قائد الناحية الثانية، ملازما للشهيد سي عبد القادر راسمال، إلى إن استشهدا عام 1960 في موقعة واحدة، هي معركة "الركنة الكحلة"، وتسمى أيضا "معركة أسبت - بسكون السين وفتح الباء - (تقع بالواجهة الجنوبية لجبل تانوت، شرقي حمام عين ورقة المعدني)، وسي عبد القادر راسمال من مجاهدي اللحظات الأولى، ولد سنة 1914 بعسلة (ولاية النعامة) ابن قدور، وهو من الأوائل الذين التحقوا بالزعيم بوشريط عام 1955 (1)، وفي سنة 1956 لما جاء مولاي عبد الله على رأس القوات العسكرية الجزائرية الوافدة من المغرب الأقصى، لتأسيس نواة جيش التحرير بالمنطقة، كان سي عبد القادر راسمال ضمن الدفعة التي اختارها بوشريط، ودعم بها هذه القوات، ومن ثمة شارك في معارك جبال القعدة، بضواحي "أفلو" (2) وأشهرها معركة "الشواير" الشهيرة. كما شارك في معركة خناق عبد الرحمن (3)، ثم شارك بعدها في عدد لا يُحصى من المعارك لا نمتلك مع الأسف مرجعا يمكننا من الحديث عنها بتفصيل، منها المعركة التي قادها رفقة مولاي البشير بجبل شماريخ عام 1957 وحضرها المجاهد لزرق سليمان، ومجاهدون آخرون منهم الشهيد حيدار بحوص بن عبد القادر (4)، ومعركة المناصب.

و سي عبد القادر ممن كانوا يرفضون تقبل الرتب العسكرية، ويقول: "إنني أهب جهادي لله"، (كما بلغنا من أكثر من مصدر)، وسي عبد القادر هو ذلك الرامي الماهر، الذي لا يتعامل إلا مع رؤوس ضباط العدو، فهو لا يصيب العدو إلا في الرأس، كما أفاد من كانوا معه من المجاهدين، وآخر مثال على ذلك، أنه أصاب قبيل معركة استشهاده، نقيبا فرنسيا بمعركة "المناصب" فأرداه قتيلا (5)، ألى سي عبد القادر بلاء حسنا كعادته، في معركة الركنة الكحلة التي استشهد فيها إلى جانب سي محمد الشلالي، قائد الناحية الثانية وآخرين وذلك في 1960/10/23 (6)، أولاده، الحاج محمد، الحاج الطاهر، العربي، أحمد و معمر.

1.2.3 أنظر كتاب " من سجل شهداء ومجاهدي الولاية الخامسة " تأليف علي نهاري / ط 2008

4 - إفادة المجاهد لزرق سليمان.

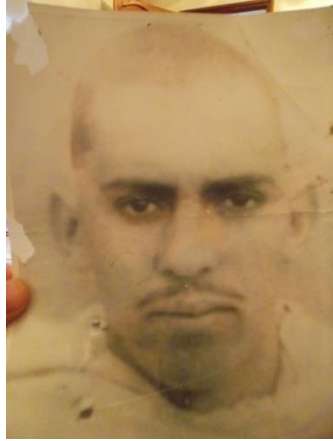
5 - هذه المعلومات من إفادة المجاهدين الحاج بوبليحة المنور و بوحلة بوعمامة.

6 - التاريخ الصحيح لاستشهاد سي عبد القادر، هو ما أشرنا إليه أعلاه وليس ما جاء في الكتاب المذكور، أما الاختلاف فيمكن في الشهر فقط الذي هو أكتوبر بدل نوفمبر، بينما الباقي صحيح.

## المساعد الشهيد حيدار إبراهيم (الطالب إبراهيم):

(1961 . 1939)

(قائد قسم عسكري)



صورة الشهيد حيدار إبراهيم ولد عبد القادر

بطل معارك "شماريخ" - "وفزوز" - و"الشرشيرة".

هو الشهيد حيدار إبراهيم بن عبد القادر، من مواليد عام 1939 بعسلة، اسمه الثوري "قحافة"، انتسب مبكراً إلى حلقة إمام زاوية سيدي أمد المجدوب، المسمى سي محمد بن الفيلاي (لعل أصوله تعود إلى بلاد تافيلالت)، فحفظ القرآن الكريم، وأخذ عنه ما توفر لديه من علوم شرعية ولغوية، كما أتقن الخط العربي على يده، و لزمه إلى أن عصفت بالزاوية الأحداث التي رافقت بداية الثورة، نتيجة اكتشاف أمرها من طرف قوات الاحتلال الفرنسي كمركز لهذه الثورة، فاعتقل الطالب إبراهيم رفقة أخيه الطاهر، ومعهما المدعو "أبا علي"، وقد كان شبه إمام مساعد، إلى جانب رجلين كانا قد وفدا على الزاوية (المركز) آنذاك في مهمة، أحدهما يدعى "بالراجع"، وقد جاء من بوسمغون حاملاً معه آلة راقنة، يعتقد أنها كانت في طريقها إلى أحد مواقع جيش التحرير، و رجل آخر يحمل بريدًا جاء به من بلدة "الشلالة القبلية"، (لم يحدد الرواة اسمه).

فقضى خمستهم أربعة أشهر بمعتقل مدينة المشربية، التحق على إثرها الطالب إبراهيم بصفوف جيش التحرير الوطني كما فعل إخوته، حيث أسندت إليه -في أول الأمر- مهمة أمين الإرشادية التي كان يشرف عليها شقيقه، حيدار بن سليمان (الإفريقي) وقد كان الطالب إبراهيم أوفر إخوته حظاً من حيث عدد العمليات

العسكرية التي شارك فيها، و لعل أولها اشتباك الجهة القبلية من جبل شماريخ، رفقة أخيه الإفريقي والمدعو (الهوش)، إلى جانب خمسة من المجاهدين، وهو اشتباك لم تسجل فيه أية خسائر في صفوفهم. وتلا ذلك اشتباك "التربة" في أكتوبر 1958، ثم مشاركته في معركة جبل فزوز يوم 1959/07/02، التي استشهد فيها الشهيدان، شقيقه حيدار بن سليمان (الإفريقي)، ورفيقه مختاري الطاهر، وهي المعركة التي ترك لنا الطالب إبراهيم تفاصيل وقائعها في الوثيقة التي كتبها بعدها بأيام قلائل، فكانت نعم المصدر في الإحاطة بمجرياتها، وتحديد أزمته تطورات أحداثها، وتلتها معركة جبل شماريخ سنة 960، التي أبلى فيها بلاء منقطع النظير، انتقاما من جيش الاحتلال الذي كان قد قتل أخاه الشهيد، حيدار الطاهر في تلك الأيام بمعركة "وادي العمور" قرب جبل بريسط.

وقد كان الطالب إبراهيم ضمن كتيبة من مجاهدي جيش التحرير، تصدت لعملية إنزال جوي حاول المحتل الفرنسي أن يقوم بها على قمم جبل شماريخ الأشم، إلى جانب أرتال من الدبابات، تمركزت بأحد سفوحه، (في مصدر كان عدد المجاهدين ثلاث فصائل، سقط منهم سبعة شهداء رحمهم الله).

ثم كان الطالب إبراهيم قد نصب كمينا، بمعية بوغفالة المجدوب المعروف بـ "محرز"، في المكان المسمى "شايب راسه" القريب من بلدة "عسلة"، حيث قتلا ضابطا فرنسيا برتبة ملازم أول، (قائد سلاح فرسان). وأخيرا كانت معركة الشرشيرة، حيث استشهد سي إبراهيم مختتما مشواره الجهادي الطويل رحمه الله، بمفخرة صمود أخرى، وهي المعركة التي شارك فيها -إلى جانب أرتال من سلاح الدبابات - اللفييف العسكري الثامن من فرق السفاح بيجار، وقد كان إبراهيم قائد قسم عسكري.

أما في حياته الخاصة، فقد كان الطالب إبراهيم مسكونا بالقرآن الكريم، حيث روى عنه انه قال: " ما مضى عليّ يوم إلا وكنت أتلو فيه حزين من القرآن الكريم. (الرواية للمجاهد حيدار الميلود، وهو ابن عم الشهيد)، أما الكتب التي كانت بحوزته (1) - حتى لا نقول مكتبته - فلاشك أنها، رغم قلتها وإلى جانب تحصيله العلمي ذي الطابع الديني، قد شكلت أحد عوامل تكوينه، وأسهمت في بناء شخصيته منذ أن كان لا يزال في سن التحدي والحماس، فشبّ متوثبا للعمل الذي فيه خير الجماعة الوطنية، مؤمنا بهدفها الأسمى المتمثل في تحرير الجزائر، وإلى جانب اللغة العربية، كان يحسن اللغة الفرنسية، التي أخذ مبادئها عن زميله في جيش التحرير، الراحل جبري عبد الجبار، بينما علّمه هو مبادئ اللغة العربية (2)، ومن هنا ندرك ما كان يوليه المجاهدون لتثقيف أنفسهم، رغم ظروفهم ورغم حياة الحل المؤقت، والترحال الدائم.

إن من يدرس بعض جوانب شخصية الطالب إبراهيم -انطلاقا من سلوكه الحربي -سيقف في غيرما صعوبة، على قدر كبير من تأثره بمنظومة القيم المستمدة من تراثنا البطولي، ولعل من تلك القيم، أنه كان أخر من ينسحب من كل معركة حضرها، كما حدث في معركتي شماريخ و فزوز وغيرهما قبل أن يكون أخر من يستشهد في معركة الشرشيرة، ولم يكن أيضا ممن يحضرون المعارك

حضورا عابرا، أو يnehون حضورهم بأي موقف براغماتي أو انهزامي، بل كان على النقيض من ذلك، يفضل الاعتماد على نفسه في المعركة، ولذلك نجد مواقع صموده - على الأرض - دائما متميزة، وتلك أيضا من خصال المجاهدين الكبار، فقد بقي وحيدا في معركة " فزوز"، داخل أرمدة جهنمية من الجيوش المعادية - برية وجوية - المدججة بكل أنواع العتاد الحربي الحديث، وعاش لحظات من الوحدة ذاتها في معركة استشهاده بمعركة "الشرشيرة"، وسط أرتال من سلاح الدروع (الدبابات)، وجحافل المشاة المحمولة من الفرنسيين والمرتزة، تدعمهم طائرات الاستكشاف، فظل شبلا من تلك الأسود التي كان لكل واحد منها يومه، و جبله، اللذان يُعرف بهما منذ ذلك الوقت، وحتى زماننا هذا، بل وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(1) أُعيدت إلى المنزل بعد الاستقلال وهي، مصحف صغير الحجم، ونسخة خطية من همزية الإمام البوصيري، ثم كتاب " فتوح الشام " الذي يُنسب إلى الواقدي، وأحد أعداد نشرية داخلية، كانت تصدرها الأمانة العامة للولاية الخامسة التاريخية، عدد خاص بكيفيات محاربة سياسة وأساليب الأقسام الإدارية الإختصاصية (sas)، أنظر نموذجا منها في الهامش رقم 21 من الفصل الخامس أسفله، ووثائق أخرى من بينها ما هو بخط يده رحمه الله.

(2) معظم هذه الأفادات المتعلقة بحياة الشهيد، أُخذت عن المجاهد حيدار الميلود، إضافة إلى إفادة المجاهد بوخال الطاهر نقلا عن الشهيد بومدين سليمان، عرفنا منها أنه تم تعيين الشهيدين، حيدار إبراهيم وبومدين سليمان قائدتين لقسمين عسكريين، بالإضافة إلى إقرار جبري عبد الجبار على قيادة القسم الذي كان يشغله، حدث هذا في اجتماع ترأسته الناحية بالشرشيرة.

## الملازم الشهيد راسمال الطاهر (فيصل):

1960 – 1930



من أبرز قادة الكوماندو المحنكين:

ولد الشهيد راسمال الطاهر - المعروف إبان الثورة بفيصل - سنة 1930 بعسلة (ولاية النعامة)، وبها تعلم القرآن الكريم، ثم انتسب إلى مدرسة العين الصفراء، وفي عام 1947 انخرط في حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية (حزب الشعب سابقا) K وذلك عن طريق السيد باقي بوعلام، وفي 1953 استدعي للالتحاق بالجيش الفرنسي لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية، التي تم في Y طارها نقله إلى الهند الصينية، وفي عام 1956 - بعد عودته إلى الجزائر - فرّ من الجيش الفرنسي ملتحقا بصفوف جيش التحرير الوطني (وحدة بوشريط)، فشارك في أعمال التعبئة والتنظيم بجبال العمور، إلى جانب مشاركته في العمليات العسكرية التي شهدتها منطقة "آفلو" آنذاك، ليعين في عام 1957 - بحكم خبرته العسكرية وحنكته - قائدا لقوات (الكوماندو) بالمنطقة الثامنة بجبال القصور، قبل أن يلتحق عام 1959 بالقواعد الخلفية الغربية. وفي سنة 1960 قدم على رأس كتيبتين تتألفان من 220 رجلا مسلحا، وأثناء عملية تدمير حقول الألغام، وقطع الخطوط المكهربة (خط موريس طبعا)، جرت معركة كبرى بجبل عصفور قرب تلمسان بين هذه القوات والجيش الفرنسي، دامت ثلاثة أيام سقط خلالها الملازم قائد الكوماندوس سي الطاهر راسمال ( فيصل)، شهيدا بضواحي بلدة صبرة سنة 1960 رحمه الله (1)، لقد كان فيصل نموذج القائد الناجح، سواء من حيث وضع الخطط الحربية، أو من حيث دقة التنفيذ، فضلا عن براعته في الرماية الفورية بالسلاح الحديث، هذه الشهادة الأخيرة للمجاهد الحاج بوبليحة المنور.

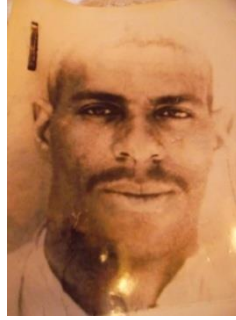
---

(1) للتوسع يراجع كتاب "من سجل شهداء ومجاهدي الولاية الخامسة" K لمؤلفه علي نهاري الذي هو شهادة الراحل الطيب النهاري المعروف.



## الشهيد حيدار معمر:

صورة الشهيد حيدار معمر (1931 - 1959)



### مفكك حقول ألغام خط موريس الجهنمي.



ولد الشهيد حيدار معمر بن سليمان سنة **1931** بضواحي عسلة وكان رجلا حيويا شديد السمرة، التحق بصفوف جيش التحرير الوطني في وقت مبكر، وما لبث أن حذق أساليب نزع الألغام الأرضية، فارتبط نشاطه بالفرقة المتنقلة الخاصة<sup>(1)</sup> بتخريب خط موريس الرهيب عبر المناطق الحدودية الغربية، حيث كان يقود عمليات فتح ممرات ومسالك عبر حقول الألغام والأسلاك المكهربة، لتمكين قادة وأفراد جيش التحرير من العبور جيئة وذهابا عبر الحدود، وتميرير السلاح والذخيرة إلى الداخل عبر المنطقة الثامنة من الولاية الخامسة، وقد كان الشهيد -حسب الإفادات - يتنقل

عبر الخط الجهنمي، من ضواحي المشرية والنعاما باتجاه ضواحي العين الصفراء، خاصة منطقة مضيق "حجاج" بسفح جبل مكثر، إلى غاية خناق أمغرار العليا، حيث تمتد الطريق البرية إلى جانب السكة الحديدية، وهي مواقع استراتيجية هامة، إلى أن استشهد عام **1959** قريبا من المكان المسمى بـ "السويقة" (بالقاف المفخمة)، جنوبي مدينة النعاما الحالية، وذلك أثناء تحديده لمواقع الألغام ليلا كعادته حتى يتسنى لمجموعة من المجاهدين اجتياز الحقل الملغم، فانفجر عليه لغم أرضي ليسقط شهيدا رحمه الله. (هذا كل ما لدينا من معلومات عن الشهيد).

---

(1) (( تشكلت فرقة متنقلة على امتداد الحدود كلما، أرادت مجموعة الدخول من المغرب أو الخروج من الجزائر، تحركت لتفتح لها الطريق وتؤمن لها العبور من خلال نزع الألغام))، عن كتاب "خط موريس وشال" لمؤلفه جمال قندل . ص 119. ط 2008

## حياة الشهيد حيدار المجذوب

(1922 - 1961).



### صورة الشهيد حيدار المجذوب

تفنن المجرمون في تعذيبه ثم في أساليب إعدامه.

ولد الشهيد حيدار المجذوب ولد سليمان، بضواحي عسلة سنة 1922، ترك إلى جانب البنات، ولدين هما الشيخ وعبد القادر، وهو أخو الشهيد معمر، والمجاهد الميلود الذي كان قائد عرش إبان الثورة، والبشير الذي تجرع مرارة الاعتقال مرات عديدة، وبلحيا ومحمد البواب، والراحل عبد الرحمن.

كان سي المجذوب هو أول من ربط الاتصال، كمبعوث بين الشهيدين بن سليمان (الإفريقي) و بوشريط قبل زيارة هذا الأخير إلى "عسلة"، ثم حضر الاجتماعات التحضيرية الأولى التي ترأسها بوشريط، بكل من مقر زاوية سيدي أحمد المجذوب، و"الدويس" شرقي جبال القصور، ليواصل نشاطه الثوري بعد ذلك في نقل كل أنواع المؤن الموجه إلى جيش التحرير من مدينة المشرية، وجمع المعلومات وغيرها، إلى أن تم اعتقاله في أوائل سنة 1961. فاقيد إلى مكتب ضابط شؤون الأهالي (بعسلة)، لتسلط عليه كل أنواع التعذيب قصد افتكاك أسرار الثورة منه، ومنها طبيعة نشاطه، وقيل إن هناك من الخونة من واجهه في مكتب (الصاص)، وأن إصراره على الإنكار جعل جلادي هذا المكتب، يذيقونه أمرّ العذاب، و يتفننون في إلحاق كل الأذى به، إلى درجة جعلت بقية الأسرى بالمعتقل ينكرونه، و لا يتعرفون عليه نتيجة ما ألحق بجسده ووجهه من جراح و كدمات، بحيث تشوّه فيه كل شيء حتى صوته.

وهو لا يزال على تلك الحال، أبت قوات الاحتلال، إلا إن تنقله معها مصحوبا بأسير آخر، هو الشهيد بومدين عبد القادر (1) إلى مكان الشرشيرة، الذي ما أن بلغته وحاصرته بسلاح الدروع (المدرعات) و الطائرات الاستكشافية والمشاة، حتى شرعت في إرسال القنابل الدخانية على الكهف قصد إصابة المجاهدين بالاختناق، ولما لم تلاحظ أي رد فعل من طرفهم، أقدمت على مخاطرة بهلوانية، وهي أنها شدّت الشهيد المجذوب بحبال، ثم دلتته إلى قعر الكهف، ليتحقق مما إذا كان بداخله أحد أم لا يوجد شيء، و بالفعل أخذوا يدلونه شيئا فشيئا إلى أعماق الكهف، (كان في شكل بئر كهفي عميق)، لكن ما أن بلغ المجاهدين بداخل الكهف حتى بادروا بقطع الحبال، وإبقاء الشهيد معهم.

وبخصوص طريقة إعدامه، هناك رويتان تفيد إحداهما بأن من أعدم الشهيد، هو القائم مقام ضابط شؤون الأهالي شخصيا، وكان قد أصابه برصاصة من مسدسه في قنة رأسه، فاخرقت جمجمته رحمه الله.

وهناك رواية ثانية -يضعفها مصدرنا -وهي أن جنود الاحتلال، أمروه بالجري أمامهم -وقيل فرّ دون أن يأمره بالجري -ولما أخذ يجري شقه أحدهم من ظهره عموديا بقذائف رشاش، فسقط على إثر ذلك شهيدا أوائل 1961.

والثابت، أنه وُجد مهشم الوجه والرأس، ملطّخا بدماء التعذيب، واستشهد وهو في وضع قرفصائي تسنده صخرتان من جانبيه(2)، (لاحظ تفاصيل معركة الشرشيرة أعلاه).

---

(1) والشهيد بومدين عبد القادر هو أخو الشهيد سليمان بومدين والراحل سي بومدين بوعمامة، الذي استقبل السيد قايد أحمد في خيمته حينما انتقل هذا الأخير من عند الشهيد الإفريقي. (لاحظ زيارة السيد قايد أحمد).

(2) اعتمدنا في سرد واقعة استشهاد الشهيد حيدار المجذوب، على ما أبلغنا به أخوه السيد حيدار الميلود، نقلا عن كل من الشهيد هرماك قدور الذي انسحب يومها، ليستشهد هو الآخر في معركة أخرى، وبعض من كانوا مجندين في صفوف الجيش الفرنسي آنذاك من الجزائريين.

## الشهيد حيدار العربي:

(سي الصابري مفتش المراكز العسكرية).



صورة الشهيد حيدار العربي (1933-1960).

مغوار أشهر معارك جبل عيسى:

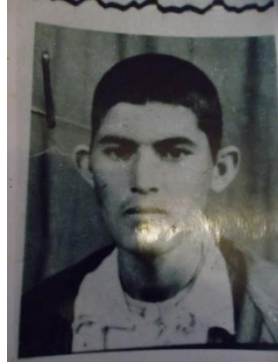
وُلد الشهيد حيدار محمد بن الطيب، المعروف بالعربي، بضواحي بلدة عسلة وذلك عام 1933، وقد اشتهر خلال الثورة المسلحة، بـ"الصابري" كاسم حربي، التحق بصفوف جيش التحرير الوطني، حيث عمل عضوا نشطا، فكان أهلا للمهمة التي أُسندت إليه، وهي مهمة مفتش للمراكز العسكرية التابعة لجيش التحرير، فاضطلع بها إلى أن سقط شهيدا في معركة ضارية، جرت بالجهة الشمالية الشرقية من قمم جبل عيسى، وذلك سنة 1960. (نأسف لشحة المعلومات حوله).

## نبذة عن حياة الشهيد هرماك قدور:

صحيح أن سي قدور التحق بصفوف جيش التحرير قبل ذلك بزمن، لكنه ما لبث أن أصبح - في حدود معلوماتنا - من رجال مرحلة أوائل الستينيات في ذلك القسم، إلى جانب مولاي عمر، وكانا الرجلان من الانسجام والتوافق والتكامل، بحيث يقومان بمهام قيادة القسم العسكري، فشكلا بذلك - قبل استشهادهما - مصدر الفعل الثوري عسكريا ومدنيا في تلك المرحلة، مرحلة ما بعد استشهاد أشهر القياديين العسكريين المحليين، مع بداية العشرية ممن كانت تلك البقعة تابعة لمسؤولياتهم من أمثال، سي محمد الشلالي، وسي عبد القادر راسمال، والطالب إبراهيم (حيدار إبراهيم) وغيرهم، إلى أن استشهادا (أي سي قدور و سي عمر) في معركة "البقلة" (بالقاف المفخمة)، الضارية التي تزعمتها الطائرات العمومية والدبابات، إذ بعد المواجهة القتالية أُصيب سي قدور بقذيفة من إحدى العموديات، نُقل على إثرها إلى مدينة المشرية، وهنا خلاف في مكان استشهاده، بين من يقول إنه استشهد وهو لا يزال على متن الطائرة، وبين من يفيد أنه استشهد فور وصوله إلى المشرية، نظرا لخطورة إصابته رحمه الله.

كما استشهد مولاي عمر بمكان المعركة، في حين تمكن حيدار الميلود من الانسحاب، كان سي قدور صديقا حميما للطالب إبراهيم (حيدار إبراهيم)، بحيث تشبعا بنفس المبادئ المحبة للجزائر، الراضة لكل أشكال الاستعمار، وحضرا معركة الشرشيرة معا كما أسلفنا.

## . الشهيد حيدار بحوص:



صورة الشهيد حيدار بحوص بن عبد القادر (1937 - 1958)

رجل من نخبة أفراد الكوماندو الذي كان يقوده فيصل.

ولد الشهيد حيدار بحوص بن عبد القادر عام 1937 بعسلة، وبعد انعقاد الاجتماع التحضيري الأول الذي كان بوشريط قد ترأسه، بمقر زاوية سيدي أحمد المجذوب سنة 1956، و بداية تشكّل الأفواج الأولى لجيش التحرير الوطني، غادر الشهيد بحوص عسلة، نحو منطقة "الدويس" (الناحية الشرقية من جبال القصور)، وهو المكان الذي انعقد فيه أكبر تجمع للمتطوعين، وذلك رفقة كل من ابن عمه حيدار بلحيا، و ابن ساسي بحوص، ( من أمازيغي عسلة )، غادروا بنية الالتحاق بصفوف جيش التحرير، وفي عام 1957 شارك في معركة جبل شماريخ، التي قادها سي عبد القادر راسمال، ومولاي البشير، وحضرها المجاهد لزرق سليمان - الذي أفادنا بهذه المعلومة - .

ثم ما لبث سي بحوص أن أصبح بعد ذلك، أحد أفراد الكوماندو الذي كان يقوده الشهيد فيصل ( راسمال الطاهر)، بضواحي العين الصفراء، حيث شارك في عدة عمليات عسكرية، منها العملية التي شهدتها وسط مدينة العين الصفراء في شهر أوت 1957، أما عن ظروف استشهاده، فتلخص في أن الجيش الفرنسي كان قد أرسل برتل من عربات نقل الجند (من نوع 6 / ) الى مكان يقع بين العين الصفراء و"بن يخو"، خلف ثنية يقال لها "وادي لآخرة"، وقيل إنها تُعرف "بوادي ميمونة"، فظهرت تلك العربات فجأة، وهي متجهة نحو المكان المذكور.

و لما بلغته اختفت فيه مدة قصيرة من الزمن، ثم غادرته عائدة من حيث أتت، ولأن هذه التحركات المريبة بعثت شكوكا في نفوس رجال الكوماندو، الذين كانوا يراقبونها من بعيد بطبيعة الحال، صدرت الأوامر من أحد رؤساء الأفواج (لأن فيصل كان غائبا في مهمة) إلى أربعة من أفراد الكوماندو، بالتنقل إلى المكان الذي سبق لعربات الجيش الفرنسي أن اختفت فيه مؤقتا، قبل أن تعود، وذلك لمعاينته و للتأكد



من إن كان يحتوي على إية قوة عسكرية، تكون تلك العربات قد خلفتها هناك، أم أن المكان خال من أي وجود عسكري، وقيل إن هذه الرغبة في معرفة حقيقة ما ينطوي عليه هذا المكان، تعود إلى اعتزام بعض العائلات مغادرة العين الصفراء ليلاً، للنزوح إلى المغرب الأقصى، وهكذا كان الأربعة الذين وقع عليهم الاختيار، هم حيدار بحوص، و الشاوش الطيب، (و هما مجذوبيان)، ورجلان من قبيلة المرينات (العمور)، و قد تم اختيار هؤلاء الأربعة لليافتهم البدنية، وحيويتهم وخبرتهم العسكرية، فانطلقوا يغذون السير، لكنهم فوجئوا، فور وصولهم إلى عين المكان، بوابل من الرصاص ينهمر عليهم من كل جانب، ليسقط على إثر ذلك ثلاثة منهم، شهداء على الفور، هم حيدار بحوص و المرينيان، بينما أصيب الشاوش الطيب إصابة بليغة، قبل أن يتم اعتقاله من قبل رجال الكمين الفرنسي، وكان ذلك سنة **1958**. (للتوسع لاحظ ما كتبناه أعلاه عن كمين وادي ميمونة).

## الشهيد حيدار الطاهر بن عبد القادر:



صورة حيدار الطاهر بن عبد القادر (1933 - 1960)

عُرف سي الطاهر بشجاعته وإقدامه.

ولد الشهيد حيدار الطاهر سنة 1933 بعسلة، ويُعرف بمحمد الطاهر، ترك ابنة واحدة، نشأ - كإخوته وبنى عمومته - في وسط يقوم على النشاط الزراعي وتربية الماشية، ويعطي جانبا من وقته للاهتمام بالحياة الروحية، التي شكّلت فيها زاوية سيدي أحمد المجذوب قطب الحركة، وهي الزاوية التي كان سي الطاهر يعيش ضمن العائلة التي تديرها، سواء في حياة والده - سي عبد القادر - الذي قضى وقتا طويلا مقدما لها، أو خلال الفترة التي اضطلع فيها أخوه " الإفريقي " بتلك المهمة بعد وفاة والديهما.

ظل ذلك هو الجو السائد في حياة سي الطاهر، إلى أن عرفت الزاوية، ومعها مجتمع " عسلة " وما حولها، نقلة نوعية سنة 1956، ليس في طرق التفكير فحسب، بل وفي أساليب النشاط الذي أسس له الثائر بوشريط بسلسلة من الاجتماعات، انطلاقا من اجتماع الزاوية التي أعطاه طابع " المركز " التابع للثورة، وهي الصفة التي بلغت المحتل الفرنسي، الذي سرعان ما طوق مقرها، وعاث في مكوناتها، و استولى على بعض ممتلكاتها المنزلية و الحيوانية، و لم يتوقف الأمر عند ذلك الحد، بل تم اعتقال سي الطاهر وأخيه ابراهيم، وبعض من وجددهم الجند الفرنسي بها من ضيوف (غير عاديين).

اعتقل سي الطاهر وأخوه الطالب إبراهيم ومن معهم، وأودعوا سجن مدينة المشرية لمدة أربعة أشهر كاملة، قبل أن يُطلق سراحهم، ولم يكن سي الطاهر استثناء من إخوته، فقد عاش كل الأحداث التي مرت بالعائلة، ابتداء من رحلتها إلى البادية، بعد أن أصبح كل رجالها محل متابعة من قبل قوات الاحتلال، ثم التحق بصفوف جيش التحرير الوطني، شأنه في ذلك شأن إخوته، الإفريقي و إبراهيم وبحوص الذي كان قد

سبقهم، وعُرف سي الطاهر بشجاعته و إقدامه، فهو الذي يُقال إنه اقتحم حظيرة كانت قوات الاحتلال قد حجزت فيها أغناما، منها أغنام العائلة، فاسترجع بعض هذه الأخيرة (1)، وبقيت أغنام أخرى بالحظيرة محتجزة، وهو الذي يُقال إنه طلب من سي محمد الشلالي - قائد الناحية - وسي عبد القادر راسمال، أن يسمحا له بإحضار ضابط شؤون الأهالي المعتمد بعسلة حيا مكبلا، غير أنهما لم يطاوعاه على رأيه، خوفا من الانتقام الذي ستوقعه سلطات الاحتلال بالسكان المدنيين هناك نتيجة عملية كهذه (2).

و أخبرتنا موقعة استشهاده عام 1960 " بوادي العمور" (جبل بريسط) - التي عرضنا لها سابقا - عن مواقفه البطولية، فقد نصب - هذا العم الشجاع - هو و مجموعة من المجاهدين، كمينا لأعوان العدو ( الحركى )، الذين كانوا في دورية على خيولهم، لمراقبة رعاة الأغنام التي كانت تتواجد هناك ضمن ما يُعرف بنظام ( المبيت )، فأطلق الطاهر ورفاقه النار على الحركى، ففر هؤلاء عائدين إلى " عسلة"، و ما أن أبلغوا قاداتهم الفرنسيين بالخبر، حتى هرعت قوة عسكرية نحو المنطقة، وكان المجاهدون قد انسحبوا إلى غاية جبل "تانوت" المجاور، فتوغل بعضهم في الجبل، بينما لاحظ بعضهم الآخر أن أحدهم لم يلتحق بهم نتيجة مرض ألم به، فعادوا إلى حيث يوجد، وكان سي الطاهر في مقدمة العائدين، فصادفوا المدد العسكري الفرنسي الذي كان قد وصل، فنشبت معركة بين الطرفين، شارك فيها سلاح الدروع إلى جانب المشاة، فسقط سي الطاهر شهيدا رفقة شهداء آخرين وهم، الشهيد بوبليحة الشيخ، و الشهيد الباقي علي، و شهيد يدعى مهاية (3)، أما المجاهد حفيان التومي فقد اعتقل يومها (4).

---

(1) تفيد المعلومات ان 1400 رأس من الأغنام كانت السلطات الفرنسية قد احتجزتها، من أغنام أهالي المحششد، منها 400 رأس للشهيد الإفريقي وإخوته، وأغناما لعمه حيدار الطيب، وابن عمه حيدار أحمد بن الشيخ، وتم نقلها إلى السوق الأسبوعي بالعين الصفراء وبيعها في المزاد العلني هناك، لفائدة سلطات الاحتلال، (المصدر مجموعة من الرواة).

(2) بعض هذه الإفادات أفادنا بها الحاج سليمان شخنابة (وهو ابن أخت الشهيد)، وذلك نقلا عن ابن عمه، شخنابة بحوص بن لعرج الذي حضر موقعة الغنم، وهذا الأخير أخو الشهيد عبد القادر، الذي تحدثنا عنه في معركة الشرشيرة.

(3) الشهيد مهاية من إضافة لأرملة الشهيد الطاهر.

(5) للتوسع، أنظر ما كتبناه آنفا عن معركة بريسط.

## الشهيد حيدار محمد ولد عبد القادر:



صورة الشهيد حيدار محمد بن عبد القادر (1907 - 1958)

مات تحت التعذيب، وكان من أبرع رجال الرماية قبل الثورة.

ولد الشهيد حيدار محمد بن عبد القادر سنة 1907 بعسلة، وكان أكبر أخوته، وهو رجل قنص (صياد)، لا تغفل مجالس الحديث عن الرماية والقنص، الإشارة إلى مهارته في دقة التسديد، عاش كإخوته في وسط ريفي نصف زراعي، يغلب عليه الطابع الرعوي بحكم الموقع الجغرافي، خلف إلى جانب البنات، ثلاثة أبناء هم، الحاج بوبكر، أحمد و المجدوب، كان نشاطه الثوري - منذ انطلاق ثورة التحرير، ونشاط إخوته - من بين العوامل التي تسببت في مضايقته باستمرار، من قبل قوات الاحتلال الفرنسي، التي لم ترع لأكثر سنه، ولا ظروفه الصحية كمصاب بمرض الربو المزمن آنذاك، فاعتقلته عدة مرات، و سلطت عليه كل أنواع التعذيب، ليلفظ أنفاسه بالسجن من جراء التعذيب و المرض، فلقى الله شهيدا في عام 1958 رحمه الله.

## الشهيدة الشاوش مباركة:

إنها أشهر شهيدات القبيلة، وواحدة من بطلات الجزائر.

كانت مع نساء الدوار في إحدى الخيم المجاورة، وفجأة اكتشفن مجموعات من الجيش الفرنسي، مندفعة باتجاه الخيم، فما كان من الشهيدة إلا أن هرعت مسرعة نحو خيمتها، حيث كان ينام زوجها المجاهد حفيان عبد السلام - الذي كان عضواً في جيش التحرير آنذاك - فأيقظته ونهته إلى وجود العسكر، فانسحب لكن العسكر اكتشفه فأرسل في إثره كلباً أسود، فما كان من سي عبد السلام إلا أن وجه رصاصة أو اثنتين إلى الكلب من مسدسه فأرداه قتيلاً، ثم أوغل في انساحبه.

أما الشهيدة فكان العسكر قد تعرف عليها، لأنه لاحظ انصرافها سافرة نتيجة الهلع، مسرعة إلى الخيمة التي انسحب منها زوجها، فألقوا عليها القبض، وأمسك بذراعيها جنديان، ورميا بها إلى شاحنة عسكرية، ثم ألق العسكر نحو العين الصفراء، وفي سجن هذه الأخيرة الجهنمي، المعروف بأساليبه الوحشية، سلطوا عليها كل أنواع التعذيب إلى أن خرت قواها، وشارفت على الموت، فاخلوا سبيلها هائمة على وجهها، لا تدري أين تتجه، بل ولا تستطيع صحياً أن تتجه إلى أي مكان، وهناك جاء دور السيد بوقنينة ابراهيم الذي أخذها إلى منزله هناك، حيث قامت عائلته بكل ما يلزم نحوها، ولما أعادها إلى عائلتها لم تلبث إلا شهراً واحداً، ثم استشهدت جراء التعذيب الذي واجهته على يد المجرمين الفرنسيين في المعتقل، (إفادة حفيان المجدوب، نجل الشهيدة، وهو مدير مجاهدين سابق، وابن عمه عبد القادر حفيان، في لقاء لنا بهما يوم 05 أوت 2015 بعسلة).

## الشهيد مختاري الطاهر:

(الرجل الذي استشهد، وأصابه مطبقة على المسدس وفاء للعهد).

ولد الشهيد مختاري الطاهر بن محمد سنة 1927 ببلدة بوسمغون (ولاية البيض)، وهو من أمازيغ البلدة المذكورة، التحق بصفوف جيش التحرير الوطني سنة 1957، وشارك في عدة عمليات عسكرية ومعارك، كان آخرها معركة جبل فوز، التي استشهد فيها رفقة الشهيد الإفريقي في 1959/07/02، وقد سبقت الإشارة إليه مرارا، أثناء حديثنا عن هذه المعركة.



## الشهيد مختاري سي علي:



صورة الشهيد مختاري سي علي:

كان فدائيا بضواحي مستغانم.

وللشهادتو مختاري الطاهر المذكور أعلاه أخ، استشهد هو الآخر أثناء الثورة المسلحة، يُدعى مختاري سي علي، وهو من مواليد **1922** ببلدة بوسمغون، شارك في الثورة منذ بدايتها، حيث فرّ من بوسمغون إلى مستغانم، ثم إلى بلدية "ويليس" سابقا، " ابن عبد المالك رمضان " حاليا، فاستقر بها، واستشهد يوم **10 ماي 1957** (الولاية الخامسة، المنطقتان السابعة والرابعة، الناحية الثالثة. **W 5/7.4/R3**)

(انتهى ما ورد في المراسلة التي تلقيناها من عائلة هذا الشهيد، المقيمة بمستغانم).

وفي إضافة شفوية للحاج بن عزوز الطاهر-أثناء لقائنا به - يفيد بأن سي علي مختاري، كان من أوائل الفدائيين الذين سقطوا شهداء بمنطقة مستغانم، إثر عمليات فدائية بطولية قاد بعضها، وشارك في بعضها الآخر.

## ملحق:

هذا الملحق يتناول حياة الزعيم بوشريط، بحكم علاقة نشاطه الثوري بالشهيد حيدار بن سليمان، الإفريقي في فترة من الفترات كما أسلفنا:

### حياة الشهيد يوسف بوشريط:

هذا المختصر نقلا عن نشرية "صدى كسال وبودرقة"، التي أعدها الاتحاد الولائي للشبيبة الجزائرية بالبيض، كعدد خاص بالشهيد بوشريط.

الشهيد يوسف بوشريط، الملقب بسي الحسن، من مواليد سنة 1924 بأولاد سيد الحاج بن عامر، ابن يوسف محمد بن الحفيظ، وخذير مبخوتة بنت دحمان، له ثلاثة إخوة، نشأ الشهيد في وسط عائلي متواضع، متمسك بالتقاليد الجزائرية، ويعيش على فلاح الأرض، وتربية الماشية، والقنص، تلقى تعليمه الأساسي في قبيلته، فحفظ ما تيسر له من القرآن الكريم، ومبادئ الدين، وما أن بلغ سن الشباب حتى انصرف للعمل السياسي، مقرنا الجهاد في سبيل الله، بحب الوطن وتحريره، وهكذا انخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري حوالي سنة 1945، وإثر الأزمة التي مر بها هذا الحزب، انضم إلى "المنظمة السرية"، التي جاءت بالحل الأمثل للقضية الجزائرية، ممثلا في خوض الكفاح المسلح، سبيلا وحيدا لنيل الاستقلال.

وكان الشهيد بوشريط على اتصال مستمر، بكل من المناضل مولاي محمد الذي ينتمي إلى قبيلته، باعتبار أن هذا الأخير كان همزة وصل بين الشمال والجنوب الغربيين، وبقيادة الأحزاب الوطنية، كحزب البيان، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد تركت زيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس لمدينة البيض أثرا عميقا في نفس الشهيد (1)، فضلا عن اتصالاته المباشرة بأبرز القادة الوطنيين بوهران، كالدكتور النقاش، والعربي بالمهيدي، وحمو بوتليليس، بالإضافة إلى من بمنطقته، مثل مولاي ابراهيم (الرائد عبد الوهاب)، يوسف بن عودة، ونور البشير، وعبد العالي، ومحمد العماري (بن جلول)، و عبد القادر ولد حدة، وغيرهم.

أشرف - إبان بداية عام 1955، بعد التحضيرات التي أتمها مع نهاية سنة 1954 - على اغتيال أحد المتعاونين مع الاستعمار، وحرقت شاحنات للعدو الفرنسي بطريق الكراودة، ثم قتل ضابط صف فرنسي في كمين، بنواحي أربوات، وإعدام أحد الآباء البيض وقد كان جاسوسا بـ [ امرييس ]، فقطع الخطوط الهاتفية بمدخل مدينة البيض، وحرقت كل من ورشة لقطف الحلفاء بالحاسي الأبيض، وحافلات بالكريمة والزرزور. إلخ.

وكان قد اشتدّ عود الثورة في المنطقة، بالتحاق كتيبة مسلحة قدمت من المغرب الأقصى تحت إمرة مولاي عبد الله (2) سنة 1956 ، وبأفواج من الراغبين في الكفاح المسلح من الشباب، مما سمح بتوزيع هذه القوات إلى أربع كتائب، قاد كل واحدة منها على التوالي، بوشريط، مولاي إبراهيم (عبد الوهاب)، محمد بن جلول (لعماري)، ويوسفي بن عودة مع مولاي عبد الله، فقرر الشهيد بوشريط توسيع نطاق العمليات المسلحة غربا، وهكذا تم الهجوم على بلدة "الشلالة الظهرانية"، مما أدى إلى أسر 30 حركيا، وغنم مدفع رشاش من عيار 24، ثم القيام بعملية عسكرية ضد ثكنة بوسمغون.

أما في عملية الزرزور، فقد تم غنم أسلحة خفيفة، ومدفع رشاش عيار 24، على إثر تلك العمليات الناجحة، توجه الشهيد بوشريط شمالا (3)، نحو مدينة سوقر، ففرندة، ثم الحساسنة، ثم أطرافي، وبعد اختتامه هذه الجولة التي اقتصرت على التعبئة والتجنيد، عاد إلى حيث كانت قوات جيش التحرير تنتظره، لكن قبل وصوله اعترضه كمين أودى بحياته رحمه الله، في أواخر شهر سبتمبر من عام 1956، وقد أعقب وفاته نشوب معركة الشوابير (القعدة) بضواحي أفلو، وهي معركة أشهر من نار على علم.

---

(1) بخصوص زيارة الشيخ ابن باديس لمدينة البيض، أنظر المؤلفات التي تناولت حياته، ومنها على سبيل المثال، كتاب " آثار الإمام عبد الحميد بن باديس "، رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ج 4 ص 259. ط 2007 إصدار وزارة الشؤون الدينية.

(2) من المعروف أن هذه الكتيبة التحقت ببوشريط ورفاقه، تحت قيادة أحمد بن موسى المدعو مراد، كقائد سياسي للقسم الخامس عشر، رفقة مولاي عبد الله كقائد عسكري، هكذا روى مولاي إبراهيم (الرائد عبد الوهاب)، وكثير من مجاهدي البيض.

(3) أغفلت وثيقة شببية البيض — التي كانت مصدرنا في هذه النبذة — ذكر النشاط السياسي والتنظيمي الواسع، الذي قام به بوشريط في الناحية الغربية (عسلة. تيوت. عين ورقة. بوسمغون. أمغرار. سيدي إبراهيم. إلخ)، إبان النصف الأول من عام 1956، وذلك قبل أن يقود العمليات العسكرية بكل من، الشلالة وبوسمغون وثنية الجمال وغيرها، فزيارته إلى هذه الجهة الغربية، سبقت زيارته إلى الشمال (سوقر. فرندة. الحساسنة. إلخ)، وربما يعود هذا السهو إلى شح المعلومات، ونتمنى أن تتمكن من وضع هذه المعلومات بين أيديهم، حتى يستوفوا حياة الرجل في المستقبل.

(4) للإطلاع على المزيد من حياة الشهيد بوشريط، أنظر أيضا كتاب "من سجل شهداء ومجاهدي الولاية الخامسة"، لمؤلفه علي نهاري. ط 2008 ص 70.

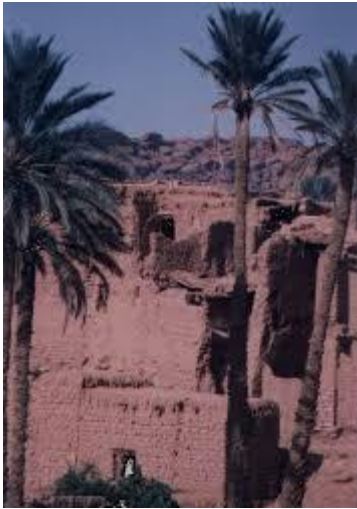
# هوامش وإحالات:

## (هوامش الفصل الأول):

(1) بصرف النظر عن أجزاء أخرى من منقطة جبال القصور تابعة لولاية البيض حاليا، تتحدث المراجع الرسمية عن أزيد من 300 محطة للصخور المنقوشة، واقعة بتراب المنطقة.

(2) ينسب اكتشاف آثار " تيوت " - حسب ما هو معروف - إلى جاكو فيليكس، أثناء وصول القوات الفرنسية إلى تلك المنطقة، بقيادة الجنرال كافينيك (أو كونيك)، وذلك بتاريخ 24 افريل 1847، و"تيوت" بلدة ذات واحة تقع قرب مدينة العين الصفراء من الناحية الشرقية، كان روني باسي (الباحث الفرنسي المختص في الدراسات اللغوية واللهجات الإقليمية)، قد توقف مطولا في المجلة الأسيوية في مقاربة قيمة بشأنها، فتحت العديد من التساؤلات عما إذا كانت هي مدينة " تيوي"، التي ذكرها الشريف الإدريسي في كتابه " نزهة المشتاق " وهو بصدد الحديث عن شبكة الطرق الرابطة بين مدينتي " تلمسان "، و" سجدماسة " (تافيلالت)، محددا ما يتخلل هذه الشبكة من حواضر، حيث عقد الباحثة الفرنسي مقارنات شبه مقنعة بين شواهد " تيوت "، و مواصفات " تيوي"، الطوبوغرافية التي أشار إليها الإدريسي، وهو ما لم يتطرق إليه من حققوا كتاب "نزهة المشتاق"، ربما تجاهلا منهم لأهمية ذلك الجهد، أو أنهم لم يروا أي وجه لمثل تلك المقارنة، وتعتبر تيوت محطة أثرية هامة للرسومات الجدارية، التي تدل في جانب منها، على صناعة أسلحة الرمي وغيرها، (أنظر فتيحة فرحاتي "نوميديا" ص 207/252 نقلا عن G.B FLAMAND " les pierres écrites " ..)

### مشهد من تيوت القديمة



أما بخصوص رسم الزرافة الكائن بكديية عبد الحق، فقد أشار الباحثة الراحل جوزيف ايليو إلى أنه الرسم الوحيد لهذا الحيوان بالأطلس الصحراوي، (لاسيما من حيث شكل رأس هذا الحيوان)، كما أفاد - أثناء حياته في لقاء معه - ان هناك رسومات أخرى بمنطقة " طرف النخيلة " (جنوبي بوسمغون) تجسد أقراما، مما يدل على أن هذا النوع من الجنس البشري قد استوطن تلك المنطقة في زمن ما، وأضاف بأن هناك رسوما للمرأة وهي تعقص شعرها في صورة قذال (شينيوي)، وترتدي جلد ثور، متخذة من أظلافه أزرارا، معتبرا ذلك مظهرا يدل على طور حضاري متقدم، بلغت نساء المنطقة في ذلك الزمان ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار، بالإضافة إلى رسومات لعربات حربية تجرها خيول. انتهى فحوى كلام ايليو.

مع العلم أن جرجي زيدان يورد في كتابه "العرب قبل الإسلام" ص 61، ان الهكسوس هم من أدخل سلاح العربات هذا إلى مصر ومنها انتشر (لاحظ أيضا "فتيحة فرحاتي"، في كتابها القيم " نوميديا " ص 270 ط 2007.



(3) نفس المرجع المشار إليه في الهامش رقم (1) أعلاه.

لقد صنف الباحثون التراث الأركولوجي لجبال القصور والأطلس الصحراوي بوجه عام، في أسلوبين فنيين هما، الأسلوب الطبيعي التمثيلي أو التماثلي، والأسلوب الطبيعي الزخرفي أو المزخرف، فضمن نماذج الأسلوب الأول، تندرج بعض آثار تيوت، وقارة الطالب، وكدية عبد الحق، والرصفة الحمراء، وغيرها، بينما تُصنف نماذج كل من، الكريمة، وقارة الخلوة، ووادي القصب، وأماكن أخرى، في الأسلوب الثاني، ومعظم هذه الآثار من اكتشاف الباحثة الراحلة، الدكتورة جوزيف (يوسف) إيليو، كما تثبت ذلك السيدة مليكة حاشيد (لاحظ المرجع أدناه).

أما مدرسة تازينة، فتفتح على مشاهد في غاية الروعة، تتناغم بجرؤة مع الحدائث، كنفوش فج النعام، وعين تازينة، وآثار أمغرار التحتاني، ووادي درمل، وعين الناقة، وغيرها، لقد تجلّى هذا الإبداع الإنساني، كمظهر من مظاهر الدهشة الأولى لـ (( يعكس التعجب الشخصي إزاء الحياة الحيوانية الزاخرة، الموجودة حول الملجأ)) كما يقول الأستاذ ج. كي. زيريو في الفصل 26 من (( تاريخ إفريقيا العام / ص 749 / المجلد الأول. إصدار اليونيسكو))، كل ذلك دون أن ننسى المفاجأة التي حملها هذا الفن الصخري الصحراوي إلى علماء الآثار، ممثلة في رسومات وحيد القرن، كأحد الأنواع الحيوانية التي اتسعت لها حظائره الغنية. للتوسع أكثر في هذه المفاهيم لاحظ:

### malika hachid les pierres écrites de l atlas saharien ( el hadjra el maktouba )

(4) هذا بالطبع إذا ما وضعنا جانبا تاريخها الأمازيغي (الجيتولي) الطويل، الذي سبق العصر الوسيط، وهو ما سنتركه لفرصة أخرى - كما أشرنا في المقدمة - إن أطال الله في أعمارنا.

(5) أنظر اسماعيل العربي في "دولة بني حماد" - ص 71 - نقلا عن ابن خلدون، وابن الأثير، وابن عذاري، و أنظر أيضا رابح بونار في " المغرب العربي تاريخه وثقافته" ص 210 ، أما عن سجل ماساة في العهد الزياني، فأنظر يحيى بن خلدون " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الوادي " ص 41 ج 2 ط . 2007

(6) عبد الرحمن بن خلدون " العبر " ج / 11 / ص 105، هذا عن العرب، أما عن سكان المنطقة الأمازيغ، فانظر أيضا ابن خلدون - الذي يذكر بني بادين كساكنة لهذا المجال الجغرافي الواسع، الممتد (( ما بين فيكيك ومدبونة إلى جبل راشد ومصاب)) العبر / ج 13 / ص 129، كما يتحدث صاحب " العبر " عن لمطة " الذين كان (( منهم من ساح في السهوب الجنوبية لتلمسان ))، كما ينقل عنه بوزيان الدراجي في كتابه " القبائل الامازيغية " ص 182، وإذا كان لحسن الوزان جولات في هذا السياق، فلك أن تنظر بتفصيل أكثر، مؤلفات وبحوث معاصرة ذات صلة، لخليفة بن عمارة، وعبدالله

الطواهرية، وروني باسي، وهذا الأخير هو الذي أظهر شديد أسفه لضياح يوميات أحد الجنرالات الرومان، كان قد عبر منطقة جبال القصور على رأس فرقة عسكرية، قادما من إفريقيا البروقنصلية ( تونس الحالية)، نحو موريطانيا الطانجية ( المغرب الأقصى حاليا) مرورا بجبال القصور، وكان مبعث الأسف عند " باسي "، هو تسبب ضياح هذه الوثيقة في عدم معرفة ما إذا

كانت هذه المنطقة آهلة بالسكان آنذاك أم لا، ( جاء ذلك في " المجلة الأسيوية " )، مع العلم أن الرومان كانوا يخشون الاقتراب من مناطق الجيتوليين أعدائهم طوال عهد الاحتلال الروماني، (والغريب أن القصاصة التي دونا فيها ما نقلناه عن روني باسي، لم نعثر عليها كما حدث ليوميات هذا الجنرال، ولذلك جاء ما أوردناه عن روني باسي في هذا الكتاب، كله خاليا من التوثيق، كعدد المجلة وتاريخها، وكذا اسم الجنرال الروماني).

(7) المصدر السابق ص 90.

(8) السابق، وبحي بن خلدون في " بغيته " .

(9) د. يحي بوعزيز " الموجز في تاريخ الجزائر " ج 2 / ص 65 ط 2009/2.

(10) ش.أ. جوليان " تاريخ إفريقيا الشمالية " ج 2 ص 164.

والأستاذ عبد الله الطواهرية (الياقوتة ص 09 و غيره).

(11) قام بهذه الحملة الباي محمد الكبير (بايليك الغرب)، بعد أن كان باي التيطري (بايليك الوسط)، قد عجز عن إشاعة الانضباط في صفوف تلك الأقاليم وإجبارها على دفع اللزمة السنوية (الخراج) رغم أنها تابعة له، فأسند الداي هذه المهمة إلى باي الغرب الذي أنجزها.

مع العلم أننا لم نتمكن من الأطلاع على المصدر الأساسي الذي أرخ لهذه الحملة، وهو كتاب أحمد بن هطال التلمساني " رحلة الباي محمد الكبير إلى جنوب الغرب الجزائري"، و تأتي أهمية هذا المصدر، من كون مؤلفه كان ضمن رجال الحملة، مما سمح له بتدوين يومياتها بتفصيل، وعوضا عن ذلك وجدنا بين أيدينا مصدرا آخر، كنفى بالإشارة إلى ذكر " الشلالة"، هكذا بدون تحديد موقعها الجغرافي، إلا من خلال ذكر مدن وبلدات الناحية، التي شملتها الحملة، وكان سياقها يكفي للتعريف بها، هذا المصدر هو، "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" لابن سحنون الراشدي - ص 138 - والمؤلف مصدر، ليس لأنه عاصر الباي فحسب، بل ولموقعه القريب منه، وبما أن محقق " الثغر"، البحائة الشيخ المهدي البوعبدلي رحمه الله، لم ير مدعاة للتوضيح، فالأمر واضح إذن.

(12) د. أبو القاسم سعد الله " تاريخ الجزائر الثقافي " ج 2/ ص 359.

(13) شارل أندري جوليان " المصدر السابق " ج 2 ص 98. ترجمة البشير بن سلامة ومحمد مزالي محمد.

.وهو عكس ما أصبح عليه أمر المنطقة خلال الاحتلال الفرنسي، حيث تمركزت القوات العسكرية الفرنسية، بمناطق هذا الجنوب منذ أربعينيات القرن التاسع عشر، ليزداد حضورها مع تعاظم المقاومات هناك، (راجع محمد حربي " الثورة الجزائرية" ص.92).

(14) المصدر ذاته ص 298.

(15) أندري برنيان " الجزائر بين الماضي والحاضر " .



(16) يستثنى من هذا الحكم بعض الالتفاتات الهامة، كالتفاتة الأستاذ خليفى عبد القادر العميقة والمركزة، حيث أبرز كثيرا من الحقائق المتعلقة بالجهة محل البحث، ومن أهمها مراسلات الأمير إلى سكان فيقيق (أنظر كتابه " المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة ").

(17) أندري برنيان وآخرون، "المصدر السابق" ص 386.

(17 مكرر) **سعيدة** إحدى الحواضر الجزائرية المعروفة، تقع بالهضاب العليا الغربية، بين الأطلسين التلي والصحراوي، وهي تشكل بذلك بوابة الصحراء بلا منازع، وتتظاهر روايات شعبية عديدة حول اقترانها باسمها هذا، نختار منها ثلاثا، الأولى تلك التي تفيد بأن سعيدة، هي تيرسيف القديمة باللسان الأمازيغي، في حين ترى رواية أخرى، أن سعيدة أخذت اسمها من اسم زوجة عبد الرحمن بن رستم، مؤسس الدولة الرستمية بتهارت (تيارت)، ولو أن هذه الرواية، لا تفصل في العلاقة بين حرم الإمام الرستمي وسعيدة كمكان، لكنها ليست مستبعدة، أما الرواية الثالثة - ولعلها الأقرب إلى الواقع - فهي التي تنسب الاسم إلى امرأة من الصالحات، استوطنت هذا المكان، وكانت تعبد فيه وتسمى بـ لالة سعيدة، وكلا الاحتمالين ليس ببعيدين. على أية حال لقد مرت سعيدة، بأطوار عمرانية، أشهرها ثلاثة، أولها الطور الذي تحدث عنه مؤرخو العصور الوسطى، كعبد الرحمن بن خلدون الذي اسماها - في كتابه " العبر " - مرة قلعة سعيدة، ومرة أخرى إمارة سعيدة، وكان يعني عهد السلطان أبي حمو الأول الزياني، ( العبر ج12 من طبعة بيروت)، و كأخيه يحيى بن خلدون، الذي تحدث هو الآخر عن سعيدة - في كتابه " بغية الرواد " - أيام لجأ إليها السلطان الزياني أبو حمو الثاني، بعد سقوط عاصمته تلمسان، على يد السلطان عبد العزيز المريني عام 772هـ / 1370م، وهذا الطور - الذي ربما هو الأول بعد اقترانها بهذا الاسم - لا يزال غير محدد كمكان عمراني، أو يمكن أن نقول إنه يشكّل - حتى الآن - ما يسميه الآثريون بالحلقة المفقودة، إذ هناك من يرى أنه كان يقع بسعيدة القديمة، وفي

محاضرة له ذكر الراحل بهلولي سليمان أن " عين الجنان"، بناحية سيدي أحمد الزقاي هي الطور الأقدم لسعيدة، ويبقى السؤال مطروحا . ثم هناك سؤال آخر هو، هل سعيدة هي " أوزكي " القديمة التي تحدث عنها الرحالة والجغرافي الشريف الإدريسي في كتابه " اختراق الافاق "؟ ، بل إن الدكتور يحيى بوعزيز، يذهب إلى أبعد من ذلك حين

يقول، بصريح العبارة نعم، هي سعيدة الحالية (موجز تاريخ الجزائر)، مع العلم أن الإدريسي - الذي كان يكتب إبان القرن الخامس الهجري (11 م) - لم يذكر سعيدة بهذا الاسم في جملة البلدات والحواضر التي كانت تفصل بين تلمسان و تهارت مثلا، و"أوزكي" أصبحت عاصمة لإمارة بني مسرة على أيام الرستميين، والأدراسة، وقال الراحل بهلولي سليمان بأنها، أي أوزكي تقع ببلاد أولاد معاشو قرب عين الحجر، وبها آثارات قديمة. (من محاضرة له بمناسبة ذكرى الزاوية الطيبية)، كما عُرفت منطقة سعيدة، منذ أواخر العصر الوسيط " باليعقوبية"، لما استوطنتها تجمع لعدة فروع من قبائل بني يعقوب العامرية (الهلالية)، بسط نفوذه على المنطقة لعشرات السنين.

ثاني هذه الأطوار العمرانية، هو طور الأمير عبد القادر، الذي اقام بها قلعة واسماها سعيدة، تعلقا منه باسمها الأول وتخليدا له، أما الطور الثالث والأخير، فهو طور سعيدة الحديثة، سعيدة الراهنة (النصف الأول من القرن 19)، التي كان أول أحيائها (لاردوت)، الذي يتميز بباييه التاريخيين - باب معسكر، وباب تيارت - اللذين بنيا خلال الفترة الممتدة من 1850 إلى 1857، وسعيدة من مدن شهر ماي، حيث انتفضت في الثاني و الثامن عشر من شهر ماي 1945 ضد الاحتلال الفرنسي، فقام الثوار بعدة عمليات ضد الوجود الاستعماري، انتهت باعتقال 47 نائرا والحكم على بعضهم بالإعدام الذي لم ينفذ نتيجة صدور عفو عام، وإبان حرب التحرير لسعيدة جموع من الشهداء تحدث عنهم مؤرخو الثورة بإسهاب (أنظر علي النهاري في "سجل شهداء ومجاهدي الولاية الخامسة"، برواية والده الطيب النهاري، وأنظر أيضا " عيشوية الحاج أمحمد (وهو من مجاهدي معسكر) في مؤلفه " النضال السياسي والعسكري لمنطقة معسكر"، وهو يشمل تاريخ المنطقة السادسة خلال الثورة (معسكر/ سعيدة)، و المؤلف لايزال مخطوطا وهو مائل للطبع، ثم مؤلفات الحاج محمد نجادي، ذات الصلة بموضوع تاريخ سعيدة إبان ثورة التحرير.

(18) من الروايات المتناقلة في المنطقة جيلا بعد جيل، أن جيشا للأمير عبد القادر كان قد رابط بـ "عين بن خليل" الواقعة غربي مدينة المشربية الحالية، على الحدود الجزائرية المغربية، وذلك لمدة عشرين يوما، ورغم أن هذه الرواية نقلا عن إفادات شفوية، غير أنه في إمكاننا أن نكملها، بل وندعمها بما أورده الاغا المزاري في كتابه " سعد السعود"، عن تحرك الأمير عبد القادر خلف قوات العقيد جيري، أثناء توغلها في الجنوب الغربي، هذه الرواية الشفوية المتوارثة، سمعناها من أكثر من مصدر، ومن أبرز هذه المصادر السيد حيدار محمد (البواب) مباشرة.

(19) قاد العقيد جيري جانبا من العمليات القتالية ضد قوات الأمير عبد القادر بغرب سعيدة، التي كان على رأسها أحد المع قواد الأمير العسكريين، وهو القائد بن علال الذي كان ((يوم 1843/11/06 ببلاد الجعافرة غرب سعيدة، فهاجمه العقيد جيري gery أولا، ثم الجنرال تمبور tempour))، وقد استشهد بن علال خلال تلك المعارك التي دامت خمسة أيام متتابة (للمزيد عُد إلى محمد حاج صادق" مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف" ص 143/144)، ومصطفى الأشرف في " الجزائر. الأمة والمجتمع " ص 125 .

(20) اندري برنيان، المصدر المذكور آنفا ص 276. وكان الأمير قد بني بوغار، قرب المدينة، وتارة قرب مليانة، و سعيدة قرب معسكر، وتاقدمت قرب تيارت. إلخ. نفس المصدر ص 264.

(21) لاغا بن عودة المزاري: "سعد السعود" ص 222 ج2/

(22) المصدر نفسه ص 222 ج 2

(23) من الطبيعي أن يستمر هذا الترابط بين الشمال والجنوب في محاربة المحتل الفرنسي، ليصبح أقوى في ثورة بوعمامة، وذلك من خلال مشاركة الأمير عبد المالك في تلك الثورة - كما ورد عن د. أبي القاسم سعد الله، استنادا إلى مقابلة كان قد أجراها مع ابن هذا الأمير، واسمه الأمير حسن، مع العلم أن الأمير عبد المالك، من مواليد دمشق سنة 1868، يقول المؤلف: ((وهو - أي الأمير عبد المالك - الابن الثاني قبل الأخير من أبناء الأمير عبد القادر، وكان قد

سمع بثورة الشيخ بوعمامة في الجنوب الجزائري فأخذ بها)). إلى أن يقول: ((التحق الأمير عبد المالك بالشيخ بوعمامة، وحارب معه الفرنسيين)) د. ابوالقاسم سعد الله " أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر" القسم الأول ص 107 ط. 1981.

(24) كان جيري gery - الذي نسبت قوات الاحتلال مدينة البيض إلى اسمه إبان العهد الاستعماري، كمؤسس لأول ثكنة بها - هو من قاد حملة عسكرية على الأطلس الصحراوي الغربي مباشرة، بُعيد المعارك التي خاضها بضواحي سعيده ضد الأمير عبد القادر، كما لو أنها مكتملة لها، متتبعاً نفوذ الأمير عبد القادر وأصداء معاركه جنوباً، بل إن قوات الأمير تحركت في طلب تلك القوات التي أصحرت، كما قال الاغا بن عودة المزاري. انظر "سعد السعود" ج 2 (ولاحظ الهامش 18 أعلاه).

(25) اندري برنيان "السابق ذاته" ص 386.

(26) يمكن الاستناد إلى التقسيم الجغرافي الذي أشار إليه اندري برنيان، بين منطقتي جبال القصور، وجبال العمور، اعتماداً على تقاسم النفوذ الذي خضعت له المنطقتان، بين حميان و أولاد سيدي الشيخ قبل الاحتلال الفرنسي، ووفق هذا التصنيف الجغرافي تقريبا، اشتهر في وقت لاحق مصطلحا "الشرافة والغرابية"، سواء بالنسبة لأولاد سيدي الشيخ، أو لبعض قبائل حميان، أو لغيرهم من القبائل التي انقسمت مواطنها، إن الحدود بين المنطقتين، كانت ولا تزال حدوداً وهمية اعتبارية، واجتهادا منا وتسهيلاً لهذا البحث، اعتبرنا في هذا الكتاب، مدينتي "الأبيض سيدي الشيخ"، و "ربا" وما والاها شرقاً، على أنها تقع ضمن جبال العمور، وما بغربها يعني جبال القصور، لكن يجب أن نعترف أن الأحداث - بحكم قوة ترابطها - قد ساقتنا شرقاً، لاسيما أحداث ثورة التحرير، رغم التزامنا بالخطة ما أمكن.

(27) (28) المصدر السابق ص 289 و 290.

(29) قلنا لا نقلل من الدور الذي لعبه رجال هذه الانتفاضات الأولى، (قدور بن الطيب، و ابنه سليمان بن قدور، وعمه الشيخ بن الطيب إلخ)، لأن هدفهم - سواء قبل أو بعد اتفاق "لالة مغنية" في 8 مارس 1845 - ظل هو رد هجوم المعتدي الفرنسي، ثم قيادة قبيلة أولاد سيدي الشيخ، كقبيلة لا يناع أحد في سيادتها على المنطقة، (لاحظ اندري برنيان "الجزائر بين الماضي والحاضر" ص 182 ط 1984)، وذلك بدليل أن سي سليمان بن قدور - ورغم كل الإغراءات التي قُدمت له - عاد من المغرب إلى الجزائر، وخاض حروباً ضد الفرنسيين، في البداية ضمن ثورة أولاد سيدي الشيخ الشراقة، (في عهد زعامة سي أحمد بن حمزة بالذات)، ولما اختلفا غزاً منفرداً، و يكفي أن حروبه تلك اغضبت كل الأطراف، قبلية وإقليمية، وعلى أية حال، لم تنته حروب هذا الرجل إلا بعد أن الحق الهزيمة بسي قدور بن حمزة، فتم تنويجه (أي سي سليمان بن قدور) آغا على البيض، ثم على حميان عام 1869 (لمزيد من التفصيل لاحظ كلا من، عبد القادر خليفني "المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة" ص 45 ط 2010، وعبد الحميد زوزو في كتابه " ثورة بوعمامة " ص 30 هامش 3. ط 1981 .

(30) مالك بصوص: " ثورة أولاد سيدي الشيخ " ص 71. ومن جهته وصف المؤرخ الجزائري المعروف محمد حربي الفترة التي أعقبت مقاومة الأمير عبد القادر " بالوضع المتردي"، إلى أن قام أولاد سيدي الشيخ برد الفعل سنة 1964) محمد حربي " الثورة الجزائرية " ص 82 وكلمة " المتردي " تعني الكثير.

(31) محمد إبراهيم الميلي، وعبد الله شريط: " مختصر تاريخ الجزائر " ص 257.

(32) مالك بحوص: " المصدر السابق " ص 72.

(33) محمد إبراهيم الميلي، وعبد الله شريط: " نفس المصدر " ص 263.

(34) مالك بحوص: " المصدر نفسه " ص 66/65.

(35) هذه القبائل هي التي شملتها قصيدة الشاعر ناصر فشفوش، وهي بعنوان "عربان البيض"، فكانت بذلك وثيقة تاريخية بالغة الأهمية (راجع مالك بحوص " ثورة أولاد سيدي الشيخ " ص 21 و 78)، و لاحظ أيضا وثيقة الملتقى الوطني لثورة أولاد سيدي الشيخ، أكتوبر 1996-ص 18، وفي زمان قيادته للثورة وجه سي أحمد بن حمزة (1852 - 1868) بدوره نداء مماثلا، فانضمت إلى ركابه مجموعة أخرى من القبائل، (أنظر بهذا الخصوص " الجزائر بين الماضي والحاضر" ص 384.

(36) المصدر السابق.

(37) كان السبب المباشر لثورة بوعمامة، هو مقتل ضابط فرنسي برتبة ملازم أول، وأربعة من حراسه، بعد أن حاولوا اعتقال الطيب الجرمانى قريب بوعمامة، واحد مقدمه يوم 22 فريال 1881. راجع زوزو عبد الحميد " ثورة بوعمامة". ص 11.

(38) عبد الحميد زوزو: " ثورة بوعمامة " ص 44.

(39) المصدر ذاته ص 11. وأنظر أيضا عبد القادر خليفي في " المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة"

(40) المصدر نفسه، الصفحتان 13/12 وما بعدهما.

في وثيقة ملتقى الأبيض حول ثورة أولاد سيدي الشيخ (ص 21) يحمل اينوسنتي **innocenti** رتبة جنرال وليس عقيدا ، لكن الاستاذ زوزو في كتابه " ثورة بوعمامة" يقدم تعليلا يبدو مقنعا حين يشير الى اسناد قيادة المعركة للكولونيل اينوسنتي لان الجنرال كولينيون دانسي **oncollign dancy** مرض بالبيض، وهو الذي كان من المقرر أن يشرف على هذه المعركة لولا مرضه.

(41) زوزو " المصدر نفسه" ص 18.

(42) نفسه ص 29. خ

مالك بحوص " مصدره الآنف " ص 69 (نقلا عن الجيلالي ساري).

(43) (44) أكد بعض هذه العوامل مؤلفو كتاب " الجزائر بين الماضي والحاضر " ص 98، بل وأضافوا أن ((الحاكم العام كان ينظر إلى مهمة المكلف بهذا المشروع، على أنها مهمة لا يجب أن تحتل الخطأ)) " الجزائر بين الماضي و الحاضر " / ص 390.

(45) هنري علاق. المصدر السابق. ص 74

(46) على سبيل المثال، من بين معتقلي سجن العين الصفراء منذ بداية ثلاثينيات القرن الماضي، ولمدة عشر سنوات ( 1930 - 1940 ) السيد زكراك الميلود (وهو من سعيدة)، مما يثبت قدم هذا السجن، وأنه لم يخل من المعتقلين منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية، (لاحظ حياة السيد زكراك في كتاب " سعيدة معالم واعلام "، إصدار مديرية الثقافة بسعيدة).

(47) هنري علاق. المصدر السابق ص 91.

(48) المصدر الانف الذكر/ص 83/59.

(49) لاحظ الهامش (46) أعلاه.

(50) علاق/ المصدر السابق/ ص 83

(51) مثال ذلك، أن الأستاذ بوعلام باقي حوكم وسجن بسركاجي لمدة ثمانية أشهر، رفقة نائبه العربي الحاج بتهمة تزوير الانتخابات النيابية، لمجرد أنه ترشح باسم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وفاز أمام منافسيه، بالميلود الخلاصي باشا آغا العين الصفراء، وحمزة بوبكر، وكانت الدائرة الانتخابية آنذاك تمتد من الشط الشرقي شمالا، حتى الحدود الجزائرية - المالية جنوبا، وتسمى " الإقليم العسكري للعين الصفراء "، (حاليا ولايات، البيض، النعامة، بشار، تندوف وأدرار).

(52) علاق/ نفس المصدر/ ص 133.

سنفتح هنا قوسا لنشير باختصار إلى أصحاب المذكرات الخطية، التي أفدنا منها، خاصة في الفصول الموالية، وهما اثنان، الأول المجاهد بوحلة بوعمامة المدعو " طيرش"، من مواليد 15 مارس 1940 ببلدية عسلة ولاية النعامة، مارس النشاط الثوري كمسبل ابتداء من سنة 1957 إلى سنة 1958، ثم التحق بصفوف جيش التحرير عام 1959 إلى غاية 1962 وكان برتبة رقيب أول في الكومانندوس السادس، بالناحية الأولى للمنطقة الثالثة من الولاية الخامسة، شارك في العديد من المعارك (أوردها في مخطوط مذكراته الذي بين أيدينا)، ومنها معركة المزبود في ديسمبر 1959، معركة جبل شماريخ في جانفي 1960، معركة جبل المالحه شهر ماي 1960، معركة الطبايق في 26 أكتوبر 1960، معركة جبل المسيستير في 10/11/1960، كمين جبل بوداود، معركة تامدة يوم 10/04/1962. ومعارك أخرى.

أما الثاني، فهو الحاج أحمد حيتالة المعروف ب ( حيدة أبا )، ولد سنة **1933** بضواحي عسلة (ولاية النعامة)، كان أول اتصال له بالزعيم بوشريط سنة **1956**، في مكان " خنيق الحذاء "، ثم أسند إليه الحبيب، ومولاي ابراهيم ( عبد الوهاب)، مهمة الاتصال بمواطني نواحي المحرّة، ومركز الخوخة، قبل أن يكلفه قائد الكتبية النعيمي النعيمي، رفقة المدعوين كبيش والعتبي محمد، بزرع الألغام عبر مختلف الممرات، بجنوب جبل " تامدة " وشمالها، وفي شهر ماي سنة **1960** أصبح الحاج أحمد عضوا في مجموعة، تكفلت بتجديد قنوات الاتصال بالشعب، تتكون من هرويني وبوزيان العرباوي المدعو بولحية ( من بني عقبة المشرية)، والامير لخضر (بمقتضى اجتماع بنيدير الذي ترأسه القياديان مصدق والصادق)، كما كُلف الحاج أحمد ضمن مجموعة بالتوجه إلى بوقطب، شنت هجوما مباغتاً على ثكنات



للجيش الفرنسي، أصيب فيه أربعة من جنود العدو، وتم أسر خائن (حركي)، وفي أواخر شهر أكتوبر **1960** أرسل قائد الكتبية (سي النعيمي) في طلب الحاج أحمد للتباحث في شن هجوم محتمل على قوات فرنسية، كانت متمركزة لمدة ثلاثة أشهر بجبل تامدة (هضبة أقطاي)، وكان سي أحمد مرفوقاً بمجاهدين اثنين، هما (الرائد المجدوب) وآخر، كما شارك في هجوم

واسع على ثلاثة محاور قاده النعيمي النعيمي، على ثكنة الأبيض سيد الشيخ، ثم في موقعة أم القراف، وواجهوا الهجوم الجوي الفرنسي بواسطة الطائرات الاستكشافية، حيث تم اكتشاف مركز الحبيب بوغفالة واعتقاله رفقة الشيخ الحفا، والشيخ السمعوني، وبوخال الطاهر، ويعتبر الحاج أحمد حيتالة من القلائل الذين تعرضوا في مذكراتهم لاحتفالات جيش التحرير الوطني بوقف إطلاق النار، حيث يحدثنا أن مجموعته قد تلقت دعوة من السيد النعيمي، ومعمر برزوق (الرقبي)، لحضور احتفال أقيم بالمناسبة في " مشاقين " قرب الأبيض سيدي الشيخ، ولأن الاحتفال تم نهاراً، فما كان من القوات الفرنسية إلا أن اخترقت وقف إطلاق النار، ضاربة حصاراً على المحتفلين، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تحوّل إلى اشتباك عسكري، استشهد فيه ((الكاتب المرافق للسيد النعيمي والرقبي))، ومجاهد آخر يدعى سليمان من قبيلة أولاد " أنهار ".

. عن مخطوط مذكرات محرر في **16** أبريل **2012** بقلم باقي محمد البودالي، من إملاء المجاهد حيتالة أحمد الذي كان برتبة مساعد في جيش التحرير الوطني أثناء الثورة.



## (هوامش الفصل الثاني):

- (1) لاحظ ملخصا عن حياة الشهيد بوشريط، في ملحق التراجم بهذا الكتاب، لقد استعملنا كلمة حمو الطيب الأب، وحمو الطيب الابن، للتفريق بينهما، مع التذكير أن الأول استشهد، والثاني - وهو ابنه - لا يزال حيا أمد الله في عمره.
- (2) إلى جانب سي المجذوب حيدار، من المعروف أن الشهيد بوشريط جاء مرفوقا بين جلول العماري، حتى أن حيدار محمد البواب، يقص علينا نادرة يقول فيها، إنه كان رفقة الشهيد حيدار بحوص - قبل التحاق هذا الأخير بصفوف جيش التحرير طبعاً - كانا يجهران صنية الشاي أمام قاعة الزاوية، وفق ما تقتضيه الطريقة الريفية، وذلك استعدادا لضيافة بوشريط، فقال الشهيد بحوص لمحدثنا، وهو يشير إلى العماري بن جلول: هل ترى إلى ذلك الرجل الذي يجلس إلى جانب بوشريط بصدر القاعة؟ فأجاب البواب: نعم أراه، قال: يُقال لو أنك رميت بإبرة خياطة إلى السماء وقذفها ببندقيته لأصابها بكل سهولة، إنه أبرع رام بالبندقية في هذه المنطقة كلها، لا يجاربه أحد في التسديد والرماية.
- (3) هناك روايات أخرى حول وصول بوشريط إلى عسلة، يُعتقد أنها تخص زيارته اللاحقة، فهو قد زار هذه المنطقة حوالي أربع مرات حسب الإفادات التي سمعناها، قادتته إحدى هذه الزيارات إلى مضارب العمور، وبالذات عرش أولاد سليمان، وكان برفقته الشهيد الإفريقي وربما آخرون، ومن جهة أخرى تفيد مصادرنا، (ومن أهمها الحاج الطاهر بوخال)، أبوشريط أثناء زيارته لمنطقة " الشقق " لأكثر من مرة، بعد تأسيسه المركز هناك أخذ يتطلع إلى الناحية الغربية لجبال القصور، مفكرا في كيفية إنشاء هياكل للثورة بها، ثم ما لبث أن سأل الشيخ بلحيا حمو الطيب (الأب)، ووجوها من العبادة حضرت مجلسه، عن رجلين من قبيلة أولاد سيدي أحمد المجذوب الغرابة، تنامي إليه ذكرهما، هما حيدار بن سليمان باعتباره شيخ الزاوية هناك - وهو ابن أخت الشيخ حمو الطيب - والفقير راسمال أحمد كأحد علماء الدين، وكأنه يريد معرفة توجههما السياسي، فأثني الشيخ حمو الطيب، ومن معه على الرجلين معا، مما قوى رغبة بوشريط في الاتصال بهما لتأسيس عمل الثورة هناك، فقام بدعوة الشيخ راسمال لزيارته بواسطة حيثالة بحوص، ثم انتقل إلى هناك فعقد أولى اجتماعاته في أول جولة له قادتته إلى عسلة وضواحيها.

المحطة الحموية عين

ورقة



- (4) لم يتطرق مصدرنا إلى اجتماع "الرمثة"، ولعل ذلك كان سهوا منه، لأن الاجتماع حدث مباشرة بعد اجتماع الزاوية، ويعتبر ثاني اجتماع لبوشريط في المنطقة. أما "عين ورقة"، فهو متنزه حموي (حمام معدني) معروف، نادر في منطقة جبال القصور، أخذ اسمه - في نظر البحائة الفرنسي روني باسي - من الكلمة الأمازيغية "أورغ" التي تعني الذهب، و يسوق روني باسي لذلك أسطورة - كما لو أنها أسست لهذا الاسم - نقلها عن المدعو ابن التجيني، وهو ابن قائد بوسمغون، وبعض الأسرى ينتمون إلى تلك البلدة، كان قد لقيهم بمعتقل مدينة فرندا أثناء ثورة بوعمامة (المجلة الآسيوية)، تفيد

الأسطورة، بأن فتى وأخته قدما من بوسمغون إلى ورقة، فعثرا على كيس من ذهب. إلخ ، فاشتهر المكان "باورغ" إلى أن صار اسمه "ورقة".

ثم هناك كلمة "الورق" بكسر الراء، التي وردت في سورة الكهف، وفسرت على أنها تعني العملة من الذهب والفضة. ونعرف أيضا أن الوراق في العربية، هي ذات اللون الرمادي سواء حمامة كانت، أم ذئبة، وبهذا المعنى ربما أخذت "عين ورقة" اسمها من اللون الرمادي للون تلالها المحيطة ببحيراتها، وتأسيسا على هذا الاستنتاج، فإن "عين وراق" أصلها العين الرمادية، مثل العين الصفراء، العين الزرقاء. إلخ.

(5) الأمر هنا لا يتعلق بالراهب الجاسوس الذي أعدم بـ "أميريس"، وورد ذكره في نشرية شبيبة البيض.

(6) أمغرار: لا يمكن الفصل لغويا في أصل اسم امغرار، فلعل الأمر يتعلق بإحدى القبائل البربرية، التي تكون قد أعطت البلدة اسمها كقبيلة مغراوة الزناتية الشهيرة، التي كان أبنائها ينتشرون في الهضاب العليا حتى الصحراء (أنظر " دور زناتة في الحركة المذهبية " لمحمد بن عميرة. ص 19 )، بل وكان يوجد فرع منها في الأطلس الصحراوي بالذات ( أنظر عن ذلك صديقنا الراحل بهلولي سليمان في كتابه " الدولة السللمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط . ص 209 ) أو قبيلتي " أمغار" و "مغر" التي هي من بطون أوريفة، ( راجع " القبائل الأمازيغية " لبوزيان الدراجي ج 2 ص 207 و أيضا ابن خلدون في " العبر" )، وكلها قبائل تشترك البنية اللغوية لاسمائها مع جذر اسم البلدة ( م غ ر )، الذي تكون مغرار الثانية (العليا) قد أخذته من جارتها، كما درجت العادة (مثل اسمي بلدتي أربا السفلى وأربا العليا إلخ).

كما يمكننا التفكير في الاسم العربي ( أم الجرار. ج. جرة. بمعنى قرية، وبجيم مصرية كما كانت لغة بني هلال في حدائقهم بالمغرب العربي)، وإذا ما نظرنا إلى أمغرار التحتاني تاريخيا، وجدنا أنها تعرضت لحملة الكولونيل جيري ( أنظر اندري برنيان، " الجزائر بين الماضي والحاضر"، كما أنها شكلت مركز انطلاق لثورة بوعمامة، ( راجع عبد الحميد زوزو : ثورة بوعمامة )، قبل أن تشاهد منطقة البلديتين معارك عدة أثناء ثورة التحرير، لعل أشهرها معركة جبل بوعمود التي استشهد بها عدد من المجاهدين، و اعتقل فيها المجاهد بوبليحة المنور بعد أن أصيب إصابة بليغة.

(7) هتان الإفادتان الشفويتان هما لكل من المجاهد بوخال الطاهر متقاعد من سلك الشرطة)، و حيدارمحمد بن سليمان (البواب) شيخ زاوية سيدي أحمد المجذوب سابقا، وهناك مصدر ثالث (هو حيدار الحاج بلحيا) يذكر لقاء يكون قد تم بين القائد رضوان وبوشريط بحضور الشهيد الإفريقي أثناء زيارة هذين الأخيرين إلى عرش أولاد سليمان ( العمور ).

(8) الإفادة للحاج المازوزي حيدار.

(9) هذه الإفادة تلقيناها من السيد مولاي ابراهيم بن الطاهر، وقد التقيناه بالنعامة يوم 2013/06/03، ويبدو أن محدثنا أورد اسم السيد نور البشير سهوا، لأن هذا الأخير نفى لنا شخصيا مشاركته في هذه العملية، أثناء لقاء لنا به بمدينة البيض، وبهذا النفي يبقى المشاركون في الهجوم هم فقط، من تعرفنا عليهم في إفادة الحاج بلحيا حيدار، الذي لم يشر إلى اسم نور البشير من ضمنهم. نشير بهذا الصدد إلى أن الرائد الطيب النهاري عد الباشاآغا الخلاصي ضمن الباشاغات والقياد، الذين قدموا خدمات إيجابية لصالح الثورة. " سجل شهداء ومجاهدي الولاية الخامسة " ص 15.

(10) هناك عدة شهادات تربط زيارة بوشريط إلى سيدي إبراهيم وضواحي مغرار بأكثر من سبب، وهي أسباب لم نتطرق إليها لكثرتها وتشعبها، المهم في الأمر أنه واصل عملياته العسكرية في طريق عودته إلى البيض، ونقول واصل عملياته، لأن هناك عمليات كان قد قام بها قبل ذلك، كهجوم ثنية الجمال، وما سبقها من عمليات بضواحي البيض، و يتضح لنا ذلك أيضا من أن الأسماء التي شاركت في تلك العمليات الأولى، ومنها عملية ثنية الجمال هي أسماء محلية معروفة، ( عبد الوهاب - بن جلول - إلخ)، ولم تكن من القوات التي وفدت من تلمسان - كما سنرى لاحقا - مما يدل - تأسيسا على هذا المصدر - على أن تلك العمليات العسكرية الأولى كانت مبادرات قام بها الرجل و رفاقه في انتظار وصول الثورة، (كتنظيم عسكري) إلى المنطقة، كما كانت مبادرات عسكرية شبيهة لها قد حدثت في الناحية الغربية من جبال القصور، (العين الصفراء، والمشرية، وضواحيهما مثلا) في وقت مبكر نسبيا (قبل نهاية صيف 1956)، ولكننا لانمتلك من المعلومات بشأها ما يسمح لنا بتبسيط القول فيها، وتحديد مدى علاقتها ببوشريط من عدمها. إلخ.

(11) هذه الإفادة الشفوية قدمها لنا السيد حيدار الحاج بلحيا، أما مسألة تحسيس الجزائريين المجندين في صفوف الجيش الفرنسي، فهي مسألة قديمة، لأنها شكلت دائما إحدى مهام حزب الشعب، يقول الأستاذ عثمان سعدي: ((ركز حزب الشعب على الاتصال بالجنود الجزائريين في الثكنات، و الاستعداد للنضال المسلح)) أنظر الأستاذ عثمان سعدي " الجزائر في التاريخ " ص 712. وعملية التحسيس هذه لم تكن جديدة على التاريخ الجزائري، فهذا الأستاذ مصطفى الأشرف يحدثنا عن أعداد من الجنود الإسبان، ممن فروا من صفوف الجيش الفرنسي في القرن التاسع عشر، بل ومن الليفي الأجنبي، ليلتحقوا بجيوش الأمير عبد القادر (مصطفى الأشرف: " الجزائر الأمة والجمتمع ". ترجمة حنفي بن عيسى. ص 326 طبعة دار القصة للنشر 2007).

## الرائد عبد الوهاب



1925 - 2010/06/09

(12) يقول مولاي إبراهيم (الرائد عبد الوهاب): في جوان 1956 استقبلنا قوة من جيش التحرير تتكون من 96 فردا، كانت قادمة من الناحية الغربية (جهة الحدود)، وكان يقودها أحمد بن موسى المدعو مراد، الذي كان قائدا للقسم الخامس عشر، مرفوقا بمولاي الطاهر المدعو عبد الله كمسؤول عسكري، وقد وُزعت هذه الكتيبة على مجموعات ثلاث قاد كل واحدة منها على التوالي، بوشريط ولعماري ومولاي إبراهيم، باعتبارهم نوابا لرئيس القسم. (مقابلة أجريت مع المعني بتاريخ 2004/12/05 بالموقع الإلكتروني " البيض تاريخ وحضارة "). (لاحظ أن المصدر السابق ذكر اسم عبد الغني عوض اسم مراد، بينما تطابقت الروايتان بخصوص اسم مولاي عبد الله)، ذلك بينما ترفع " نشرية اتحاد الشبيبة بالبيض عدد أفراد هذه الكتيبة إلى 100 جندي، وهو فرق طفيف.

## الرائد أحمد بن موسى (مراد)



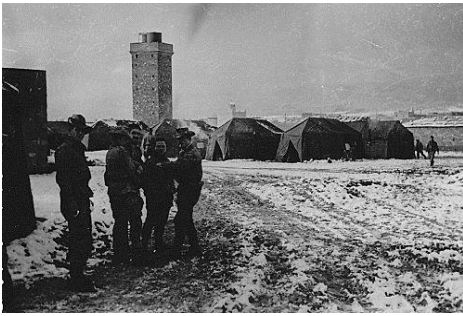
1920 - 2004

عن حياة الرائد مراد راجع كتاب " من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال " ص 214. لصاحبه محمد الشريف ولد الحسين، ويراه الرائد الطيب النهاري، صاحب فضل على تنظيم الجيش في منطقتي البيض وآفلو، أنظر الكتاب الذي أملاه على ابنه (علي) تحت عنوان "من سجل شهداء ومجاهدي الولاية الخامسة"، أما " برقم " فهي مدينة مغربية تقع على الحدود الجزائرية، كانت تُنطق " برقمت " بالقاف المصرية، وهي تسمى الآن "عين بني مطهر". (أنظر عبد الله طواهرية في كتابه "جامع التصنيف في أحوال حاضرة بني ونيف".

(13) أنظر حياة الشهيد الشلالي محمد، في الفصل الخاص بالتراجع.

كل الإفادات الأخرى بخصوص القوات التي قدمت من تلمسان عبر المغرب، تتحدث عن قيادة أحمد بن موسى المدعو مراد مرفوقا بمولاي عبد الله لهذا الجيش، في المقابلة الآتية مع الرائد عبد الوهاب ( هامش 27) يتحدث عن توزيع هذه القوة إلى ثلاث فرق، ويتفق مع مصدرنا في الرجال الثلاثة الذين قادوها، لكنه لم يشر - مع تشديد الأسف - إلى المكان الذي التقى فيه هو وبوشريط والعماري بهذه القوة أثناء مجيئها من الغرب، بينما في إشارة لذلك جاء في مذكرات المجاهد حيتالة أحمد ( حيدة أبا) - وهي مخطوط من حوالي 30 صفحة مرقنة - ما يلي: ((فكان أول اتصال له بالزعيم بوشريط سنة 1956 في مكان " خنيق الحذاء"، وكان بوشريط مرفوقا يومها بمولاي عبد المالك عقب عودتهما من بلدة بوسمغون، إثر قيامهما بعملية عسكرية اشتهرت بعملية " لقواطين" أي " المخيمات"، وكانت أول مأمورية تلقاها السيد الحاج أحمد حيتالة من قبل بوشريط، هي ابلاغ أعيان تلك المنطقة بتأجيل لقاء كان قد قرره معهم بالمكان المسمى " الحجرة الطويلة"، لأنه ( أي بوشريط ) كان ينتظر جيشا قادمًا من جبل تانوت يقوده مولاي عبد الله، وأنه سيلتقي بهم (أي الأعيان ) بالضلع ( ج. ضلعة ) بخنيق الحذاء)) في وقت آخر.

صور المخيمات العسكرية (بوسمغون)



هذه الإفادة تجعلنا نتساءل عما إذا كان بوشريط قد التقى القوة الوافدة من المغرب بهذا المكان، أم أنه تلقاها بسيدي إبراهيم ثم سبق جناحها هذا، ليقوم بعملية الشلالة وبوسمغون، ثم جاء إلى "خنيق الحذاء" حيث التقاه السيد حيتالة الحاج أحمد ينتظر جناحها القادم من جبل تانوت.

(14) هناك هضبتان تحملان هذا الاسم، هما أقطاي جبل تانوت، و أقطاي جبل تامدة، وهما عبارة عن كتلتين (قتنتين) تقعان بأعلى قمم الجبلين المذكورين، واسمهما يطرح إشكاليين من الناحية اللغوية، فإذا ناقشنا أحد

الإشكاليين ضمن اللغة المحلية (الأمازيغية)، وجدنا سندنا في كلمة " القُطَاية " (تاقطاي)، وهي الغرمول بالعربية، ووجود الكتلتين في أعلى قمم الجبلين يؤكدان انطبعا كهذا ( قمة الرأس البشرية - قمة الجبل )، أما إذا ذهبنا وراء إغراء الكلمة نحو الأبعد، فسنجد أنفسنا أمام احتمال آخر، يعود بنا إلى مسألة القول بالجاليات الآسيوية القديمة (من الفرس والارمن إلخ) التي قيل إنها اجتاحت المنطقة في الماضي السحيق واستوطنتها، قال المؤرخ اليوناني سلسطس بشأن هذه الجاليات، في كتابه "حروب يوغرطة"، إنها بعد الموت المفاجئ للملك هرقل - أحد ملوك إيجا - الذي كانت قد جاءت معه كجند لغزو شبه جزيرة إيبيريا (إسبانيا)، لجاءت إلى البلدان المجاورة (إفريقيا الشمالية)، فاستوطنتها، وكانت هذه الجاليات، تتألف من عدة أجناس هي، المييد و الأرمن والفرس، (أنظر عبد الرحمن الجليلي في " تاريخ الجزائر العام " ج 1 . ص 32 )، و يستند القائلون بهذه المروييات إلى أسطورة ميثولوجية، جعلت منطقة مضيق جبل طارق، تُعرف لدى الرومان باسم "أعمدة هرقل"، كما وأنك تجد من يضيف إلى تلك الأقوام الآسيوية الوافدة إلى شمالي إفريقيا، أقواما أخرى من قارتي أوربا وإفريقيا، وغيرهما (أنظر صديقنا الدكتور سليمان عشراي في كتابه"، الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية).

و لعل في أسماء هذه الأماكن ما يثبت ما يردده المؤرخون منذ القدم، دون أن يستدلوا على وجوده بشئ ملموس، فهذه الجبال حملت بعض مصطلحات المعجم اللغوي الأناضولي لمنطقة آسيا الصغرى بتخومها الشرقية، و منها أسماء أعلام اشتهرت في دولة المماليك بمصر مثلا، كاسم "أقطاي" الذي حملة أكثر من واحد (فارس الدين أقطاي زعيم المماليك البحرية بمصر- ت 1254، ومعاصره أقطاي المستعرب. إلخ)، فما صلة اسم أقطاي بالاسمين؟

كما قد يكون للوجود الفينيقي (القادم من سوريا ولبنان) بشمالي إفريقيا دخل في الموضوع، إذ حتى وإن لم يكن الفينيقيون (القرطاجيون) على صلة مباشرة بالمناطق الجنوبية، باعتبارهم أهل نشاط بحري مرتبط بالمناطق الساحلية كما يرى رشيد الناضوري في "المغرب الكبير" ج 1 ص 169، فقد أثبت مؤرخون آخرون أن هؤلاء كانوا على صلة بالجنوب المغربي، من خلال حركة تجارية واسعة (لاحظ إبراهيم مياس في "توسع الاستعمار الفرنسي نحو الصحراء"، حيث يقول: ((أقيمت أسواق نشطة ومزدهرة على تخوم الصحراء. ص 37))، بل ها هو عبد الرحمن الجليلي يعود ليقول: (( ونجد القوم أي البربر، تأثروا بالحضارة الإيجية" (تاريخ الجزائر العام. ج 1 ص 34)، ولاشك أن التأثير يحمل بعض الفكر واللغة كما في عصرنا، وفي الصفحة 129 / ط 2007 من كتابها "نوميديا"، تنقل إلينا الباحثة فتيحة فرحاتي، أن الباحثة الفرنسية استيفان غازال يرى في هذه الرسوم — أي رسوم صخور شمالي إفريقيا — تأثيرا قيرصيا وإيجيا يعود إلى العصر البرونزي.

هذا دون أن ننسى أن اسم جبل "برام" كان قد أحلنا هو الآخر إلى معنى فارسي هو " بهرام " الذي يعني المريخ، لاحظ كلامنا عن هذا الاسم أيضا (هامش 1 ف 4)، لكن على الرغم من كل هذه التخريجات التي أخذتنا إليها المظاهر اللغوية الخارجية لهذه الأسماء، نظل نديم الاعتقاد أن هذه الأسماء تعود إلى مصدر لغوي، أساسه معجم محلي قديم، و ليس من المستبعد اكتشاف دلالاتها ذات يوم.

(15) يمكننا أن نزعج أن كلمة "المسيستير"، هي صيغة تصغير لكلمة "المستور"، لكن هذا لا يمنع من الإشارة إلى ورود هذا الاسم أو ما يقاربه بصيغة أخرى هي "المسيتر"، الذي يذكر كمكان على طريق سلكه روني كابي من مراكش إلى توات (لاحظ مقال للدكتور يحي بوعزيز بعنوان "اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء"، منشور في مجلة الثقافة - الجزائر - عدد 58 / 1980 / ص 46).

والأهم من ذلك أن جبل المسيستير الواقع بجبال القصور الجزائرية، كان إبان الثورة مقرا للناحية الثانية بعد إنشائها، وهي التي كان أول قادتها الشهيد الشلالي محمد، المعروف بسي النوار إلى أن استشهد (الإفادة الأخيرة للمجاهد بوحلة بوعمامة)، كما جاء في مخطوط للمجاهد بوحلة بوعمامة أيضا، أن جبل المسيستير هذا شهد يوم 10 نوفمبر 1960 معركة طاحنة شارك فيها 32 مجاهدا من كومانندوس 06 تحت قيادة توم النوار، بلغ عدد الشهداء خلالها 12 شهيدا يذكر مصدرنا منهم: بوحلة سليمان، وتوم النوار، ومولاي بوعمامة، ومولاي البشير، وخصام أحمد، والعون إبراهيم، وتومان عبد القادر، وتوم محمد، كما يتطرق إلى خسائر العدو الفرنسي، ومنها إسقاط طائرة عمودية، ولايزال على قيد الحياة من المجاهدين الذين شاركوا في هذه المعركة السادة، سعيدان لعرج، وسعيدي معمر، ومتالي بحوص (اللقب الأخير غير واضح).



(16) هنا تتطابق هذه الإفادة مع ما جاء في العدد الذي خصصته نشرية " أكسال وبودرقة" لحياة الشهيد بوشريط ، وهي من إصدار الإتحاد الولائي للشبيبة الجزائرية بالبيض مشكورا، لاسيما من حيث كيفية تقسيم هذا الجيش، وبعض قادة فصائله، وكذا عدد أسرى هجوم الشلالة، وقائد العملية. إلخ (نسخة من النشرة المذكورة مكنتني منها الأستاذ عبد القادر الأخضر مشكورا).



(17) في بعض الإفادات بلغت كمية هذا السلاح المتبرع به 49 قطعة، ونُسب إلى الرائد عبد الوهاب قوله، إن عدد هذه القطع كان 50 قطعة، ويضيف بأن هذا السلاح كان سلاحا متنوعا بين حديث (خماسيات - ثمانيات - عشاريات - مسدسات. إلخ)، وتقليدي (ربما المقصود به البنادق ذوات المواسير الثنائية، والمسدسات التقليدية)، لكن النوع الحديث كان هو الغالب، وتعود أصوله إلى

مدينة البيض قلعة من قلاع الصمود في الجنوب الغربي على مدار عقود الاحتلال ويكفيها فخرا أنها أنجبت سليمان بن حمزة و بوشريط

و الرائد عبد الوهاب ورموزا آخرين

السلاح الأمريكي الذي شكل قوام ما يشبه سوق سلاح، نتيجة نزول الحلفاء بالجزائر ابتداء من 7 و8 نوفمبر 1942 ، يقول مولاي إبراهيم (الرائد عبد الوهاب قائد المنطقة الثالثة)، هناك نسبة من السلاح وجدت في بداية الثورة، وهي من بقايا الحرب العالمية الثانية، وكانت تباع في الصحراء خصوصا من طرف " أولاد المجدوب"؟، (و لاشك أن المتحدث يعني أولاد سيدي أحمد المجدوب)، الذين كان لديهم سلاح من النوع الأمريكي وكان - هذا السلاح - آنذاك في مراكز بتلمسان و رأس الماء (بيدو)، وكان الجنود الأمريكيان في ذلك الوقت، يبعونه إلى الشعب الجزائري، الذي كان يشتريه بالتنسيق مع جماعتنا من الشعانية في الصحراء. انتهى ما نقلناه من كلام الرائد عبد الوهاب (حوار بالموقع الإلكتروني المسمى " البيض تاريخ و حضارة "، من تقديم كريم البيضي /حاوره الباحث أرويسات الشيخ في 05/12/2004 )، وحول استفادة الجزائريين من أسلحة الحلفاء، لاسيما الأمريكيان عن طريق الشراء، أنظر أيضا هنري علاق في كتابه " مذكرات جزائرية " ص. 145 طبعة دار القصبة 2007. لقد وجدنا في إفادة للحاج الطاهر بوخال ما يثبت أن عبد الوهاب كان يعني أولاد سيدي أحمد المجدوب فعلا حين تحدث عن " أولاد المجدوب"، الذين كانوا يتاجرون في السلاح الأمريكي، وها هو السند في إفادة الحاج الطاهر بوخال الذي قال، إنه في خريف عام 1947 شهد عملية عرض لهذا السلاح كان يقوم بها المدعو بالمنور محمد (مجدوبي) الذي جاء وبعض رفاقه بحمل بعير من السلاح الحديث (نوع الخماسيات ) في غراتين (كيسين تقليديين) للتمويه، و في خيمة الراوي عرض عينة من تجارته (بندقية)، شارحا لمن حضر المزايا التقنية لهذا السلاح المتطور، ولقلة الإقبال على هذه الكمية من السلاح، سافروا بها إلى البيض، وهناك علمت السلطات الفرنسية بأمرهم فألقت القبض على سي محمد بالمنور الذي أخذ يصيح بأعلى صوته: "أنا لا أتاجر في السلاح، ليس معي سلاح". وكل ذلك لينبه زملاءه ليفروا بأمتهتهم، وفروا فعلا في حين أُعتقل هو وعذب، ثم أُحلي سبيله حين لم يعترف بالتهمة.

**(18)** في إفادة للحاج بلحيا حيدار أن بوشريط قد أرسل في طلب بن سليمان حيدار الإفريقي ليوافيه، وقد لب هذه الدعوة مرفوقا بعمه حيدار سليمان بن إبراهيم، وذلك قبل أن يوجه الدعوة العامة إلى المتطوعين ليلتحقوا به جماعيا، أي ببوشريط، وإذا قارنا هذه الإفادة بإفادة الحاج الطاهر بوخال في الهامش 3 أعلاه من هذا الفصل قد نتساءل عما إذا كان الرجلان ( الإفريقي و راسمال) قد زارا بوشريط معا إم كلا على حدة.

**(19)** من المعروف أنهم اتجهوا إلى منطقة "الشقق"، حيث يوجد بوشريط بعد أن كان قد أرسل بثلاث رسائل متتاليات في هذا الشأن إلى الشهيد حيدار بن سليمان (الإفريقي)، مع كل من حشيفة الشيخ بن معمر، وحيثالة بحوص، وبلحيا حمو الطيب (الإبن)، والغالب على الظن أن بعض هذا البريد - على الأقل - كان يتعلق بدعوة المتطوعين للحضور ومسألة تسليحهم الذاتي، وقد كانت تلك الرسائل أول بريد مكتوب أرسل به بوشريط إلى الإفريقي فيما نعلم، وقد روى المرحوم حيثالة بحوص - وهو من المجاهدين الأوائل المنتمين إلى المجادبة الشراقة آنذاك - أنه تفاجأ في أثناء الطريق بسيارة "جيب" فرنسية لم ينبه إليها إلا هوائي اللاسلكي المرسل بأعلى سطحها، لكثافة أشجار الحلفاء التي كانت تخفيها، فارتدى أرضا من على ظهر مطيته، وكانت خشيته أن يُكتشف البريد الذي يحمله، و بذلك نجا ولم يتم رصده من طرف جنود الاحتلال، وتمكن من تليغ البريد الذي كان يحمله (لعل الرسالة التي حملها سي بحوص، كانت دعوى خاصة للإفريقي بزيارة بوشريط لاحظ الهامش 18 أعلاه).

**(20)** تم تحديد المكان الذي تناولوا فيه طعام العشاء، من قبل حيدار الحاج المازوزي.

**(21)** يضيف الحاج المازوزي حيدار من جهته إلى من استشهدوا بمعركة القعدة "الشواير" (من قبيلة أولاد سيدي أحمد المجذوب)، رجلا آخر من أولاد سيدي الماحي لم يستحضر اسمه، مع العلم أن هذه المعركة من المعارك الأولى التي جرت بالغرب الجزائري يومي 03 و04 أكتوبر 1956. (لاحظ العميد مصطفى طلاس في كتابه " الثورة الجزائرية"، وباقي مؤرخي الثورة).

**(22)** وهنا لا بد من أن نشير إلى أنه حسب الإفادات الشفوية دائما، فقد بلغت بعثات القبيلة بهدف الانضمام إلى جيش التحرير، في تلك المرحلة المبكرة من عمر الثورة، حوالي 70 رجلا، تم الاحتفاظ بأزيد من 30 رجلا منهم من تلك الدفعة، في حين عاد الباقون للأسباب التي أشرنا إليها، وهذا قبل شروع جيش التحرير في قبول التطوع الفردي، حيث أصبحت تتم تركية المتطوعين من طرف قادة الأعراش بصورة إلزامية، باعتبارهم الأدرى بأبناء قبائلهم، وقد روت مصادرنا ان الشهيد الإفريقي كان من بين الذين كانوا يقومون بهذه التزكيات كباقي قادة الأعراش طبعاً، ويُشار بهذا الصدد إلى أن معظم من قلنا إنهم عادوا إلى الحياة المدنية، ما لبثوا أن التحقوا بصفوف جيش التحرير في وقت لاحق، بل إن عددهم تضاعف مرات ومرات طوال سنوات الثورة، أما المجاذبة الشراقة فقد كانت مضاربهم بالجهة الشرقية من جبال القصور، التي توجهت إليها هذه الدفعة، ومن ثمة فمشاركتهم في هذه الأعمال التحضيرية للثورة كانت شيئا بديها، سواء في عهد التطوع الجماعي أو الفردي.

**(23)** كان مركز الشهيد بلحيا حمو الطيب (الأب) يغطي مناطق " الشقق" (بضم الشين)، أي الجهة الشرقية من جبال القصور، حيث يوجد أولاد بلحيا وأولاد سيدي أحمد المجذوب الشراقة (وهم أولاد سيدي بن عبد الله - العبادلة - و أولاد سيدي الحسين، وسيدي الحسن، و سيدي مفران، مضافا لهم لقرارشة إلخ )، فضلا عن القبائل الموجودة هناك من غير هؤلاء، وقد عرفنا أن هذا المركز كان بوابة بوشريط، ليس إلى المجاذبة الشراقة ومن جاورهم فحسب، بل وإلى المجاذبة الغرابة بعسلة وضواحيها، ونظرا للنشاط المكثف الذي كان يقوم به هذا المركز، فسرعان ما بلغ أمره سلطات الاحتلال

الفرنسي، مما أدى بها إلى مهاجمته، وحرق خيم هذه العائلة كلها، وتشريد نساها وأطفالها فضلا عن قصف إبلها ومواشيها جوا، وقد طال ذلك عوائل المجاذبة الشراقة ممن كانوا على علاقة وثيقة بالمركز، وقد أمرت قوات الاحتلال الفرنسي البدو الرحل بالابتعاد عن الجبال، من خلال النزوح غربا نحو ضواحي عسلة، ولأن النازحين لم ينقطعوا بدورهم عن النشاط الثوري، فكان من الطبيعي أن يصبحوا عرضة لهجوم الإبادة الذي تعرضت له خيم العبادلة في منطقة كباشة شمالي عسلة عام **1957**، (إفادة المجاهدين حيتالة الحاج الطيب أمين قسمة المجاهدين بعسلة، و بوخال الحاج الطاهر)، وسنورد ما جاء عن هذا العملية في مذكرات المجاهد حيتالة الحاج أحمد ( الذي كان برتبة مساعد في جيش التحرير ضمن كتيبة النعيمي النعيمي )، يقول ما نصه: ((وفي تلك الأثناء قامت قوات الاحتلال بتهجير البدو الرحل المقيمين قريبا من الجبال، وذلك إلى الجهة الغربية، وبالذات إلى المريجة بضواحي بلدة عسلة، وكان ضمن هؤلاء عائلة السي أحمد (صاحب المذكرات) طبعاً، وما أن حلوا بتلك الجهة، حتى قام الجيش الفرنسي في شهر ماي **1957** بحرق ثلاث عشرة خيمة، ثم باعتقال أربعة أفراد من سكانها وتصفيتهم رمياً بالرصاص بالمكان المسمى "كباشة المريجة"، وهم أخو السي أحمد حيتالة (صاحب المذكرات)، واسمه حيتالة التومي، وعماه حيتالة الطيب، وحيتالة محمد، وابن عمه حيتالة أحمد، وبذلك كان هؤلاء الأربعة من أوائل شهداء القبيلة كما ورد في هذه المذكرات، ويرجع مصدرنا سبب هذه العملية إلى تسرب معلومات استخبارية إلى العدو الفرنسي المحتل، كشفت له أن العائلة التي تحمل لقب حيتالة، تشتغل كلها مركزاً لتموين جيش التحرير ومساعدته وخدمته، بينما تتحدث مصادرنا الأخرى ( على رأسها المجاهد بوخال الطاهر) - إلى جانب ذلك السبب - عن عبور قوات لجيش التحرير قادمة من ضواحي "أفلو" مصحوبة بمعتقلين من حركة بلونيس، وبأمر من قادة جيش التحرير قامت هذه العائلات بتهيئة إطعام لهذه القوة، لكن يبدو أن قوات الاحتلال، إما بلغها أمر ذلك، أو أنها كانت تتحسس عبور هذه القوة، التي اجتازت المنطقة - لحسن الحظ - بسلام، هذا وأثناء عملية إطلاق النار على الشهداء الأربعة المذكورين، أصابت قوات الاحتلال المجاهد حيتالة سليمان إصابة بليغة لكنها في غير مقتل، فاعتقدت أنه قُتل غير أن الأمر كان عكس ذلك، حيث لا يزال حيا يُرزق، ( وحيتالة الحاج سليمان متقاعد من الجيش برتبة مساعد)، ولأن حادثته وقعت يوم **20** جوان **1957** فقد سبقت في الزمن حادثة مماثلة مشهورة حدثت بعدها في جبال القصور أيضاً، حيث اعتبر الحاج بوسماحة بن طالب ميتاً بعد أن حُكم عليه بالإعدام في **21** ديسمبر **1958** رفقة مجاهدين اثنين آخرين، فأطلق عليه الفرنسيون النار لكنه لم يموت، فاشتهر باسم شهيد لم يموت، وهو من بلدة جنين بورزق من عرش الميرينات.

(24) هؤلاء سيشاركون في معركة الشوابير بالقعدة بضواحي أفلو، التي أعقبت وفاة الشهيد بوشريط مباشرة، وسيسقط منهم ثلاثة شهداء كما أشرنا.

(25) هذه استنتاجاتنا الشخصية على كل حال كقراءة للأحداث وفقاً للروايات التي تمكنا من ملاحظتها، وإذ نعرض لمسألة نشأة بعض -نقول بعض- تنظيمات الثورة في هذه المنطقة، ليس لهدف آخر سوى محاولة التقرب من حقيقة ما جرى، حتى ولو أننا لم نتلق هذا من أغلب المجاهدين ممن نعتبرهم ذوي إمام كاف بالمعلومات الخاصة بهذه الفترة الأولى للثورة بالمنطقة، لأن أوسع هؤلاء إطلاعا انتقلوا إلى جوار ربهم تباعاً، أثناء غفلتنا و قبل أن نتفطن إلى أهمية ما كانوا يحتفظون به من معلومات، لايجود الزمان بمن يدلي بها ثانية.

لم يُعد تنظيم القبيلة (توزيعها إلى أكثر من عرش) في حياة بوشريط، فهو قد تركها على التشكيلة التي كان قد أقرها في اجتماع "الدويس"، ويمكننا أن نتأكد من رغبته في وحدتها على ضوء عدة معطيات، منها على سبيل المثال لا الحصر:

1) أنه كان - حين انتقل إلى اجتماع الرمثة - . قد اصطحب بعضا من الوجوه التي سبق لها أن حضرت معه اجتماع الزاوي.

2) أن أسماء الدفعات الأولى للمتطوعين (من المسلحين وغيرهم) ممن التحقوا بندوق "الدويس"، هذه الأسماء تعكس انتماءهم إلى "مجموعتين" (ستصبحان عرشين بعد موت بوشريط)، مما يدل على أن عملا جماعيا أو بالأحرى تكامليا، كان وراء ذلك التجنيد الواسع الذي لم يكن من صنع جهة دون أخرى، أو فرد دون آخر من المعنيين.

3) أن اقتناع بوشريط بالتشكيلة الأولى التي أحدثها في اجتماع "الدويس" و إبقاءه عليها، يعودان إلى أن التمثيل فيها كان متوازنا في رأيه، بحيث إن إسناده رئاسة تلك التشكيلة الثلاثية إلى مقدم الزاوية، حيدار بن سليمان (الإفريقي)، يعني إيمان بوشريط - كسياسي محنك - بالنفوذ الروحي للزاوية، ذلك النفوذ الذي - اكتشف الرجل - أنه لا ينتهي بانتهاء خارطة قبيلة أولاد سيدي أحمد المجذوب بطبيعة الحال، بل يتجاوز تلك الخريطة إلى أعيان، وعوام وأحلاف القبائل الأكبر حجما منها في المنطقة، كحميان والعمور وغيرهما، فضلا عن سكان القصور من أمازيغ الجهة كلها، أيضا أنه رأى بالإضافة إلى مراعاة هذا الجانب الروحي (التقليدي)، جانبا آخر لا يقل أهمية، هو المركز العلمي، الاصلاحى المتنور، الذي يمثله رجل في مكانة الفقيه الشيخ أحمد راسمال، وقد عرفنا من خلال حياة بوشريط أن هذا الأخير كان قد أعجب بالشيخ عبد الحميد بن باديس أثناء زيارة هذا الأخير إلى مدينة البيض، ثم هناك الشلالي العربي، صاحب الروح الدينامية والعلاقات الاجتماعية، لكن هذه الاعتبارات ربما لم تعد كافية في نظر من رغبوا في إعادة التشكيل، وهو تطلع استجاب له قيادة القسم (سيسمى الناحية بعد وضع مقررات مؤتمر الصومام موضع التنفيذ)، فكانت مرحلة أخرى يمكن أن نسميها بمرحلة "ما بعد بوشريط"، قُسمت خلالها القبيلة (في جزئها الغربي) إلى عرشين، من خلال عملية تصويت برفع الأيدي، جرى على مرشحين اثنين هما الشهيدان، حيدار بن سليمان (الإفريقي) والطيباوي الحسن، ليتولى كل واحد منهما قيادة عرش من العرشين، وقد أشرف على هذه العملية - على ما قيل - سي منصور (قيل إنه من تلمسان) وذلك خلال اجتماع ترأسه بهضبة "الدمجة" قرب عسلة، لكن الأرجح أن الأمر جرى بحضور أعيان القبيلة فقط دون أن يشرف على اجتماعهم أحد من المسؤولين، وكان من أبرز قيادي العرش الأول - علاوة على رئيسه الشهيد الإفريقي - الشلالي محمد وأخوه العربي، وحفيان عبد السلام وأخوه التومي، وحيدار المجذوب وأخوه الميلود، و الباقي المجذوب، وأعمام الشهيد الإفريقي، وبن قرع لعرج وأخوه الطيب، ولرزق الميلود، وآخرون كثيرون (وهؤلاء هم من سبق لهم أن حضروا أول اجتماع كان قد أشرف عليه بوشريط بالزاوية، إلى جانب آخرين كثيرين طبعاً)، أما العرش الثاني فكان من أشهر قياديه، الفقيه الحاج أحمد راسمال، الطيباوي محمد (بوذينة)، و بوحلة سليمان، وراسمال عبد السلام، وراسمال عبد القادر، إلى جانب رئيس هذا العرش طبعاً، الشهيد الطيباوي الحسن، وأخيه الراحل الطيباوي الشيخ، وآخرين (وهؤلاء هم أيضا من سبق لهم أن حضروا الاجتماع الذي ترأسه بوشريط ب"الرمثة"، في أولى زيارته لعسلة وما حولها)، وكان ضمن العرشين رجال من البطون الأخرى

للمجادبة الغرابية، كأولاد سيدي الماحي، أولاد سيدي بوبكر، وغيرهم، فضلا عن أهل "عسلة" (الأمازيغ)، وفي مقدمتهم الحاج أحمد بن هلال، وعمار محمد (بن عامر) وابنه الشهيد عماري عبد القادر، والشهيد موريد محمد وآخرون.

و على أية حال فقد أثبت هذا التنظيم المزدوج، الجديد للقبيلة نجاعته وقدرته على التكيف مع الأوضاع المستجدة رغم خطورة تلك الأوضاع، ممثلة في المحتشد الذي أقامه المحتل الفرنسي "بعسلة"، من حوالي ألف خيمة وحشر فيه السكان من بدو وحضر (منازل وخيما) لإحكام قبضته على الجميع، محاولا قطع صلتهم برجال التحرير في الجبال، لكن هذا المحتشد - الذي أراد له العدو الخنوع والاستسلام - ما لبث أن أصبح عبارة عن خلية نحل يشتد نشاطها الثوري لاسيما ليلا، بل وتحول إلى شبكة تنظيمية، قوامها أربعة أو خمسة أعراش فاعلة في الثورة، متفاعلة معها (بالتعبير الثوري لكلمة عرش) هي:

عرش حمزة (أي حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء)، وكان يضم 260 عائلة بين خيمة ومنزل، وهو العرش الذي ترأسه الشهيد حيدار بن سليمان (الإفريقي) في أول الأمر، ثم أسندت قيادته بعده إلى الباقي المجدوب، ولما اعتقل أسندت قيادته إلى المجاهد حيدار الميلود (ابن عم الشهيد الإفريقي). عرش الحواس (وهو شهيد الثورة العقيد سي الحواس)، وكان يرأسه في أول الأمر الشهيد الطيباوي الحسن، ثم أسندت رئاسته إلى ابن عمه المجاهد الراحل الطيباوي محمد (بوذينة)، وأخيرا إلى المجاهد الراحل راسمال عبد السلام.

عرش زيروت (ضم الشرفاء، وهي فرقة من السكان تنتسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، يقيمون حاليا بحمام عين ورقة من أشهرهم، مولاي إبراهيم بن العربي -نزير عسلة ودفينها- وكان من أبرز المسيلين منهم مولاي سليمان)، (للمزيد أنظر كلامنا عن زيارة بوشريط إلى عين ورقة، ولقائه بوجوه من الشرفة في أول الأمر). عرش يوغورطة (نسبة إلى زعيم مقاومة الاحتلال الروماني)، وكان هذا العرش يضم سكان قصر عسلة الأمازيغ، وقد رأسه على التوالي: عسلاني سليمان (شهيد)، ثم عمارة محمد، وأخيرا عماري أحمد، الذي بقي قائدا له حتى الاستقلال.

ولا يجب أن نغفل ذكر عرش خامس ورد ذكره في مخطوط يوميات المجاهد الحاج أحمد حيتالة، كان يترأسه الحاج الطيب بوغفالة، ولعله كان يضم المجادبة الشراقة بعد نزوحهم إلى محشدة عسلة، وتفيد مصادر أخرى أن هذا العرش كان قد ترأسه بعد تأسيسه (قبل النزوح إلى عسلة)، مسلك الأيام (بلحيا محمد). وتعميما للفائدة نقول إن كلمة "عرش" لم تكن غريبة عن معجم المقاومة الجزائرية، حيث كان الأمير عبد القادر قد وضع على رأس كل ناحية آغا، وعلى رأس كل قبيلة قائدا، وعلى رأس كل عرش (بطن) شيخا، (لاحظ عيشوبة الحاج أمحمد (وهو من مجاهدي معسكر) في مؤلفه: "النضال السياسي والعسكري لمنطقة معسكر"، مخطوط مائل للطبع.

(26) يتحدث مصدرنا عن شبكة مراكز التموين والإيواء. إلخ، التي كانت تتكون على النحو الآتي: مركز حيدار سليمان بن إبراهيم بالمكان المسمى "شقة أبرام"، ومركز الشلالبي العربي "بضاية الشلالبي العربي"، مركز حفيان عبدالسلام، وحفيان التومي "بأم الودح"، مركز الزاوي المجدوب "بالقوس"، مركز دربال محمد بن دربال "بوادي العمور"، مركز مولاي ملوك "بالمعذر - الحجرات الطوال"، مركز رمضان الحبيب بن رمضان "بالصم"، مركز عرباوي علي بن محمد "بعرباويات"، مركز مقدم سعيد "بقويقات"، وأضفنا لها استنادا إلى مصادر أخرى: مركز الإفريقي (حيدار بن سليمان) بالزاوية (عسلة)، ثم (بحجرة الإفريقي)، مركز بوحلة سليمان "بثنية العمارة"، مركز بوغفالة المجدوب (محرز) بتامدة، مركز بالحيا حمو

الطيب بالشقق، مركز بوغفالة الحبيب ( جاء في مذكرات الحاج أحمد حيتالة)، (الأمر هنا لايعني كل مراكز الجهة بطبيعة الحال لأنها كثيرة).

(27) الشلالة القبلية مشهورة بوليها الصالح سيدي محمد الغريسي، والحقيقة أن اسم الغريسي (نسبة إلى مدينة غريس بضواحي معسكر) حملة كثيرون، (راجع مثلا "معجم أعلام الجزائر"، لعادل نويهض)، لكن المصادر المحلية تقول إن السي محمد الغريسي نزيل هذه البلدة، هو النجل الأكبر لسيدي أحمد التجاني، وبقى نجهل زمن انتقال هذه الشخصية إلى الشلالة القبلية، وظروف مقامه بها إلى غاية وفاته هناك، وما إذا كانت قد تمت ضمن رحلة التجاني، أم في نطاق آخر.

هذا، ومن ناحيةٍ أخرى لم تحدد مصادرنا الجهة التي أرسلت بذاك البريد، الذي جاء به الرجل من الشلالة القبلية إلى الشهيد الإفريقي، فهل هي القسم الخامس عشر الذي تأسس في تلك الأيام بضواحي البيض كأول هيكل تنظيمي للثورة في الجهة بقيادة أحمد بن موسى (مراد)؟، هذا الهيكل الذي ستلوه هياكل أخرى، كتأسيس الناحية الثالثة في جوان 1957، وإنشاء المنطقة الثالثة في جويلية 1958، والاثنتان كانتا تباعا بقيادة مولاي إبراهيم (الرائد عبد الوهاب)، (عن تصريح لهذا الأخير في موقع "البيض تاريخ وحضارة").

(28) في تصويب للحاج المازوزي حيدار قال، إن الآلة الكاتبة كادت تحجز لولا أن المدعو "أبا علي" هربها، وأخفاها قبل القبض عليه.

(29) من إفادة الحاجة ربيحة أرملة الشهيد حيدار الطاهر، وقد ربط هذا المصدر اكتشاف أمر الزاوية، بأول هجوم قام به جيش التحرير على ثكنة القوات الفرنسية حين كانت شرقي عسلة على الكثبان الرملية، وجاء الهجوم من هضبة "جطي و"، فاكُشف مركز الزاوية ضمن حملة مضادة من التفتيش والتحقيقات والمداهمات، قامت بها سلطات الاحتلال.

(30) يبدو أن التعامل بهذا النوع من البطاقات كان سهلا وشائعا بين الجزائريين يومئذ، بقدر ما كان سريرا وخفيا عن سلطات الاحتلال طبعاً، بحيث كانت تُستخدم نفس البطاقة الواحدة من طرف أكثر من شخص في غفلة من تلك السلطات، يقول هنري علاق (1920 - 2013) الصحفي الفرنسي - الجزائري الجنسية، الذي كان مديراً لجريدة "الجي ريببليكان" ثم جريدة "لومانيتي" - يقول بشأن طبيعة تلك البطاقات في ذلك الوقت: ((أحياناً نفس البطاقة التي أُخرجت في فترات متراوحة من اليوم، تُستخدم من طرف ثلاثة أشخاص مختلفين))، أنظر هنري علاق في كتابه "مذكرات جزائرية" ص 119 ط 2007.

(31) "قبر عجاج": مكان يقع بأعالي هضبة "الدمجة" غربي عسلة، أخذ اسمه إما من شكله كمرر أرضي طبيعي تغمره الرياح في شكل تيار هوائي، أو يقع به فعلا قبر أحد سادات المنطقة القدامى، حيث يشيع اسم العجاج بين رجال بني هلال وبني سليم، وذكر العلامة ابن خلدون بعضهم في "العبر" مثل ((زيد العجاج بن فاضل، المذكور في رجالات هلال)) كما قال هذا المؤرخ الكبير. (العبر. ج 11 / ص 163).



**هناك إفادة توضح لنا أن مغادرة العائلة لبلدة عسلة نحو البادية بصورة نهائية، لم تتم إلا في أواخر سنة 1957** كما تعطينا صورة عن تنقلات الشهيد الإفريقي خارج البلدة اضطراريا، بحيث إنه كان لا يزور عائلته (بمقر الزاوية) إلا في أوقات معينة، لأنه كان ملاحقا من طرف قوات الاحتلال الفرنسي، وفي هذا الصدد يفيد المجاهد بوخال الطاهر أنه جاءه في مهمة، فلم يجده بالزاوية لأنه لم يكن يستقر بمكان واحد، وهكذا لم يجد إلا أخاه الطاهر حيدار الذي نصحه بالانتقال إلى حيث يقيم السيد الطيباوي محمد (بوذينة) بمنطقة بوطاهر غربي عسلة، لأنه هو فقط من سيده على مكان الإفريقي، فانتقل السيد بوخال إلى منطقة "بوطاهر"، ولقي السيد الطيباوي محمد الذي قال له: "إن الإفريقي يوجد عند أعمامه (أولاد ابراهيم) بمنطقة "السطح"، و معنى هذا أن حادثة البطاقة و مغادرة العائلة إلى البادية لم تحدثا قبل عام 1957 كما يرى البعض، لأن السيد بوخال يؤكد أن زيارته هاته، تمت إبان العام المذكور، وفي تلك السنة حدث هجوم الجيش الفرنسي على (العبادلة) وهم بطن من قبيلة المجاذبة ينتمي إليه السيد بوخال (أنظر الهامش 23 من الفصل 2 أعلاه).

(32) اتفقت روايتنا مصدرينا بخصوص زمن الرحلة الذي هو فصل الشتاء، وحسب سياق المعطيات فهو شتاء عام 1957 (هذا التاريخ من استنتاج المؤلف).

(33) أفاد أحد الرواة انهم حينما كانوا بصدد مغادرة (الخرواعة) جنوب جبال القصور، في طريقهم الى ضواحي عسلة شمالا، قال لبن سليمان حيدار(الإفريقي) أحد أعمامه أو أبناء أعمامه: "لماذا لا نهاجر إلى المملكة المغربية كما هاجر كثيرون؟"، فأجابه الإفريقي بقوله: "وهل نزوحنا إلى المغرب سيطيبل من أعمارنا؟".

(34) هذه الإفادة لإرملة الشهيد حيدار الطاهر دائما.

(35) يحمل الجانب الغربي الأقل ارتفاعا من جبل أبرام، اسم "طارة برام"، وهو مشهور باسم "الطارة" الذي حافظ على تأنيته لامر ما، وقلمن يقربها باسم جبل برام الذي هي ملحقة به جغرافيا، و لعل ذلك من باب التخفيف على النطق، كما يمكننا أن ننطقها "التارة" ولعل أصلها كان كذلك، ومن هنا ليس من المجازفة القول بأنها ذات صلة لغوية باسم قبيلة طارة (أو ترارة) البربرية، وقد عُرفت منطقة ندرومة ببلاد ترارة منذ القرن السادس عشر، وهو الاسم الذي كان يُرف به سكانها الأمازيغ، فهل كان لهذه القبيلة علاقة بمنطقة جبال القصور في زمن ما؟ (عن هذه القبيلة لاحظ العدد 1994/103 من مجلة الثقافة "الجزائر").

(35 مكرر) ولد السيد قايد أحمد المعروف -إبان ثورة التحرير- بالرائد سليمان، في شهر ماي سنة 1921 بمدينة تيارت، ويعتبر من قادة جيش التحرير، والسياسيين الجزائريين المعروفين، عمل منذ البداية رفقة العقيد لطفي على تنظيم المنطقة الثامنة للولاية الخامسة، خاصة في منطقة تيميمون والبيض وأفلو والعين الصفراء. ملحوظة أوردنا هذه النبذة لإثبات مرور السيد قايد أحمد بالمنطقة التي نتحدث عنها .

(36) وكما كان الشأن بالنسبة للقاء "سطح بالقراد"، كان اجتماع "التواليل" (ضواحي البيض)، الذي ترأسه قايد أحمد يكتسي أهمية كبرى، باعتباره انعقد تحت إشراف أكبر شخصية تزور تلك الجهة حتى ذلك الحين، بعد زيارة الشهيد لطفي طبعاً (مارس 1957 حيث حدثت معركة خناق عبد الرحمن)، والحقيقة أن القول بأن قايد أحمد هو من أوفد بوشريط

إلى الناحية الشمالية (سوقر، فرندة، الحساسنة والطرافي) وأن الزعيم بوشريط لم يقم بتلك الجولة العملية بمبادرة منه قول فيه نظر، لأن انتقال قايد أحمد إلى ضواحي البيض لم يكون قد حدث قبيل نشوب معركة خناق عبد الرحمن، وبالتالي لم يحدث قبل استشهاد بوشريط في سبتمبر 1956 كما هو معروف، وإذن فقد انتهت رحلة السيد قايد أحمد التي مر خلالها بـ "عسلة" بعقد هذا الاجتماع، ولأهميته تردد ويتردد ذكر اجتماع "التواليل" في مقابلات و تسجيلات أكثر من قيادي بمنطقة البيض، و في مقدمتهم الراحل مولاي إبراهيم (الرائد عبد الوهاب) الذي قال بشأنه إن قايد أحمد أعطى خلاله، توجيهات حول كيفية تشكيل المجموعات القتالية، وعدم تضخيم أعداد المقاتلين في الأفواج المتحركة تفاديا للخسائر البشرية وغير ذلك، وهو ما أصبحت عليه خطط الثورة في مواجهة مخطط الجنرال شال كما نعلم.

(37) كانت هجرة سكان بلدة بوسمغون يوم 16 ديسمبر 1956 (كما أخبرنا الحاج محمد الطاهر بن يحيى، وهو من أبناء بوسمغون المقيمين بسعيدة)، وهي الهجرة التي حدثت كما هو معلوم بسبب هجوم كان يعتزم شنه فوج من جيش التحرير الوطني بقيادة المجاهد الراحل المعروف نور البشير، على الثكنة العسكرية هناك، لكنهم عوضا عن ذلك، اكتفوا بتبع جنديين فرنسيين كانا قد غادرا الثكنة نحو البلدة للبحث عن ساعاتي يصلح ساعة أحدهما، فأخذ أفراد جيش التحرير مواقعهم على امتداد الطريق الذي سيسلكه الجنديان أثناء عودتهما إلى الثكنة، وهكذا ما أن بلغا المكان الذي كمن به المجاهد بلحيا محمد (مسلك الأيام) الذي كان ضمن الفوج، حتى أطلق عليهما النار فقتل أحدهما و أصاب الثاني، ولم يكتفوا بذلك بل قيل إن أحد المجاهدين (وقيل مواطنا) عمد إلى التمثيل بالجندي الفرنسي القليل حيث جدع (أي قطع) أذنيه، وهو ما أثار حفيظة العقيد الفرنسي قائد الثكنة الذي أمر باستنطاق جميع سكان القصر، والتحفظ على الكثيرين منهم، ولما اتسعت دائرة الانتقام العشوائي من طرف قيادة ثكنة الاحتلال الفرنسي، ولخشية السكان من تعاطف نقمة المحتل الفرنسي، انطلقوا في هجرة جماعية نحو المجهول بعائلاتهم وأطفالهم، مخلفين قصرهم ومنازلهم ومواشيهم وحقولهم في الحادثة المشهورة، وقد أكد لنا بعض تفاصيلها، كل من الشيخ الحاج البشير بزرة (وهومن الشخصيات الدينية المعروفة) في لقاء جمعنا به أثناء زيارة قادته إلى سعيدة، وتواتي محمود (مجاهد معروف)، وعزالدين الطاهر (كان من ضمن المعتقلين يومها) في لقاء لنا معهما ببوسمغون، وفي لقاء لنا (بمدينة البيض يوم 02 جانفي 2014) مع المجاهد نور البشير، وكان يومها أمينا ولائيا لمنظمة المجاهدين قبل وفاته رحمه الله، وهو الذي قاد هجوم بوسمغون، سألناه عن السبب الذي جعلهم لا يهاجمون الثكنة، و يكتفون بقتل الجندي الفرنسي في الشارع، فقال: "نحن لم نكن نقصد مهاجمة مكان معين، وإنما كان هدفنا قتل الجنود الفرنسيين أينما وجدوا سواء داخل الثكنة أو خارجها، وقد وجدناهم فلماذا نضيع الفرصة؟".

يُشار إلى أن هذا الهجوم هو الثاني بعد ذلك الذي قام به الشهيد بوشريط على مخيمات للجيش الفرنسي ببوسمغون، وأشار إليه الحاج أحمد حيتالة في مخطوط مذكراته كما أسلفنا، مع العلم أن قوات المظليين التي كان يقودها الجنرال المجرم "بيجار" - فيما بعد - كانت غالبا ما تتمركز بضواحي هذه البلدة كقوات للتدخل السريع والدعم، كما فعلت في معركة "الركنة الكحلة" (1960/10/23) التي استشهد فيها الشهيدان الشلالى محمد قائد الناحية، و راسمال

عبد القادر (هذه الإفادة بخصوص تدخل قوات بيجار تلقيناها من الأستاذ محمد حفيان نقلا عن كتاب لأحد الجنود الفرنسيين ممن شاركوا في تلك المعركة).

(38) يفيد المجاهد التواتي محمود (المشهور بمحمود أوبدة) وهو من المجاهدين الأوائل في بوسمغون المعروفين بنضالهم المبكر، أنه حينما أعاد الأغنام من السيد حيدار بن سليمان (الإفريقي) إنما كان بمفرده، وقد وجد مع الإفريقي عميه سليمان والطيب ابني ابراهيم، أما المجاهد البشير بن دحو - الذي أكد مصدر لنا، أنه صحب السيد محمود لاستعادة الأغنام من عند الإفريقي - فوجدناه مع الأسف في حالة صحية لا تسمح له بالكلام، نتيجة كبر سنه وعجزه الصحي، هذا وهناك خلاف في عدد رؤوس تلك الأغنام، فالعدد عند المجاهد محمود بن بدة يزيد من 700 رأس، بينما هو أقل عند المجاهد الحاج بلحيا حمو الطيب (الابن) بحيث لم يتجاوز 400 رأس، (أخذنا هذه المعلومة الأخيرة من مخطوط من إملاء السيد حمو الطيب، يوجد لدى ابنه السيد بلحيا رضوان، وهو بمثابة مقدمة لمذكرات نتمنى أن يتمها)، والسيد بلحيا حمو الطيب - هو ابن الشهيد الشيخ حمو الطيب قائد المركز المعروف الذي تحدثنا عنه في الهامش 23 من هذا الفصل - قضى حمو الطيب الابن سنوات الثورة كواحد من قادة جيش التحرير بناحية بوسمغون وما يعرف بجبال المجاذبة الشراقة وما جاورهما، مع أخويه الحاج بحوص والحاج بلحيا، و ابن عمهم الحاج بن زيان إلى غاية استقلال الجزائر حيث تفرغ للأعمال الحرة، وكان قد أصيب في معركة " ضلعة مزين"، وقد أشرنا إلى أنه كان من الأوائل الذين نقلوا البريد عن بوشريط إلى الشهيد الإفريقي في عام 1956، (الإفادة لشقيقه المجاهد بلحيا الحاج الشيخ).

(39) قال مولاي إبراهيم (الرائد عبد الوهاب) في مقابلة بموقع "البيض تاريخ وحضارة" ما يلي: (( في جوان 1957 عُيِّنْتُ من طرف قائد المنطقة الثامنة - قايد أحمد - قائدا للناحية الثالثة)) أي أنه نعت قايد أحمد بقائد المنطقة الثامنة وليس قائد ناحية كما أورد الراوي، لكننا سنجد الرائد عبد الوهاب يستدرك في لقاء آخر، ويصف السيد قايد أحمد بنائب قائد المنطقة الثامنة وهذا ربما الأصح، لأن الشهيد لطفي هو من كان قائدا لهذه المنطقة طيلة الفترة من جانفي 1957 إلى ماي 1958 حيث عين بعدها قائدا للولاية الخامسة برتبة عقيد (لاحظ كتاب "من شهداء ثورة التحرير"، إصدار المنظمة الوطنية للمجاهدين)، وأكد أن تعيين قايد أحمد قائدا للمنطقة جاء لاحقا لذلك، مما يجعلنا نقول إن زيارته للشهيد الإفريقي، ثم إلى البيض جاءت في النصف الأول من عام 1958، ومن المعروف أن مقررات مؤتمر الصومام أحلت الولاية محل المنطقة، ووضعت هذه الأخيرة كتنظيم هيكلي بين الولاية والناحية، (راجع " فهرس شهداء الثورة التحريرية الكبرى " إصدار جمعية وفاء لحماية مآثر الثورة التحريرية لولاية عنابة).

(40) السيد بومدين بوعمامة هو أخو كل من الشهيدين، بومدين سليمان الذي استشهد بضواحي بلدة "البيوض" قرب المشرية، في معركة ضارية تمكن خلالها من إسقاط طائرة للعدو، وكان -حسب معلوماتنا -قائد قسم عسكري (إفادة المجاهد حيتالة أحمد المعروف بحيدة أبا)، أو نائب قائد ناحية، ثم أخوهما الشهيد بومدين عبد القادر الذي اعتقل وتم إعدامه من طرف سلطات الاحتلال في معركة " الشرشيرة".

(41) كان شعار "فرنسا معكم"، شعارا تحذيريا معروفا إبان الثورة، يردده القائمون بالحراسة، وكذا من اكتشفوا فجأة أن الجيش الفرنسي أصبح على مقربة من مواقع المجاهدين. إلخ.

(41 مكرر) جبل المالحة ربما أخذ اسمه من عين يتميز ماؤها بالملوحة توجد به، ويكفي أن روافد هذا الجبل تشكل أهم مصادر وادي عسلة (المالح)، شهد هذا الجبل حدثين هامين، الأول هو:

معركة " كاف النسورة" التي جرت في شهر ماي سنة 1960 تحت قيادة دربال الطيب، وكان عدد المجاهدين 10 من الكوماندو السادس، يذكر مصدرنا بعض من سقط فيها من الشهداء وهم، قرين محمد، والمجدوب مباركي، وجعين محمد، ومحمد المقني، وجرح خلالها اثنان هما السايح محمد، وبوحلة بوعمامة (صاحب مخطوط المذكرات مصدر هذه المعلومة)، أما خسائر العدو فبلغت 30 قتيلًا.

وتمثل الحدث الثاني في اجتماع قائد المنطقة الثالثة (الرائد عبد الوهاب)، بقائد الناحية الثانية (محمد الشلالي) ولجنة الاتصال التي كان من بين أعضائها المجاهد حيتالة الحاج أحمد (حيدة أبا)، صاحب مخطوط المذكرات الذي أخذنا منه هذا الخبر (أنظر الهامش 3 مكرر من الفصل الرابع).

## (هوامش الفصل الثالث):

(42) انفرد بهذه الإفادة السيد حيدار الحاج بلحيا.

(43) ثلاثة من القياديين المجاهدين بالجهة الغربية — في حدود علمنا — حملوا اسم سي منصور كلقب ثوري، **الأول** هو سي منصور الذي ينتمي إلى قبيلة أولاد سيدي بوتخيل، واسمه حضري (ولد بالعين الصفراء 1928) وهو معروف، حدثنا عنه كثيرون، منهم المجاهد لزرق سليمان، وكان المجاهد الراحل صادق الحاج أحمد رحمه الله (منسق اتحادية ج ت و بالعين الصفراء سابقا)، غالبا ما يحدثنا عنه كرجل وطني، وأكد أنه ليس المقصود بكلام مصدرنا، لأنه استشهد مع فيصل (راسمال الطاهر) بجبل عصفور عام 1960 كما ورد في كتاب "من سجل شهداء ومجاهدي الولاية الخامسة" لعلي نهاري. ص 121. "، غير أن هذا المصدر أسماه حضري محمد، وهو معروف بحضري عبد الله، أما سي منصور **الثاني** فحدثنا عنه مولاي إبراهيم بن الطاهر، وهو الآخر كان قائدا عسكريا (أصله شاوي) كانت القيادة قد أرسلته من الشرق الجزائري، فعمل بكل جد وإخلاص، بل كان متالبا للوطني الغيور على انتصار الثورة وإعادة شموخ الجزائر، إلى أن استشهد بجبل مكتر قرب العين الصفراء، وطوّفت قوات الاحتلال برأسه للتأثير على معنويات الجزائريين مما يدل على أهمية مركزه، ومكان استشهاده يبين أنه ليس المقصود أيضا، سي منصور **الثالث** اسمه الحقيقي باي الميلود (ولد بسبدو سنة 1935) (انظر كتاب (من سجل شهداء ومجاهدي الولاية الخامسة). المذكور.

(44) هذه الإفادة نُسبت إلى الشهيد الشاوش الطيب، الذي اعتقل في ذلك الكمين، ثم استشهد في ظروف أخرى.

(45) الإفادة الخاصة بالجزء الأول، للسيد حيدار الحاج بويكر وحيدار الحاج الميلود اللذين حضر الموقعة، بينما الإفادة المتعلقة بالجانب العسكري للمعركة، فهي للسيد إبراهيم بوسحابة المجاهد المعروف الذي تولى قيادة الناحية بعد وفاة قائدها البوعبدلي نتيجة مرض أصاب هذا الأخير وذلك أيام وقف القتال، كما أضاف السيد بوسحابة، أورد الحاج أحمد حيتالة في مخطوط مذكراته أن الرائد عبد الوهاب قائد المنطقة الثالثة، هو من قام بتعيين البوعبدلي قائدا للناحية خلفا للشهيد محمد الشلالي.

## (هوامش الفصل الرابع):

(1) فروز أو أفروز بتسكين ألفاء في الحالتين، اسم هذا الجبل، و قد صارت هاته الكلمة، على ما يبدو في عداد مهمل اللغة الأمازيغية، غير المعروف الدلالة، كمعظم الأسماء القديمة غير المعربة، التي تحملها طائفة من الجبال المجاورة لهذا الجبل، كما سنرى لاحقاً، ونجد قريبا من كلمة (فروز) كلمة (فازاز) الدالة على اسم قلعة بالمغرب الأقصى، (أنظر عبد الرحمن بن خلدون ج11 ص 379 )، كما أن هناك كلمة بصيغة ( زاز ) بدون (فاء)، وهي اسم لإحدى بلديات ولاية باتنة (لاحظ الجريدة الرسمية المتضمنة التقسيم الإداري لسنة 1984) ، أما إن بحثنا عن معنى ( فروز ) في اللغة العربية فسنجد كلمة "الفَزَّ (ج) أفزاز" وتعني ولد البقرة (عن معجم الصحاح )، وقد تكون للتسمية صلة ببقر الوحش الذي كان من الحيوانات غير المستأنسة التي لطالما استونطت جبال القصور، و منها جبل (فروز) بطبيعة الحال، قد نقول بهذا التخريج لولا أن معنى آخر ينافس في قوته الترجيحية، يفيد أن أصل " فروز " ربما تكون كلمة / أفزو/ التارقية التي تعني /ماكييا/ وهو نوع من الشجر، إن كانت لهذا الشجر علاقة بهذا الجبل طبعاً، وما موقع اسم الفنانة الإفريقية الكبيرة (مريم ماكيبا) من هذا المعنى ببعيد في تقديرنا.

و لا بأس أن نعرّج على مناقشة بعض أسماء الجبال المجاورة لهذا الجبل، وهي أسماء - غير معربة - وظلت معاني اسمائها في حكم المجهول، كجبلي "بريسط" و "برام" (يوجد بفراطاسة جنوبي معسكر جبل باسم ابرام أيضا، وهو معروف و أكد هذه التسمية، الشيخ المهدي البوعبدلي في هامش له على إحدى صفحات كتاب " الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني " لابن سحنون الراشدي الذي قام بتحقيقه رحمه الله)، فهل اسم " ابرام " أصله " بهرام" الذي هو الميرخ في اللغة الفارسية؟ (أنظر ابن يوسف التيفاشي " سرور النفس بمدارك الحواس الخمس " ص 307، وأنظر أيضا الأب رفايل نخلة الياسوعي في كتابه " غرائب اللغة العربية " ص 220 ط 1984)، وبما أن الميرخ احتل مكانة في المعبودات القديمة، فهل كان هنا أيضا محل اعتقاد ما عند السكان القدامى؟ نقول بهذه الفرضية دون أن ننسى الفارق غير المهم في بنية الإسمين (بهرام -برام)، وإذا اعتقدنا الإسمين (بهرام و برام) -رغم اختلاف بنيتيهما نوعا ما - يدوران حول مسمى واحد هو الميرخ، فهل يمكننا النظر إلى هذا الاسم على أنه من مخلفات الجاليات الآسيوية التي تحدثنا عنها في الهامش 14 من الفصل الثاني من هذا الكتاب ؟

و يضاف إلى الجبلين المذكورين، جبيل "تالبونة" (أو/ تل بونة / أو تل بونا)، الذي لاتزال دلالة اسمه تبعث على الحيرة ، وكلمة " تل " ( خارج العربية ) تأخذنا مباشرة إلى معجم الشام الجغرافي بمفهومه الواسع بما فيه فلسطين، ( تل كذا/تل كذا) فهل كلمة " تل " تحمل نفس المعنى هناك وهنا أم أن الأمر يتعلق بلغتين لكل منهما معناها؟ إنها أسماء يحكمها قانون الانتقال (الغامض والمغلق) عبر الأجيال، كما لو أنها طرود مجهولة المحتوى يسلمها كبيرنا إلى صغيرنا دون أن يعلمنا معا ما تحتوي عليه وهكذا، ومع ذلك لم تتم الإحاطة إلا بقليل من معاني بعضها، كجبل شماریخ (و الكلمة بمعنى الشياطين



في لغة بني ورسيفان، كما يقول البكري في كتابه " المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب " ص 189 ط 1965 " ومن العجيب أن هذا الجبل - كان إلى عهد قريب - محل أساطير، تجعل منه قاعدة للجن و الشياطين، حتى قيل إن الجن هي من يقوم بتسخين ماء حمام " عين ورقة " المعدني الذي يقع بسفح هذا الجبل مباشرة، كما وأن لكلمة الشماريخ في العربية علاقة لغوية بهذا المكان، حيث نجد أن الشمراخ (ج) شماريخ، هو رأس مستدير طويل دقيق في أعلى الجبل، وهناك من يُعرّفه اختصاراً بأنه رأس الجبل).

و لعل اسم جبل تانوت لم يكن بهذا الانغلاق، ولا علاقة له بالإلهة " تانيت " معبودة قرطاجة، كما كنا نتوقع في زمن ما، إذ هو يعني في الأمازيغية المحلية " البئر القريبة القعر"، يدل على ذلك وجود بئر فعلاً بقمة هذا الجبل حسب من عاينوه، هذا الجبل الأشم الذي شهد العديد من معارك أبطال جيش التحرير أبي الملازم " بيشو"، ضابط الشؤون الأهلية بعسلة إلا أن يطلق اسمه على كلبه الذي كان مدرباً على الفتك بالمتهمين بالانتساب إلى الثورة، فهل استهزاء هذا الطاغية كان يعني الجبل فقط، أم يتجاوزه إلى الاستهزاء بالإلهة قرطاجة (تانيت) ذاتها، و بالتالي بتاريخ المغرب العربي كله ؟

غير أن المحير لغويًا في هذا الجبل، هو الاسم الذي تحمله إحدى قممه وهي (طوظفا)، ونفهم من الاسم -في مستوى دلالي أول - أن أصله ربما (طيط) أي عين (فا)، أما إن تركناه على حاله المركّب فيتسع معناه إلى أكثر من دلالة، فقد تكون (طوط) هذه (توت)، وتوت تأخذنا إلى المعجم الفرعوني بل وإلى اسم الملك (توت عنخ آمون) ، و (توت) هو اسم شهر في التقويم الفرعوني أيضاً، لكن حتى في المعجم المغاربي القديم نجد الآداة " تو " أو " طو " في أول الأسماء ( طولقا) مثلاً، ومن ثمة فهل أن "تو" أو "طو" هي بمعنى بئر؟ مادامت قمة هذا الجبل تتوفر على بئر كما ذكرنا؟ وهل يُفكّ تركيب الكلمة "طوظفا" هكذا "طو" ثم "طفا" أم "طوط" ثم "فا"؟

وحسب التقسيم الأخير ف (فا) قد تكون ذات علاقة باسم (إيفا) الإلهة الإفريقية التي شمل الاعتقاد بها أكثر من منطقة، وهي عند دارسي الديانات الإفريقية تحمل صفة الإله أو النبي أو ما بينهما، (يُنظر بهذا الخصوص مقال في الكتاب الذي يتضمن وقائع المهرجان الثقافي الإفريقي الأول المنعقد بالجزائر سنة 1969)، لكن هذا لا يجعلنا نغير رأينا من أن هذه المصطلحات تكون ذات صلة باللغة المحلية القديمة، حتى وإن استقبلت هذه اللغة بعض الكلمات الدخيلة لسبب ما، ككل لغات البشر.

**من أبرز المعارك التي شهدتها جبل "تانوت" معركة الغنجاية في جوان 1958** ، ومن بين الأسماء المعروفة التي شاركت فيها، المجاهد حفيان عبد السلام الذي كان إبان الثورة برتبة رقيب أول، وهو من مواليد 1915.

ثم هناك جبل تامدة (والكلمة حسب العارفين بهذه اللغة، هي تحريف لكلمة تامديت التي تعني المساء، فهل هو جبل المساء على اعتبار أن قمته - بحكم علوها - تحتفظ بالشمس حتى قبيل المغيب بقليل)؟ وتامدة يوجد بكثرة كاسم مكان، في مختلف بلدان المغرب العربي حسب كتب الرحالة والجغرافيين.

**ومن بين المعارك الكثيرة التي شهدها جبل تامدة هذا، معركة جرت في 10 أبريل 1962** خاضها أربعون مجاهدا من كومانندو **06** تحت قيادة الملازم بن فراح الجيلالي، سقط خلالها ثلاثة شهداء لم يسترجع مصدرنا أسماءهم، وبلغت خسائر العدو الفرنسي **25** قتيلًا، وشارك في هذه المعركة من المجاهدين الذين لا يزالون على قيد الحياة السادة: حسني بن عامر، وراسمال الطاهر، وسعيدان لعرج، و سعيدي معمر، و عبدلي رمضان، و شعبان عبد الله المدعو عباس، و بوحلة بوعمامة المدعو طيرش طبعًا وهو مصدرنا في هذه الإفادات، ( عن مخطوط مذكرات المجاهد بوحلة بوعمامة)، كما أشار المجاهد حيتالة أحمد ( حيدة أبا) في مخطوط مذكراته، إلى عدة معارك جرت بتامدة أيضا، استشهاد في الأولى الشهيد حيتالة المجذوب ولد السقود في **1957** بالمكان المسمى " العنبة "، وأخرى تحت قيادة المجاهد زغلول، ومعركة ثالثة استشهاد فيها الشهيد بن قرع محمد في (الحجرة الطايحة) عام **1959** وتطرق مصدرنا إلى العديد من المعارك التي عرفها هذا الجبل الأشم لايتسع المجال لذكرها، وسنختتم الحديث بوحدة فقط جرت في **05** أبريل **1960** استشهاد خلالها الشهيد لرقط محمد بمنطقة وادي الخوخة (معركة أم القراف الشهيرة) رفقة **36** شهيدا آخرين.

(2) يقال إن بوداود كنية لسليمان بن أبي سماحة — **1461 - 1539**م — اشتهر بها، رغم أنه لم يخلف ولدا بهذا الاسم في حدود ما هو معروف، وقد أعطى كنيته هذا الجبل القريب من موطنه الشلالة فعُرف به، لأنه كان يتعبد فيه، وبالمكان المسمى "عين بوداود".

**تميز جبل بوداود** إبان الثورة، بعدة أحداث عسكرية، منها كمين نصبه ستة مجاهدين شرقي جبل بوداود هذا لكوكبة من الحركي فقتلوا منهم ثمانية (08)، واسترجعوا قافلة من الإبل قوامها خمسة جمال، بالإضافة إلى ممتلكات للمواطنين كان الحركي قد انتهبوها، كما سقطت أثناء الاشتباك عشرة أحصنة تابعة للخونة (عن مخطوط مذكرات المجاهد بوحلة بوعمامة)، **وسيدي سليمان** هو آخر جد مشترك للقبائل البوبكرية بالمغرب العربي، ( أولاد سيدي أحمد المجذوب، و أولاد سيدي الشيخ، و أولاد سيدي التاج ثم أولاد أنهار- من جهة ابنته لالة صافية، دفينة بلدة تيوت - )، وهو رجل علم وصلاح، انتسب إلى مدارس عديدة، ابتداء من كُتاب الشلالة - بضم الكاف - و انتهاء بجامعة غرناطة بالأندلس مرورا بمدارس فيقيق، إلى أن اصبح واحدا من هيئة التدريس بجامع القرويين بفاس، وقد نُسب إليه بلوغ مدينة مالقا، والمشاركة في قتال الإسبان ممن كانوا يحاربون المسلمين بالأندلس، بلغت شهرته شأوا منقطع النظير بالنسبة لبني عائلته، حين صار تلميذا روحيا لسيدي أحمد بن يوسف الملياني ( **1432 - 1525** )، بل و تبوأ مكانة أخرى بحيث أشار ابن مريم إلى جهده المعرفي في كتابه "البستان"، وهكذا، ولأن سيدي سليمان كان رجل علم ومعرفة، تناولته واهتمت به مؤلفات التاريخ والتراجم والبحث، تراجعت في سيرته تلك الهالة الميثولوجية (الأسطورية) و الغرائبية، التي غالبا ما طبعت الحكايات الشعبية وأسطرتها إلى أبعد الحدود، ودبجت بها حياة الكثيرين من الأعلام البارزين، (للمزيد عن حياة المترجم له، راجع ابن مريم في كتابه " البستان " ص **314** ط **1986**، ومحمد حاج صادق في كتابه "مليانة ووليها الصالح سيدي أحمد بن يوسف " ص **91** ، والدكتور أبقاسم سعد الله في " تاريخ الجزائر الثقافي ج **1** "، وخليفة بن عمارة في مؤلفه "

سيرة البوبكرية" ج 1، و عبد الله الطواهرية في كتابيه "شرح الياقوتة" ص 07 ، و "جامع التصنيف في أحوال حاضرة بني ونيف" ص 144 وما بعدها. وآخرين).

(3) اعتمدنا في أخذ هذه المعلومات، على الإفادات الشفوية، وقائمة المعارك التي أوردتها الصفحة الاليكترونية المسماة " أهم العمليات والمعارك بالعين الصفراء"، وهي صفحة أنشأتها دار الشباب - القصر - للعين الصفراء مشكورة ، ولو أن هناك عمليات ومعارك شهدتها المنطقة، لم تتضمنها هذه الصفحة، ونحن حين نتحدث عن عام 1959 - على الخصوص - فمعنى هذا أننا نتحدث عن فترة وُضع فيها مخطط الجنرال شال الجهنمي موضع التنفيذ (نتحدث هنا عن المخطط وليس الخط) وكانت أولى عملياته العملية المعروفة بـ "التاج" التي خصت سعيدة بمفهومها الجغرافي الواسع، مضافا إليها غربي جبل الونشريس وجبال الظهرة، الخ، وهي التي اقتضت خطة مواجهة من جيش التحرير تمثلت في التقليل ما أمكن من عدد أفراد وحداته تجنباً للخسائر.

(3 مكرر) هناك تضارب في مؤلفات الجزائريين بشأن مواقع خط شال، ففي الوقت الذي يشير فيه بعضهم إلى وجوده بالجهة الغربية فضلا عن الجهة الشرقية من الوطن، (كعلي نهاري في مؤلفه " سجل شهداء ومجاهدي الولاية الخامسة " ص 275/254 وغيره، وأصحاب الإفادات الشفوية)، يركز آخرون على إثبات وجوده بالشرق الجزائري فقط، مع تحاشي الإشارة إليه بالناحية الغربية عكس خط موريس الذي يجمعون على وجوده شرقا وغربا، وممن يقصرون الحديث عن خط شال على أنه يوجد بالشرق فقط، خذ مثلا جمال قندل في مؤلفه "خط موريس وشال"، وأنظر أيضا كلا من الكتابين: " فهرس شهداء الثورة التحريرية لولاية عنابة 1954 - 1962" إصدار جمعية وفاء لحماية مآثر الثورة التحريرية لولاية عنابة. ط 2004، و"السجل الذهبي لشهداء ثورة التحرير الوطني لولاية تبسة" إعداد المجاهد زايد نور الدين وغير ذلك، ومن ناحية أخرى جاء في مخطوط مذكرات الحاج أحمد حيتالة (حيدة أبا) بخصوص تأثير هذه الخطوط على الجهة الغربية ما يلي، أن الرائد عبد الوهاب قائد المنطقة الثالثة اجتمع بالشهيد محمد الشلالي قائد الناحية الحدودية (الثانية قبل إعادة الهيكلة) وذلك بجبل المالحة، حول كيفية التخفيف من آثار الحصار المضروب على المجاهدين في المنطقة الغربية من جبال القصور، و حضر الاجتماع أعضاء مجموعة الاتصال (بالشعب) التي تكونت في تلك الأيام من هرويني، و بوزيان العرباوي المدعو بولحية (من بني عقبة المشرية)، والامير لخضر، وحيثالة أحمد (صاحب المذكرات)، وليس هناك من تفسير لهذا الحصار إلا امتداد خط موريس الجهنمي الذي جعل الحصول على السلاح والذخيرة (من وراء الحدود الغربية) من الصعوبة بمكان، حتى أن المجاهدين - منهم حيدار الميلود - يربطون تحويل الوصاية العسكرية والتنظيمية لتلك النواحي والأقسام سنة 1960 من المنطقة الثامنة الحدودية إلى المنطقة الثالثة بهذا السبب.

(4) الوثيقة التي أرخت لمعركة جبل فوز، كتبها الشهيد حيدار إبراهيم، المعروف بالطالب إبراهيم، وهي بخط يده رحمه الله، (أنظر نبذة عن حياته في باب التراجم من هذا الكتاب، وأنظر نسخة من الوثيقة مزودة بشرح أعلاه).

(5) من أبرز هؤلاء الأسرى الذين لا يزالون على قيد الحياة، أولا: المجاهد عبد الكريم قدوري الذي سمعنا منه مباشرة في لقاء لنا معه أثناء زيارتنا رفقته لمكان معركة جبل فروز، وكانت هذه الزيارة يوم 20 سبتمبر عام 2012 (حيث أُقيمت ندوة هناك لإحياء الذكرى الثالثة والخمسين لاستشهاد الشهيد الإفريقي)، والحاج عبد الكريم ينتمي إلى قبيلة أولاد سي التاج، وهي قبيلة قائد ثورة الجنوب الوهراني الشيخ بوعمامة.

وثانيا: إفادة السيد قنيفيدة، وهذا اسمه الثوري توفي منذ سنتين خلنا، وقد بلغتنا إفادته

لحظة الوصول إلى سفح جبل فروز يوم

20 سبتمبر 2012 لإحياء الذكرى

ال 53 لاستشهاد الشهيد الإفريقي.



بواسطة السيد حيدارالحاج بلحيا، وثالثا:

إفادة المجاهد القراري عبد القادر الذي كان قد اعتقل في جبل بولغفاد، وجرى به إلى معركة فروز لاختلاء القتلى، حيث أفاد بأنه شارك في نقل ستين قتيلًا من الجنود الفرنسيين بالتمام، أما الجرحى فقد تجاوز عددهم الإحصاء، أو قال إنه لم يقم بإحصائهم، (إفادة السيد القراري عبد القادر نقلها لنا ابن أخيه السيد القراري محمد في لقاء جمعنا به بمدينة المشربية يوم 26 فبراير 2015).

(6) **عسلة**: كلما ذُكرت عسلة إلا وتبادر إلى الذهن المثل الشعبي القائل: "حوض على عسلة وواديها المالح" )

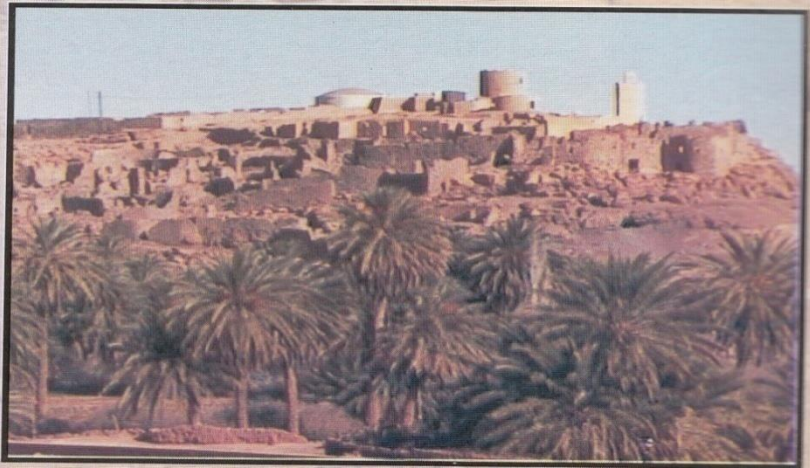
أي عليك بعبور عسلة وواديها المالح)، وبالفعل فعسلة كانت محطة على طريق فرعي شمالي/ جنوبي، يوصل المسافر إلى جنوبها، أي إلى الطريق الرئيسي الذي يؤدي إلى الشرق، وهو طريق الحج الممتد من الغرب على النحو الآتي، ((فيقيق بجنوبي المغرب - بوسمغون - أربة - الغاسول - عين ماضي - تاجمونت الأغواط - برج الغيران - سيدي خالد - بسكرة - سيدي عقبة - و أخيرا توزر بتونس))، عن مولاي بالحميسي " الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني" ص 25 ط1981، وهي الحواضر التي مر بها أثناء عودته من الحج الرحالة المغربي أبوسالم العياشي، ثم عددها في رحلته المشهورة "ماء الموائد"، ولعل وجود "عسلة" خارج هذا المحور، جعل اسمها لا يتردد لدى الرحالة و المؤرخين القدامى، كما هو الحال بالنسبة لبلدتي " أربة"، و "بوسمغون" مثلا بحيث لم يتطرق إليه منهم إلا يحي بن خلدون في "بغيته"، لأن السلطان الزياني أبا حمو الثاني، سلك هذا الطريق الفرعي جنوب / شمال، الذي نتحدث عنه.

فصاحب المثل، كأنما كان يدعو سالك هذا الطريق الفرعي، إلى المرور بعسلة حتما، حيث توجد عين ماء عذبة، لأنه سيخوض غمار السفر عبر منطقة تتميز بملوحة الوادي على امتداد هذا الطريق الفرعي جنوبا، ولعل كلمة عسلة ذاتها هي اسم للعين، وقد جاءت للمبالغة في العذوبة بالقياس إلى طبيعة بيئتها المتسمة بالملوحة بحيث لا ماء حلو بها، إلا

بتلك العين التي لاتزال هناك حتى الآن، وقد أخذت عدوية مائها صفة العسل في ذوق الشارين، بالنظر إلى بقية المياه الملحة بجوارها، ولعل الاسم الذي أطلقه البعض على هذه العين وهو "عين العزلة" بالزاي بدل السين، جاء تحريفا لاسم عين عسلة، وهناك من يسميها عين سيدي أحمد المجدوب لعلاقة هذه الشخصية بها كما سنرى.

و على أية حال سيظل هذا مجرد استنتاج فحسب، ولنخرج من التاريخ الظني إلى بعض المقارنات حتى ولو في غياب المصادر، فنتوهم لبنية الاسم علاقة باسم منطقة "عسلار" (د. الطاهر العدواني)، أو " اسلار" ( تاريخ إفريقيا العام ج 1 ) اللآثرية الواقعة بدولة مالي المجاورة قريبا من الحدود الجزائرية، وبالذات في "وادي تيلمسي"، و لانقول إن النظر إلى عسلة ضمن اسماء معجم قديم كهذا يقتضي منها بالضرورة، عمرا ممتدا في التاريخ أكثر من عمرها المحتمل، مادامت هناك شواهد على قدمها لا ينقصها إلا البحث، مثل مقبرتها القديمة التي سبقت طريقة الدفن فيها الطريقة الإسلامية المعروفة من جهة، وباعتبار عسلة - ككل حواضر جبال القصور - توجد ضمن محيط اركيولوجي (أثري)، يزخر بالرسومات الصخرية التي تؤكد قدم علاقة الإنسان بهذه المنطقة من جهة ثانية، هذه العلاقة التي تحتاج إلى مزيد من البحث لمعرفة الأقوام الأوائل الذين تركوا نقوشهم على الصخر، وما إذا كانوا هم الجيتول أم آخرون سبقوا هؤلاء إلى هذه الأرض، و لايمكننا تتبع صيغ هذا الاسم في اللسانين العربي والأمازيغي، لأنه سيقودنا إلى حقول من الأسماء الكثيرة و المتشعبة، وبصيغ متنوعة أيضا، و تجنبنا للخوض في ذلك، سنكتفي ببعض الأمثلة، كاسم (أصيل) الذي هو اسم علم أنثوي بالأمازيغية (أنظر المجلة الإفريقية العدد 49. 1905 ص 144)، واسم "اعسلان" وهو اسم مكان بالشرق الجزائري، ثم هناك اسم (عسلة) بالذات، الذي هو اسم عربي قديم، بحيث كان شائعا في اسماء النساء منذ العصر الجاهلي (راجع " المفضليات " للمفضل الضبي. ص 278). أما إذا بحثنا عن بلدة عسلة بين دفتي التاريخ المدون، فسنجد لها اسما قريبا من هذا، كانت معروفة به في العصر الوسيط، هذا الاسم هو "عين العسل"، هكذا وردت في كتاب المؤرخ يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" ص 464 ج 2 ط 2007، حيث أشار إليها هذا المؤرخ، وإلى عدة مناطق محيطية بها، " كمصران"، و " ثنية الرملة"، و " مسيف"، و حواضر أخرى في جبال القصور، كآرية و بوسمغون وأبيض عنتر ( البيوض حاليا ) و غيرها، وذلك حين كان يتحدث عن الأماكن التي مر بها السلطان الزياني أبو حمو الثاني، أثناء تنقله بعد أن كان ملاحقا من قبل قوات السلطان عبد العزيز المريني (المغربي)، وذلك عام 773هـ 1371م، إثر سقوط تلمسان من طرف هذا الأخير، **وتنقسم** الأطوار العمرانية التي مرت بها عسلة - في حدود اطلاعنا - إلى ثلاثة أطوار، أولها طور المنطقة المعروفة بـ " جطي و"، وقد تميزت ببعض الخصائص منها، وجود مغارة يقال إنها ذات عمق أسطوري لا يحدد امتداده شمالا، وإذا صح ذلك فلعله من بين الأسباب التي جعلت السكان الأوائل يقيمون حولها مساكنهم للجوء إليها عند الحاجة، وحسب الأناسين ( الانثروبولوجيين)، فإنه كان للمغارات وظائف عدة في حياة الإنسان القديم، منها حتى الوظيفة الاعتقادية (أنظر د. محمد الصغير غانم " الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا . ص 24 ط 2005)، ثم وجود ضريح سيدي أحمد المجدوب بنفس الضفة الغربية - لواحة الوادي - التي تتواجد بها آثار هذا العمران القديم، فهل معنى هذا أن الرجل ربما مات، وعسلة لاتزال في طورها هذا؟، نقول بهذا لولا أن البنابات بالجهة الشرقية تدل هي الأخرى على قدم الطور العمراني الذي سميناه الطور الثاني (طور صامر)، فهل كانت عسلة في طورها هذا حين فضل سيدي أحمد المجدوب وزوجته الإقامة بالجهة الغربية بعيدا عن السكان بهدف الخلوة والتعبد؟ هذا وارد أيضا، إننا نجد بالضفة الغربية ذاتها، وقريبا من بقايا قصر "جطي و" آثار السكن المعروف بدار السيدة أم كلثوم ( لالة أم كلثوم)، وهي زوجته الفاضلة، ووجود آثار سكنهما بمنحدر "جطي و"، يدل على أن المكان اختير للقيام بعدة وظائف،

منها إشاعة الحماية الروحية للسكان - حسب اعتقادهم طبعاً- وضمان الحاجة إلى الخلوة التي تتطلبها حياة الزهد من الزوجين، ثم سهولة التزود بالماء، والانتفاع من غلل الواحة التي يكون السكان يقدمونها لهما إجلالاً وتكرماً، حيث يقع السكن بين عين الماء والواحة بالأسفل من جهة، و مساكن قصر "جطي و" بالناحية العليا من جهة أخرى إذا كان الرجل قد عايش الطور الأول من عسلة، وإذا كان عاصر الطور الثاني منها، فإن هذه الوظائف تبقى قائمة حتى في حالة ما إذا كان السكان مستقرين بقلعة "صامر"، وسيدي أحمد المجدوب مقيم بإقامته بالناحية الغربية من الوادي لكن يبقى سؤال،



### "صامر" "عسلة" الطور العمراني الثاني، طور "مرتفع صامر" بأعالي واحة النخيل..

هو لماذا اقترن هذا المنزل -وحتى اليوم -باسم "لالة أم كلثوم" بدل اسم سيدي أحمد المجدوب؟ عكس منطق التقاليد المرعية في الوسط المحلي، التي تقتضي أن يستدل على المنزل أو الخيمة باسم الرجل وليس باسم المرأة؟ ربما يعود الأمر إلى طول انقطاع سيدي أحمد المجدوب في خلواته للتعب، بحيث لم يكن يوجد بالمنزل عادة إلا السيدة زوجته الفاضلة، فاقترن المنزل باسمها هي، هذا إذا لم يكن المنزل قد أُقيم للسيدة بعد وفاة زوجها فاقترن باسمها، وعكس ضريح سيدي أحمد المجدوب الكائن بالضفة الغربية من واحة الوادي كما أسلفنا، تتواجد أضرحة ابنه التومي وحفدته، سيدي بولنوار وأحمد بن بولنوار، و آخرين مثل سيدي العنتري، (هناك ابن لسيدي أحمد بن يوسف يحمل هذا الاسم؟)، و سيدي بوزار وغيرهما، بالإضافة إلى ضريح - قيل إنه الأقدم - لسيدي الحاج بن بوداود (ينتمي إليه أولاد بوداود)، هذه الأضرحة كلها على الضفة الشرقية من واحة الوادي، حيث يعلوها - أي الأضرحة - شمالاً قصر "صامر" الذي يمثل عسلة في طورها العمراني الثاني، المتميز ببقايا مسجده العتيق (يقال إنه يعود إلى القرن 16 م)، وبأزقته الشبيهة بالقصبة، ثم بضخامة الحجارة التي بُنيت بها المنازل فيه غالباً، ولعل كلمة "صامر" تعني مكان الندوة، أو مكان السمر كما تثبت ذلك واجهة القصر المفتوحة على الهواء الطلق، المخصصة لجلوس مشايخه من كبار السن يوم أن كان أهلاً بالسكنة، وربما كانت كلمة "صامر" أمازيغية، إذ تحملها أمكنة كثيرة خارج جبال القصور هذه، منها مثلاً "اسامر" (بجيغل) و "تسامرت" (بياتنة) وغيرهما، وهناك من يفيد بأن أصلها "تسامرت"، وهي تعني الواجهة المخصصة للجلوس المقابلة للشمس، وهذه بالضبط هي التي كانت وظيفة هذا المكان "بعسلة" على أيام طفولتنا، ولعلو هضبة هذا القصر "أي قصر صامر"، استغل المحتل الفرنسي قمته فاتخذ بأعلاها ثكنة عسكرية، ومكتباً للمصالح الإدارية الاختصاصية SSA، ومساكن للحركي (أعوان الاستعمار) وحظيرة لخيولهم، وذلك بعد أن كانت ثكنته الأولى التي أقامها في أول الأمر شرقي البلدة، ضمن الكثبان الرملية قد تعرضت لهجوم من طرف جيش التحرير الوطني.



أما الطور العمراني الثالث فهو عسلة الحالية، ولا يمثل أي إشكال تاريخي باعتباره من بنايات العصر الحديث.

وهكذا أصبحت عسلة هي البلدة التي فضّلت شخصية في قامة سيدي أحمد المجذوب (عاش حوالي 1490 - 1570) المقام بها، إلا أننا قبل الحديث عن هذه الشخصية، نريد التنبيه إلى أن هناك من يلتبس عليه الأمر، فيخلط بين سيدي أحمد المجذوب البوبكري هذا، ابن سيدي سليمان بن بوسماحة، وعم العارف بالله المعروف سيدي الشيخ (عبد القادر بن محمد)،

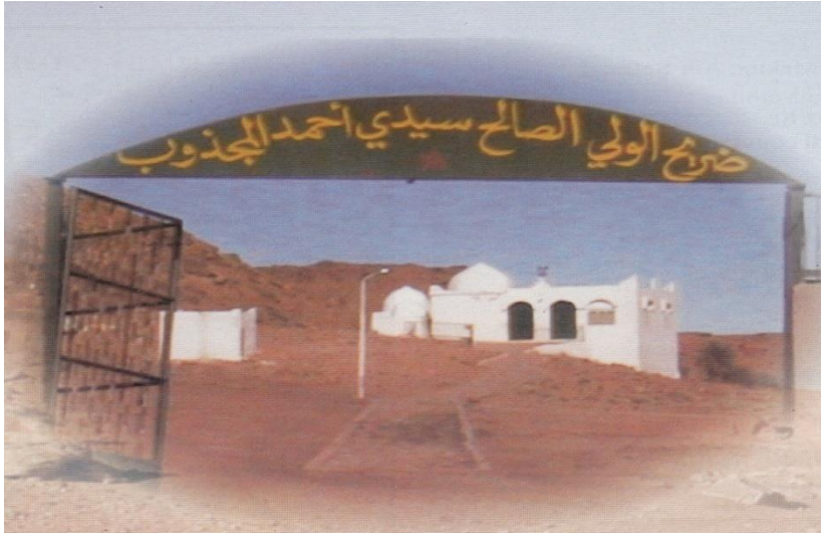
وسيدي أحمد المجذوب الزموري، دفين " جبل ماطر" (تونس)، وهو الأخر شخصية جزائرية ذائعة الصيت، وقد تحدث عنه الرحالة الحسين الورثلاني في رحلته "نزهة الأنظار"، (نقلا عن " من رسائل العلامة الشيخ عمر أبي حفص الزموري". ص 13) ولاندري إن كان الزموري هذا هو



سيدي أحمد المجذوب الذي قيل إنه بلدية سمعون ببجاية، أم أن الأمر سيتعلق بشخص ثالث يحمل هذا الاسم، وإذن فشخصية سيدي أحمد المجذوب البوبكري، هي الشخصية التي ارتبطت بعسلة في حياتها، ثم ارتبطت بها عسلة بعد مماتها، ففي حياة الرجل كان ذلك الجو

الروحاني الديني الذي أضفاه عليها وجوده، أثناء حضوره أو مغادرته المؤقتة نحو خلواته المتعددة (بالمشعر الأبيض، وبعين ورقة وبغيرهما، كما تتناقل الروايات)، أو أثناء مشاركته في شأن الجماعة غير ما مرة .

**ضريح سيدي أحمد المجذوب (الهضبة اليمنى التي تقع خلفه، هي هضبة "جطي و" التي تحتفظ بآثار بنايات الطور**



**العمراني الأول لعسلة (حسب الاعتقاد السائد حتى الآن طبعا إذا لم تثبت الأبحاث ما هو أقدم منه).**

أما بعد وفاته، فقد برز لتوثيق صلة عسلة به عاملان، هما زاويته ثم وعدته، فلقد عقب وفاته إنشاء زاويته التي يعود الإخباريون (ووثائق الزاوية) بتاريخ تأسيسها إلى زمن ابنه سيدي التومي، الذي شكّل نقطة تلاحم بين سكانها الأمازيغ وبدوها العرب، إلى درجة أصبح يُسمى إلى جانب اسمه الأصلي سي التومي، بأمقران (بمعنى الكبير)، فامتزجت في صيغ اسمه

لغتان عربية وأمازيغية، والتفت حول شخصيته اثنتان عربية وأمازيغية، بل إن الفرقة التي تنتمي إلى هذا الجد ، لا يُعرفون إلا بأولاد سيدي مقران، وإن نسبتهم إلى سيدي التومي لا يفهمك السامع غالبا.

وهي الزاوية التي قام على شأنها منذ ذلك الزمن، العديد من المقاديم لعل من أشهرهم، سيدي قدور بن بودواية، وعبد القادر بن المجذوب، وكان من بينهم إلى غاية أوائل الخمسينيات من القرن الماضي، عبد القادر بن إبراهيم ثم ابنه الشهيد بن سليمان حيدار (الإفريقي صاحب ملحمة جبل فوز)، ثم عمه سليمان بن إبراهيم ثم محمد البواب إبان الثمانينيات، وهو نجل هذا الأخير، وقد كانت هذه الزاوية مقر أول اجتماع، انعقد تحضيراً لثورة التحرير في هذه الجهة، كما تناولناه في بابه.

هذا وليس من الصدفة أن ينسجم تأسيس هذه الزاوية تماما، مع الزمن الذي رصد فيه المؤرخون ظاهرة انتشار الزوايا بوجه عام، وهو نهاية القرون الوسطى (راجع كتاب " الجزائر بين الماضي والحاضر" لـ " اندري برنيان وآخرين، ترجمة رابح اسطنبولي ومنصف عاشور. ص 119 ط 1984"، وكذلك شارل اندري جوليان - تاريخ إفريقيا الشمالية ج 2، ترجمة محمد مزالي و البشير بن سلامة) ، مع العلم أن زوايا أخرى سبقت هذا العهد إلى الوجود (أنظر أيضا حسن إبراهيم حسن " تاريخ الاسلام" ج 4 ص 401 ط 14 ) . أما وعدة سيدي أحمد المجذوب، فهي عيد سنوي دائم الحضور منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، يقام كلما حل منتصف شهر أكتوبر من كل سنة، وقد أسسها جيل الأجداد آنذاك، في حدود إمكاناتهم، وظروف اجتماعهم كسكان بادية، هذه الظروف التي لا تتاح إلا بعد انقضاء فصل الصيف حيث انتهاء رحلة الشمال، و قبيل رحلة الشتاء إلى الجنوب، وحسب إحدى وثائق لجنة الوعدة التي زدنا بها السيد حيتانة الحاج الميلود رئيس البلدية الأسبق، فإن وعدة سيدي أحمد المجذوب، كانت تقام بشكل تغلب عليه الصدفة كواجب كفاية، لا يقتضي مشاركة إلا من تمكن من هذه المشاركة ماديا، إلى أن تحدد موعدها، وتنظيمها بالشكل الذي توجد عليه الآن، وذلك ابتداء من عام 1904، و من الأعلام البارزين الذين وفدوا على عسلة و قضوا معظم حياتهم بها،

. الشيخ الحاج أحمد بن عبد الرحمن، وهو من علماء الدين الذين استوطنوا البلدة مع منتصف القرن الماضي ، كان حجة في الفقه والنحو (علوم اللغة)، يحفظ مختصر خليل بن إسحاق عن ظهر قلب كعادة خريجي معاهد الجنوب، جلس للتدريس و الإفتاء، فتخرج على يده نخبة من حملة كتاب الله في ذلك الوقت المبكر، سرعان ما أصبحوا أئمة ومدرسي قرآن، شغل منصب إمام لعدة مساجد بالمنطقة منها عسلة والعين الصفراء ( قصر أولاد سيدي بوتخيل)، ثم الشلالة الظهرانية ثم عسلة ثانية، وكذلك فعل الإمام سي محمد بن عبد القادر السعيدي الذي ينتمي إلى أولاد سعيد جنوبا، وهو المشهور بجودة خطه، وكان لنا شرف الجلوس إلى دروس الرجلين الجليلين في عهد مبكر من حياتنا،

مشهد من موسم (وعدة) سيدي أحمد المجذوب (الحشود في حالة تحفز جماعي لحضور الحلقة الختامية الكبرى حلقة التضرع وطلب القبول ثم مغادرة عسلة).

وهناك العالمان الجليلان اللذان أنجبتهما قبيلة أولاد سيدي أحمد المجذوب وهما، الحاج أحمد راسمال (نزيل سعيدة ودفينها)، و الحاج سليمان بومخيطة ( نزيل بوسمغون ودفينها)، درس كلاهما في مدينة فيقيق المغربية الجنوبية، وكان الأول من الوجوه الأولى التي قامت بالتحضير للثورة التحريرية بمنطقة عسلة منذ أيام بوشريط كما أسلفنا، كما تقلب في عدة مناصب هامة ضمن وزارة



الشؤون الدينية بعد الاستقلال مديرا للشؤون الدينية - عضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى - عضوا للجنة الإفتاء. (الخ)، وفضلا عن أن مصدر دراستهما كان واحدا، فقد اشتركا الرجلان (سي أحمد وسي سليمان) في ميزات أخرى منها توجههما الإصلاحية، ثم إنهما ظلا طوال حياتهما أفضل من تُشد إليه الرحال طلبا للفتوى في النوازل، والفقه والحديث واللغة (للتوسع أنظر حياة الشيخ الحاج أحمد راسمال في الكتاب الذي أصدرته مديرية الثقافة بسعيدة تحت عنوان "سعيدة معالم وأعلام).

(7) الشهيد مختاري الطاهر، كان له أخ هو الشهيد مختاري سي علي (لاحظ حياتيهما في الفصل الخاص بالتراجم) من هذا الكتاب.

(8) العين الصفراء: مدينة العين الصفراء، من الحواضر الشهيرة بالجنوب الوهراني، تقع ببلاد جبال القصور، وقد اكتُشف بها ما يثبت قدمها، ومن ذلك عادات دفن الميت بمعداته الحربية، يقول الأستاذ محمد الإبراهيمي الميلي في كتابه "الجزائر في ضوء التاريخ" (ص 26) ((ونظرا إلى أنه قد وقع العثور على السلاح في مقابر بجهات تقع في الجنوب مثل عين



الصفراء، فقد رجح بعضهم كون هذه العادة وردت من الصحراء)). و توجد غربها بلدة "الصفيفة" التي اكتشفت بالقرب منها آثار ديناصورات بالمكان المسمى بـ " تلال الجير"، أما من حيث اسم المدينة، فلا يتسنى الإحاطة به إلا ظنيا، كأن نقول إن للون الاصفرار علاقة بلون الرمال الوهاجة التي تحف جنوبي المدينة، وقد نزع من أننا قريبة من تلك الكتلان الرملية هي التي شكلت أساسا للتسمية، يعتقد أنها بدت كما لو أنها تبعث من وسط الرمال، أي من داخل الاصفرار، ثم هي مدينة سيدي بوتخيل، وسيدي بوجمعة، والثائر الكبير محمد ولد علي أسد جبل بني سمير، وأبطال كثيرين في عهود متلاحقة، كما لا ننسى أنها المدينة التي فضلت إيزابيل ابرهارد المقام بها، فمثلت العين الصفراء آخر محطات مغامراتها وتطوافها بعد أن استقرت بها، بل و تزوجت من أحد أبناء هذه المدينة، إن ابرهارد المرأة المفكرة و النشطة، الغربية

الأطوار، المتنكرة دائما في زي رجالي بدوي، لتذكرنا بغموض ودهاء لورانس العرب، لكن الجميل في حياتها، أنها كانت تكتب بحيث تركت كثيرا من المخطوطات، منها مؤلف "نحيب اللوز" الذي هو مختارات من قصصها عن عالم الصحراء السحري الذي اختارته عما سواه من أصقاع الأرض، **وإذا** تحدثنا عن التاريخ الحديث نجد هذه المدينة قد عرفت الوجود الفرنسي في وقت مبكر، فقد أصبحت العين الصفراء قاعدة عسكرية ثابتة بحيث تعاضمت أهميتها مع ثورة بوعمامة (1881)، وكانت مقرا لما كان يسمى بالمكتب العربي، و باشاغاوية، ويكفي أن الموقع الإستراتيجي للمدينة تطلب من فرنسا أن تعين به واحدا في ثقل المارشال البوتي ذاته هناك، و بالإضافة إلى مشاركتها في ثورة بوعمامة كقبائل المنطقة وسكان قصورها، اختصت العين الصفراء بكونها بلد الثائر محمد ولد علي، الذي ثار لمدة من الزمن بجبل بني سمير ضد الاحتلال الفرنسي (وهو من قبيلة العمور)، و في منتصف القرن العشرين شكلت مقر دائرة انتخابية امتدت من الشط الشرقي شمالا، حتى الحدود الجزائرية - المالية جنوبا، وتسمى " الإقليم العسكري للعين الصفراء "، أي أنها ضمت - بتعبير الخارطة الإدارية الحالية - ولايات، البيض، النعام، بشار، تندوف، وأدرار، أثناء الانتخابات التي فاز فيها المرشح الوطني الأستاذ باقي بوعلام عن حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (حزب الشعب سابقا)، مما يدل على تجذر الحركة الوطنية بهذه المنطقة وعدم خفوت روحها الوطنية، والعين الصفراء معروفة بمعتقلها الرهيب الذي أنشأته القوات الفرنسية بالمكان المسمى الدزيرة.

معتقل الدزيرة الرهيب سي السمعة.



(9) **بوسمغون**: تمثل بلدة بوسمغون الحالية خلاصة سبعة أطوار عمرانية (قصور)، لاتزال بقايا بعضها ماثلة للأعيان، وقد تتابعت عبر ضفاف الوديين، منها المندثر نهائيا ومنها الباقية أطلاله، وهي قصور أسسها إنسان هذه المنطقة و أقام بها تباعا لا يهجر القصر منها إلا تحت ضغط من فيضان أو انجراف خطير للتربة، أو دواع أخرى، والقصر الحالي هو الذي يقال إن الوالي الصالح سيدي (بوسمغون) أعطاه اسمه، وقد حاولت بعض الأبحاث الحديثة في مجال التعريف بهذا الرجل، أن تربط صلة ما بينه وبين رجل اشتهر بتفيا لالت (سجلماسة) يوم أن كانت إمارة صفرية، هو أبو القاسم سمجو بن واسول ( أنظر البكري)، وذلك اعتمادا على تقارب صيغتي الاسمين، أي أن صيغة اسم ( أبي سمغون) قريبة من صيغة اسم هذه الشخصية التي عُرفت هناك، بل وأسند إليها أمر هذه الإمارة عام 168 هـ، وهو جد بني مدرار أمراء سجلماسة، وهذا الاسم تداوله المؤرخون بصيغ مختلفة لكنها متقاربة، وهي (سمغو) و (سمكو)، و (سمجو). الخ، مع العلم أن



التاريخ يثبت وفاة أبي القاسم هذا بسجل ماسية، بل و يخبرنا بنسبه وبمدة حكمه (خذ مثلا أبا عبيد البكري في كتابه " المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب"، (لعله المصدر الأقدم في المسألة)، ولاحظ أيضا ابن عذاري في " البيان المغرب" ج 1 ص 156 وقد أسماه "سمغون".

ثم إن مؤرخي العصر الوسيط الذين تناولوا تاريخ سجلماسة - ومنهم ابن خلدون الذي ذكر بوسمغون كبلدة - لم يعتقدوا أي شكل من أشكال المقارنة بين " سمغو" هذا، وأبي سمغون دفين القصر المعروف باسمه، ربما لأنهم - وبكل بساطة - لم يروا أي وجه شبه بينهما، أو لم يتفطنوا لذلك، وأمام هذا الغموض يصبح من السهل على الباحث، أن يكتفي بأحد استنتاجين اثنين وهما: إما أن بوسمغون دفين البلدة المعروفة باسمه، ينتمي إلى قبيلة بني سمجون الزناتية البربرية، التي ذكرها الجغرافي الكبير الشريف الإدريسي مرتين، مرة ضمن قبائل البربر، ثم نص على أنها تحديدا من قبائل زناتة، و نعتقد أن هذا أقرب في الدلالة، سواء من حيث الاسم أو من حيث الانتماء الإثني أي العرقي، راجع كتاب " القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس "مقتبس من كتاب "نزهة المشتاق" للشريف الإدريسي، تحقيق اسماعيل العربي. ص 125 / 146 ط 1983. أو أن بوسمغون هذا الرجل المعروف (صاحب الضريح) هو أحد أحفاد " سمغو" سجلماسة" وقد استوطن البلدة، أما أن يقال إنه هو سمغو صاحب سجلماسة نفسه، فتاريخ وظروف وفاة هذا الأخير واضحة، ومؤكدة تاريخيا ولا تؤكد تلك الفرضية. أما من يذهبون إلى اعتبار "وادي الصفاح"، و" وادي الأصنام " اسمين قديمين لهذه البلدة فيجانبون الصواب لأنهما ببساطة اسمان عربيان، ولا يمكن أن يقترنا بها قبل مجئ العرب إلى المنطقة.

وقد أشار العلامة عبد الرحمن بن خلدون إلى بلديتي " ربا" و "بوسمغون"، واصفا إياهما بأنهما تعرضتا لهجمة تخريب، من قبل جيش السلطان عبد العزيز المريني، انتقاما منه لا ستقبالهما السلطان الزياني أبي حمو الثاني أثناء سقوط عاصمته تلمسان، وانسحابه إلى بلاد جبال القصور جنوبا، (العبر. ص 277 مج 13 )، بينما يخبرنا يحيى بن خلدون - وهو أخو الأول - أن قيطنة أبي حمو كانت قد تمركزت ببوسمغون، في قوله

((وسار منه إلى قيطنته كانت بقصر أبي سمغون، فوجد ولده المولى الأمير أبا تاشفين - أعزه الله - قد مرّ بها)). (بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد. ص 469 ج 2 ط 2007).

### جزء من القصر القديم قبل إعادة تأهيله



كما أن الرحالة المغربي أبا القاسم العياشي، خص بوسمغون في رحلته " ماء الموائد" بفصل هام، لأنه أقام بها يومين أثناء عودته من البقاع المقدسة (أنظر مولاي بالحميسي " الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني"، وإلى جانب كل ذلك، تعتبر بلدة بوسمغون مهد الولي الصالح سيدي أحمد التجاني، الذي هاجر إليها نتيجة خلافه مع الأتراك على ما

يقال، أو طلبا للعزلة كرجل زاهد متصوف، ثم انتقل منها إلى مدينة فاس بالمغرب، حيث توفي، وهو مؤسس الطريقة التجانية كما هو معروف.

و من مشاهير أبناء بلدة بوسمغون، الشهيد والكاتب المعروف الحبيب بناسي ( 1928 – 1956 )، وهو من مواليد مدينة المشرية، صاحب مؤلف " صرخة القلب"، ويقال إنه المؤلف الوحيد الذي تركه ( راجع د. شريط أحمد شريط في ( مباحث في الأدب الجزائري المعاصر)، و بناسي صاحب سيل من المقالات نشرها في الصحافة التونسية ( عن محاضرة للأستاذ مصطفى مقدم )، والحبيب بناسي هو ابن ثلاث مدن، فهو ابن بوسمغون نسبة وأصلا، وابن المشرية مولدا ومنشأ، وابن سيدي بالعباس فداء ونضالا ثم استشهادا، حيث استشهد بهذه الأخيرة يوم 15/ديسمبر 1956 ( في مرجع آخر أن استشهاده كان بمدينة تلاغ )، عن حياته راجع أيضا كتاب " أعلام شهداء وأبطال الثورة" لمؤلفه الدكتور عبد الله مقلاتي، إصدار وزارة الثقافة الجزائرية 2009. ص 88.

### جنود من القوة الفرنسية المتمركزة ببوسمغون أثناء الثورة



(10) أثبت المجاهدون رواة هذه المعركة، أنها أثناء وصول المجاهدين الثلاثة (الإفريقي و الطاهر وإبراهيم ) إلى جبل فزوز، كان هذا الأخير فعلا بصدد عملية تمشيط قررت القوات الفرنسية القيام بها في هذا اليوم، بل وبادرت بالتمركز ليلا بسفحة الجنوبي، وكان بالجبل مركز تابع لجيش التحرير هو المقصود بالعملية، ويقع هذا المركز بالجهة الشرقية من الجبل، وكان قد تعرض فجر هذا اليوم 1952/07/02 إلى عمليات قصف جوي نفذتها ثلاث مقاتلات فرنسية أقيمت من المطارين العسكريين للمشرية، و "اصليح" بالعين الصفراء، غير أن مسؤولي المركز كانوا قد انسحبوا قبل الغارة الجوية وهما المجاهدان، حفيان عبد السلام وأخوه حفيان التومي، وقد كان هذا المركز يغطي نشاط الثورة وتموينها بالجهة الواقعة شمالي عسلة، أي مدينة المشرية وضواحيها.



(11) اللفييف الأجنبي الفرنسي LEGIONNAIRES هو قوة عسكرية فرنسية، متكونة أساسا من المرتزقة غير الفرنسيين،

الألمان

بالهند

وسرعان ما

الأجنبي من

تسيطر

هذا اللفييف



أسس نواتها الأولى لويس فيليب سنة 1831، كانت هذه القوات قد واجهت خلال الحرب العالمية الثانية بدون طائل، وبعدها استدعت أربع كتائب منها للقتال الصينية ( 1946 - 1954 )، فانهزمت في معركة " ديان بيان فو " الشهيرة، سُلطت هذه القوة على شعوب المغرب العربي تريد إخضاعها، انتقل مركز اللفييف سيدي بالعباس بعد استقلال الجزائر فعاد إلى فرنسا وإلى جزر المحيط الهادي التي عليها هذه الأخيرة، ويتحدث الأستاذ مصطفى الأشرف عن انضمام عدد من أفراد

(وهم إسبان) إلى إحدى كتائب الأمير عبد القادر (أنظر مصطفى الأشرف " الجزائر الأمة والمجتمع" ص326. وفي نظرنا، فإن فكرة اللفييف الأجنبي ليست وليدة عقريية لويس فيليب، بل استلهمها من طغاة الاستعمار القديم، حيث كان الاحتلال الروماني قد أنشأ ما كان يعرف بـ القوات الإضافية الأجنبية CAHORS PANNONIOM. وقد شاركت هذه القوات خلال الاحتلال الروماني لشمالي إفريقيا، في إقامة خط الليمس الشهير الذي امتد من طرابلس الغرب (ليبيا) حتى طنجة بالمغرب غربا، مروراً بالأراضي التونسية والجزائرية، وذلك للفصل بين الأقاليم المحتلة شمالا، وبلاد الجيتول جنوبا، التي كانت تهاجم المواقع الرومانية، و الليمس نظام دفاعي قوي، يحتوي على ثلاثة عناصر أساسية، فوساتوم أي خندق ذي أسوار وحصون أو قلاع صغيرة الحجم، أُقيمت على الناحيتين الأمامية والخلفية، بالإضافة إلى عناصر محصنة معزولة،

فضلا عن شبكة طرق متصل مختلف المواقع ببعضها، إذن فخط الليمس نوع من التحصينات الحدودية، لأنه كان يحيط بالأقاليم المحتلة فعليا من طرف الرومان، ولا تزال بقاياها ماثلة لحد الآن، تجسدها (قلعة لوكي) غربي سعيبة، و آثار مدينة " لاميلياريا " جنوبي معسكر، وغيرها.

(12) المشرية: وهي من الحواضر الكبرى في الجنوب الوهراني وتقع بمنطقة جبال القصور، مر بترابها - أي بأبيض عنتر ( البيوض )، السلطان الزباني أبوحمو الثاني أثناء ملاحظته من طرف الجند المريني، بعد سقوط

عاصمته تلمسان على يد هؤلاء، وقد سجل ذلك مؤرخ بني زيان الكبير، يحي بن خلدون في كتابه " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد " ص 464 ج 2 ط 2007 .

و سبق للشيخ محمد بالكبير ( 1911 - 2000 م ) ، أن جلس بها للفتيا ، وتصدر حلقات تحفيظ القرآن الكريم، و تدريس الفقه والتوحيد لمدة طويلة ، وتخرج على يديه هناك كثيرون من طلبة العلم، وعلاقته بالمشرية معروفة، (أنظر عبد الله طواهرية " جامع التصنيف في حاضرة بني ونيف" ص 176 ط 2006)، ومن أبناء المشرية الشيخ محمد العربي تيمنيط وهو شخصية معروفة علما وورعا ووطنية، و من أبناء المشرية الوطني الكبير عبد القادر بالقصير(1900 - 1967 ) المشراوي أصلا، السعيدي دارا ( انتقل إلى سعيبة) كان قد عُين منسقا لمقاطعة حزب الشعب الممتدة آنذاك من ولاية معسكر شمالا إلى القنادسة (ولاية بشار) جنوبا، ( عن كتاب: "سعيبة معالم وأعلام"، إصدار مديرية الثقافة لولاية سعيبة ).



### (13) الشلالة: في جبال القصور، شاللتان: الشلالة الظهرانية و

الشلالة القبيلية، هل جاء اسم الشلالة من الشلال فقط؟ قد يكون بكل هذه البساطة و دون أن يحتملنا عناء البحث، لولا



أن الأمر يطرح بعض الإشكالات، حين نعلم أن هناك ثلاث بلدات أو أربع وربما أكثر، حملت هذا الاسم، ومنها الشلالة الظهرانية ثم قصر الشلالة بضواحي تيارت، وأيضا شلالة العداورة. الخ، مما يدعوننا إلى مزيد من التريث، لأن هذا الاشتراك في الاسم لم يات صدفة، كما لا ينبغي أن نقول بأن هذه البلدات كلها حملت نفس الاسم لمجرد ارتباط مواقعها جغرافيا بشلالات مياه، فما أكثر البلدات المجاورة لشلال ما دون أن تتخذ منه اسما، و حتى نقترّب من حقيقة اسم الشلالة، سواء الشلالة هذه أو

الشلالات الأخرى، علينا أن نطرح مسألة لعلها ستشكل مادة للبحث في المستقبل لدى من يريد التعمق، وهي أن هناك قبائل بربرية عاشت في مصر على أيام مؤرخ الأنساب المصري القلقشندي، تحمل أسماء محلية، منها " اشلال " (بكسر الالف الأولى)، و لعل منها " الشلالة "، كما ذكر هذا المصدر " الساوره " و " واكده " جاء ذلك في كتابه ( فلانند الجمان )، وهذا شبيه بما يكاد يشكل اتفاقا بين الباحثين المصريين على أن كلمة (سوا) - بكسر السين - وهو اسم قبيلة موجوة في مصر منذ القدم، هي أصل كلمة الشاوية، القبيلة الأمازيغية المعروفة، مع العلم أن سكان المنطقة المعروفة بهذا الاسم في مصر يتكلمون هذه اللغة حتى الآن حسب بعض المصادر، والتاريخ يخبرنا عن هجرات متتالية اتجهت في عصور مختلفة من منطقة المغرب العربي إلى مصر، سواء في العهود اللبوية القديمة أو في العهد الفاطمي، ومن الطبيعي أن يحدث هذا التفاعل بين منطقتين متجاورتين، وجاء في " العبر " لابن خلدون قوله : (( أما زناتة، فهم من بطون لواتة وذكروا أن منهم بأرض مصر والصعيد كثيرا)) العبر ج 11 ص 77. فهل أن قبيلة اشلال، هي التي أعطت هذه الشلالات الثلاث أو الأربع عندنا اسمها، قبل أن يهاجر بعض أسلافها إلى مصر؟ هو سؤال يبقى مفتوحا لمزيد من البحث على كل حال، وحسب المعلومات التي بين أيدينا، فقد مرت الشلالة الظهرانية بطورين عمرانيين بارزين، الطور القديم الباقية معالمه لحد الآن، والطور الثاني أي الحالي، وقد زارها سيدي أحمد بن يوسف الملياني، و أقام بها لمدة، و قيل إن ابنته توفيت بها، فقال كلمته المشهورة: " الشلالة شالتي تركت بها بنتي ونعالي"، ( للتوسع أنظر محمد حاج صادق في كتابه " مليانة ووالها سيدي أحمد بن يوسف " ص 80، ونشأ بالشلالة الظهرانية (أو بضواحيها)، سيدي سليمان بن بوسماحة، وولده سيدي أحمد المجذوب، وسيدي محمد بن سليمان والد سيدي عبد القادر بن محمد (سيدي الشيخ). ( أنظر الهامش الثاني أعلاه)، وقد أنجبت الشلالة واحدا من فحول الشعر الملحون الجزائري، بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، هو سيدي أحمد الشلالي أو أحمد بن الشلالي، وهو علم معروف كمتصوف وكشاعر غزل، لكن شهرته اقتصر على الجنوب الغربي الكبير الجزائري، أكثر منها في منطقتها التي ولد فيها، لأنه انتقل إلى الجنوب وهو ابن 18 سنة، ثم رحل إلى تونس - حسب الرواية - ليعود إلى توات فيقضي بها معظم حياته، ولا تزال قرى بأدرار و مدن كالمنيعة و توات و عين صالح، تردد أشعاره الدينية و الغزلية ( له خمسون قصيدة دينية معروفة)، بل وهناك نوع من الألحان المدائحية يسمى الشلالي نسبة إليه، أقول ثم عاد مترجمنا إلى بلده الشلالة، فمكث بها مريضا وقد بلغ من العمر خمسا وتسعين سنة، أي في أواخر حياته، غير أن مكان وفاته غير معروف كما قال الراوي. (من تحقيق للتلفزة الجزائرية الرسمية حول الرجل). ويذكر الأستاذ عبد الله طواهرية، شاعرا يدعى الشلالي، و لاندري مدى علاقته بالشلالي الذي ذكرناه، هل هما شخص واحد أم اثنان؟ يقول المؤلف في تعريف السيد المازوزي بن بوداوية، بعد أن يتحدث عن نسبه و عمن عاصروهم من المشاهير: ((خلف ولدين، السيد الشلالي الشاعر الشهير. الخ)). (راجع عبد الله الطواهرية " جامع التصنيف في أحوال

حاضرة بني ونيف " ص 160 ط 2006. **وتحدث** المصادر عن معركة كبرى وقعت بالشلالة في شهر أفريل سنة 1866 قادها عن الجانب الفرنسي الجنرال دي كولومب ( وهو الذي أعطت القوات الفرنسية اسمه لسجن أقامته بشار فأصبحنا نقول معها كولومب - بشار). ومن أبناء الشلالة الظهرانية المعاصرين، المجاهد المعروف الراحل جبري عبد الجبار، وهو رفيق الطالب إبراهيم (حيدار إبراهيم) في جيش التحرير، الذي علمه مبادئ اللغة الفرنسية، في حين علمه إبراهيم مبادئ اللغة العربية (والرواية للسيد حيدار الميلود)، شغل الراحل عبد الجبار خلال الأعوام القليلة الماضية، منصب أمين عام لولاية بشار إلى أن توفي.

(14) الرواية الثانية هي التي تفيد، بأن **معركة فزوز** نشبت صباحا، وأن الإفريقي استشهد حوالي الساعة الثانية زوالا، قال بها كل من الحاج بلحيا حيدار، الحاج بحوص حيدار، أحمد حيدار بن محمد، حيدار الشيخ ولد المجدوب و الحاج قدور راسمال وآخرين، و منهم من بلغته هذه الرواية سماعا، أما المعترضون القائلون بالرواية الأولى (رواية الساعة الرابعة وما ترتب عنها)، فيتعلق الأمر بوثيقة الطالب إبراهيم المكتوبة، وحجج الحاج عبد الكريم قدوري الأسير الذي كان شاهد عيان حيث أوضح أن القصف الجوي سبق المعركة فعلا، وربما سبقها إطلاق نار عشوائي من قبل الجيش الفرنسي قبل عثوره على المجاهدين، كما يحدث في عمليات التمشيط عادة، وهو ما اعتقد البعض أنه بداية نشوب المعركة، لكن تبادل إطلاق النار فعليا بين الطرفين، لم يحدث إلا ابتداء من تمام الساعة الرابعة مساء، لاحظ أيضا أن رسالة تأبين الشهيد الإفريقي التي أرسلت بها الناحية، تفيد بأن المعركة دامت ست ساعات (أي ليس أربع ساعات ونصف)، ومعنى هذا أنها ابتدأت على الساعة الثانية زوالا وليس الرابعة، وتتفق رسالة الناحية مع وثيقة الطالب إبراهيم في أن الإفريقي استشهد على الساعة السادسة مساء.

(15) وما دمنا نتحدث عن الضلع الشاغر، فإن الأمانة تقتضي منا أن ننبه إلى أنها من استنتاجات المجاهدين الأحياء بناء على ما أوحى به إليهم موقع المعركة فحسب، أما الطالب إبراهيم فلم يُرو عنه كلام في الموضوع، ولا أشار في وثيقته إلى هذا المكان الشاغر لا من قريب و لا من بعيد، عكس الهدنة التي فهمناها من كلامه عن وقف العدو لإطلاق النار معبرا عن ذلك بقوله (فارتفع القتال)، بل إن الوثيقة ركزت على اشتداد الحصار كما رأينا، اللهم إلا إذا كان كاتبها يعلم - نتيجة خبرته العسكرية - أن ترك جهة فارغة في ميدان المعركة (تلافيا لحدوث نيران صديقة)، شيء طبيعي في خطط الجيوش النظامية، فرأى أن ذلك تحصيل حاصل لا يوجب الإشارة إليه في الوثيقة.

(16) الكلمات الواردة بين هلالين في هذه الاستشهادات، دائما هي تصويب لغوي من طرفنا، وأيضا حين نشير بـ (كذا) فدليل على أن الكلمة التي قبل القوسين في النص ليست مستقيمة لغويا و إملائيا، ومثل هذا ليس تدخلا في روح النص بطبيعة الحال، لأنه طريقة معتمدة أكاديميا لدى المحققين، غايتها إبانة الكلام لا أكثر، هذا بالإضافة إلى أننا كتبنا هذه الوثيقة (رقنا) لنشر على حدة، بشكل يساعد على قراءتها ببسر، إلى جانب ثبتها الخطي طبعاً.

(17) أضفنا حرف (ما) الوارد أعلاه بين مزدوجين في هذه الفقرة، لتوضيح معنى الكلام فقط، سيما وأن هذا الحرف ينسجم مع السياق.

(18) كلمة (قابل) التي استعملها الكاتب هنا قد تعني (مقبل)، أو متجه إلى القبلة، وانسحاب الطالب إبراهيم كان فعلا باتجاه القبلة.

(19) تتطابق هذه الرواية - المنسوبة إلى الضباط الفرنسيين المشرفين على العملية، حين زعموا أنهم واجهوا فصيلة من جيش التحرير - مع ما ورد في صفحة الإلكترونية نشرتها دار الشباب - القصر - بالعين الصفراء، بعنوان "أهم العمليات والمعارك بالعين الصفراء" في مسألة عدد المجاهدين، حيث جاء فيها بخصوص معركة جبل فروز ما يلي: التاريخ 1959 (وهو صحيح)، قوات جيش التحرير: فصيلة (وهنا **المغالطة**، فقد كانوا ثلاثة أفراد فقط)، القوات الفرنسية: قافلة - طائرات (صحيح)، عدد الشهداء: اثنان (صحيح)، و إذ نشكر لهذه المؤسسة مبادرتها لأنها زودتنا على الأقل بتاريخ المعارك و الأمكنة التي جرت في المنطقة، إلا أننا ننبه إلى أخذ الحذر، حينما نتخذ الجانب الفرنسي مصدرا لمعلوماتنا.

(20) تاريخ ومكان استشهاد سي العربي حيدار، هما كما يلي: المكان: جبل عيسى، التاريخ: سنة 1960، يتطابقان مع معركة جرت إبان تلك السنة بهذا الجبل، كما ورد في قائمة المعارك بصفحة دار الشباب - القصر - العين الصفراء. (المشار إليها أعلاه). ومن جهة أخرى جاء في مخطوط مذكرات المجاهد الحاج أحمد حيتالة (المعروف بحيدة أبا) أن المجاهد حيتالة محمد ولد الناصر قد استشهد بمنطقة "الطبايق" قرب عين ورقة، رفقة الشهيد أحمد هرويني قائد مجموعة بجيش التحرير الوطني، وهذا الأخير يردد مجاهدو الناحية الشرقية من جبال القصور اسمه كثيرا، كعنصر فاعل في جيش التحرير رحم الله الشهداء، كما أورد المجاهد بوحلة بوعمامة في مذكراته بخصوص معركة أم الطبايق هذه، ما نختصره فيما يلي: يسميها مصدرنا أم المعارك وقعت في 26 أكتوبر 1960، كان عدد المجاهدين 46 مجاهدا من كومانندو 06 تحت قيادة الملازم الأول هرويني أحمد، سقط فيها عدد من الشهداء منهم: هرويني أحمد، وحيتالة محمد المدعو الناصر، و باقي سليمان، و قندوز عبد القادر، ودربال محمد المدعو قروز، و زرنة بوبكر، وفضيل محمد، ويذكر مصدرنا، مجاهدين شاركوا في هذه المعركة ولا يزالون على قيد الحياة وهم: سعيدي معمر، و سعيدان لعرج، ولوبار عبد الرحمن، و شريط بوفلجة، والعاقر أحمد، و زحزوح محمد (فريد)، و مالبيح عيسى الخ.

## هوامش الفصل الخامس:

المكتب العربي بالعين الصفراء، (أنشئ كأول مكتب إداري في مارس 1882) وبعد الاستقلال أعيد تأهيله لأكثر من مرة لأنه كان مقرا للدائرة، قبل إنشاء مقر جديد لهذه الأخيرة.



(21) أنشئت المكاتب العربية في فبراير 1844م، وكانت تُحصي على الجزائريين أنفاسهم بحيث ((كان ضباط المكاتب العربية تراقبهم (كذا) عن كثب، وذلك حين أدنى توتر يلاحظ في المناطق الجزائرية)). (أنظر الجيلالي صاري، ود. محفوظ قداش: "المقاومة السياسية 1900 - 1954. ص 219). وبعد مدة من الزمن تحولت هذه المكاتب إلى ما كان يعرف بمكاتب شؤون الأهالي (اندرى برنيان: "الجزائر بين الماضي والحاضر" ص 234 و 337). ولعلها أصبحت تعرف بمكاتب شؤون الأهالي بعد تعيين الدموي "دومينيك لوسيانى" مديرا عاما لها، وهو الذي اشتهر بنظرياته حول الأهالي ( مصطفى الأشرف " الجزائر: الأمة و المجتمع " ص 19).

أما خلال الثورة التحريرية، وبحكم تعزيز صلاحيتها الأمنية (استعلامات. استنطاقات. حجز. تعذيب، بل و موت تحت التعذيب بدون محاكمات حتى. الخ) وقيامها بالحرب النفسية، فقد أخذت هذه المكاتب اسم " المصالح الإدارية الاختصاصية" SAS ، ( هكذا ترجم المصطلح SAS من طرف نشرية كانت تصدرها القيادة العامة لولاية وهران التاريخية ( مصلحة. الاستعلامات. و الاتصالات)، وقد خصت النشرية هذا الجهاز الرهيب بأحد أعدادها أو أكثر حول " أخطاره و الوسائل المطلوبة لمحاربتة "لانتملك إلا نموذجا صغير الحجم منها". ( أنظر صورة الغلاف أدناه)، و قد مارست هذه المصالح، منذ أن كانت في مرحلة المكاتب العربية، بعض الشأن الاجتماعي المظهري كذر للرماد في العيون، ( صحة. تعليم. مساعدات رمزية. سكن. الخ)، رغم أن هذا التعليم كان موجها ((لصالح أقلية صغيرة جدا كرسست نفسها لخدمة المكاتب العربية)) (الجيلالي صاري. المرجع السابق ص 225. وهي (الاهتمامات الكاذبة) التي حاول الجنرال ديغول أن يعززها من خلال ما عُرف بمشروع قسنطينة الذي جاء به في أكتوبر من عام 1958 عملا منه على إغراء الشعب وإفشال الثورة المباركة.



جيش التحرير الوطني  
الجزائري  
= . =

جبهة التحرير الوطني  
الجزائري  
= . =

الأقسام الإدارية الاختصاصية

( الم ص )

= . =

أخطارها

= . = الوسائل المطلوبة = . =

لمحاربتهما

= . =

مصلحة الاستعلامات  
والاتصالات

القيادة العامة  
لولاية وهران

= . = القسم الإداري السياسي = . =

الاجتماعي  
الاقتصادي

= . =

صورة لغلاف  
وثيقة تمثل أحد  
أعداد نشرية  
داخلية كانت  
تصدرها الأمانة  
العامة للولاية  
الخامسة ( عدد  
خاص بكيفيات  
محرابة سياسة  
وأساليب  
الأقسام الإدارية  
الاختصاصية  
(sas)



(22) نقلا عن إفادة الحاج المازوزي حيدار وقد أكملناها بمعلومات في الموضوع، أفادتنا بها الحاجة ربيحة أرملة الشهيد حيدار الطاهر، وكلا المصدرين نقلا عن الشهيد حيدار إبراهيم. أنظر هذه المعركة أيضا برواية المجاهد بوحلة بوعمامة باعتباره شاهد عيان حيث شارك فيها.

(23) يُروى أن جدنا حيدار عبدالقادر بن إبراهيم ( 1884-1952 ) - وهو والد الشهداء ، الإفريقي و محمد والطاهر و إبراهيم و بحوص - حينما قررت السلطات الفرنسية إحداث نظام الحالة المدنية للجزائريين بالمنطقة سنة 1932، وأصبح لزاما على كل عائلة أن تتخذ لها لقباً يميزها و تعرف به، اختار السيد عبد القادر لقب " حيدار " تيمناً بحيدرة الذي هو لقب الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فاعتضت على اختياره هذا شخصية مرموقة من بطانة " المستاتور" (المتصرف المدني)، كانت على جانب كبير من النفوذ، بقولها لن أمكنك من ألقاب الصحابة، بل سألقبك " كيدار " ، وهي صفة تطلق عادة على الحصان غير المروّض، وذلك دلالة على تمرد هذه العائلة، وعدم انصياعها للإدارة الفرنسية، وأذيالها منذ ذلك الوقت.

و نحن إذ نورد هذه الحادثة، فذلك لأنها تفسر لنا ظاهرة استهدفت الجزائريين في أخص خصوصياتهم وهي المتمثلة، في تلك الألقاب (الوقحة المخلة بالحياء، الحاملة للمهانة والاحتقار)، التي ألصقت بالجزائريين للحط من كرامتهم ولجرح كبريائهم ، و التي كانت من صنع متفذي المكاتب العربية من القياد والباشاغات، ومن كانوا يسمون بـ "الخلفاء" من بطانة المتصرفين الإداريين، وما تنشره الجريدة الرسمية الجزائرية على مدار أزيد من خمسين سنة من الاستغلال، كمراسيم رئاسية تصحيحية استجابة لطلبات تعديل وتغيير الألقاب، إلا دليل على ما لحق الجزائريين من تشويه، وإهانة و إذلال حتى في ألقابهم، وهو ما لم يرتكبه أي استعمار آخر لا قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر ولا بعده، وعن سي عبد

**القادر** هذا روى لنا الحاج المجذوب بلحيا عن أبيه الحاج بحوص، أنه كان دائما يقول إنه سيأتي أمر يذهب بكل أبنائي ولا يُبقي إلا حفدي، وقد أتى ذلك الأمر فعلا، وهو الثورة التي استشهد فيها كل أبنائه الخمسة.

(24) من المعروف أن أبناء الشهداء والمجاهدين والملاحقين بوجه عام، كانوا يعيشون وضعية مدنية استثنائية، أساسها قاعدة الألقاب المستعارة (أي الانتساب إلى آباء وأمهات غير آبائهم وأمهاتهم تجنباً لاكتشاف حقيقتهم)، وقد ساعدت حالة الاضطراب (وعدم الضبط الدقيق) التي كانت تعرفها سجلات و عقود الحالة المدنية - لاسيما في الأرياف والبوادي - على استغلال هذه الثغرات من طرف الثورة إلى أبعد حد ممكن، وما الطفل محمد - الذي هو اليوم مؤلف هذا الكتاب - إلا عينة من تلك العينات، نتحدث عنها باختصار لنعرف مدى ما كان عليه الوضع، وما ترتب عنه أحيانا من مضايقات، فرغم أن المدرسة كانت تقع في منطقة عسكرية بحيث كان المعلمون جنودا عسكريين، يدرسون وهم يرتدون الزي العسكري الفرنسي، (بوليا. قريميني. جولي. بيكي. إلخ)، على الرغم من ذلك أقولها للتاريخ، فقد التزموا بمهمتهم التدريسية التزاما كليا ولم يتدخلوا في ما سواها إطلاقا، و لم يلاق منهم التلاميذ مضايقات كتلك التي واجهوها من موظفين جزائريين مع الأسف حاولوا أن يكونوا أكثر ملكية من الملك، ومثال ذلك أحد الموظفين الذي كانت له علاقة مهنية ما بالمدرسة (ليست مهمة تدريس على كل حال)، فحاول بكل إغراء وتخويف بالحرمان أن يصل إلى الاسم الحقيقي لوالد الطفل محمد (مؤلف هذا الكتاب)، نافيا أن يكون اسم والده هو حيدار المجذوب كما هو مقرر مدرسيا على اللافل، / ولحيثه لم ينطق الاسم الحقيقي لوالد الطفل ( الذي هو بن سليمان)، وكأنه كان يترك الطفل يبادر به من جانبه في لحظة ما ربما حتى لا يقال إنه لقنه إياه، أيضا أنه لم يستخدم مع الطفل أي تعنيف أو شدة، بل كانت له طريقة أخرى وهي أنه حرّمه من أمرين تأثر لهما الطفل فعلا، ليس لأهميتهما بل لأن حرمانه منهما جعله استثناء بين زملائه و تلاميذه المدرسة كلهم، هذان الشيطان هما،

صحن المطعم المدرسي، والكسوة (الثياب) المدرسية أثناء توزيعها أحيانا، فقد منعه من صحن (كالصحن التي كان المطعم المدرسي يوزعها على التلاميذ قبل الوجبة)، سامحا له بأن يأتي بصحن من منزله، ومعنى هذا أنه لم يمنعه من الأكل ولعله بذلك اختار أهون الضررين، الأمر الذي اضطر معه الطفل إلى الإتيان بصحن منزلي من زجاج كان مثار دهشة زملائه، لأنه يختلف مادة وشكلا عن صحنهم (صحن المطعم المدرسي) التي كانت من مادة إينوكس حتى ولو أنه من نوع تقليدي خفيف، لا كالأنواع التي نعرفها في زمننا، أما الكسوة المدرسية فقد حُرِم منها الطفل بصورة نهائية، ورغم ذلك لم يخضع بفضل تحذير العائلة، لاسيما الجدة و الشهيد حيدار المجذوب رحمهما الله، وتعويضهما حرمانه كطفل بكثير من الهدايا حتى لا يعير كلام ذلك الموظف بالا، ولو أن تلك المعاملة ترتب عنها تأثير نفسي قوي على معنويات الطفل، تجسد في خوفه من المدرسة لاسيما أثناء لحظات استنطاقه، حيث كان يؤمر بالتزام مقعده داخل القسم أثناء خروج زملائه ومعلمه لفترة الاستراحة، ليواجه أسئلة ذلك (المستنطق) غير الرسمي، مع العلم أن مسأة الألقاب المستعارة خضع لها كثيرون من زملائه في المدرسة ممن اضطرتهم ظروفهم لذلك، فأبناء الشهداء والمجاهدين من التلاميذ الذين كانوا يحملون لقب "بلحيا"، انتسبوا إلى لقب "حيتالة" (ك بلحيا بودواية مثلا)، وحاملو لقب "حفيان" أصبح لقبهم "الأزرق"، هكذا. والقائمة طويلة، وكل ذلك تسهيلا لتدريسهم وإبعاد الشبهة عنهم.

(25) "مصران" بمعنى المعى ج أمعاء، وربما أخذ تسميته من الشكل الملتوي الذي يوجد عليه الوادي هناك، في هذا السهل الخاص بزراعة الحبوب (حنطة - شعير) التي لا تتطلب سقيا دائما، وإنما يتوقف ري محاصيلها على فيضان الوادي موسميا، ويأخذ "مصران" أهميته التاريخية من كونه أحد المواقع التي مر بها السلطان الزياني أبوحمو الثاني، حينما كان ملاحقا من قبل الجيش المريني الذي كان قد أسقط تلمسان، (لاحظ "البغية" ليحي بن خلدون).

(26) جاء في إفادة للسيد راسمال معمر - وهو طبيب أسنان متقاعد، ونجل الشهيد عبد القادر راسمال الذي تحدثنا عنه في التراجم - أن الجنرال جورج أشار في كتابه إلى مشاركة السفاح بيجار وقواته في معركة الشرشيرة هذه، ولعلها الفرقة الثامنة من كوماندو "ريم" الذي كان يقوده مجرم الحرب بيجار.

(27) من أشهر المسبلين الذين كنا نسمع بأسمائهم حتى نحن الأطفال يومها، مولاي سليمان وبالنوار عبد الرحمن و حيدار التومي و شخنابة عبد القادر ومولاي محمد (كفيس)، فضلا عن حيدار المجذوب كما أشرنا سابقا، ومع تطور أحداث الثورة هناك من استشهد منهم، وهناك من تجاوز صفة مسبل بطبيعة الحال إلى ما أعلى منها، وليعذرنا من جهلنا أسماءهم من أولئك الرجال الذين كانوا يتحدون تحصينات العدو، واستحكاماته المعززة حول المحتشد، وظلام الليل وصعوبة الطريق، فللموتى منهم الرحمة وللأحياء تحيات التقدير.

(28) عن العقيد النفسية والغريزية والوراثية للتعذيب عند الفرنسيين، لاحظ الأستاذ مصطفى الأشرف "الجزائر الأمة والمجتمع" ص 105 وما بعدها.

تم الإشتغال على هذا الكتاب من أواخر سنة

2012 إلى أواسط عام 2015.

## ملحق يتضمن معلومات حصلنا عليها بعد صدور النسخة الورقية من الكتاب:

— في مجتزا لكتاب أو مجلة فرنسية، (لم نستطع فك عنوانها لمحوه، لكنها تحمل عنوانا فرعيا هو: "قتلى فرنسا في الجزائر من أفراد الوحدة [؟؟؟]،) وجدنا اسم هذا الطبيب الذي قتله الشهيد إبراهيم، بعد أن كانت قد جاءت به حوامة عمودية لإنقاذ نقيب كان الشهيد قد أصابه، فاسم الطبيب إلى جانب أول بعض قتلى معركة فزوز، هي على النحو الآتي ننشرها لأول مرة:

Michel claude deresson	08/01/1929	—	02/07/1959	Medecen.
Johann askar Ott	23/05/1936	//		sergent
GY jean demeules	12/03/1938	//		soldat 2class
Ekio Zanardi	20/02/1929	//		légionnaire

— الشهيد الملازم الأول يوسف الناب السياسي لقائد الناحية الثانية الذي وقع وثيقة نعي الشهيد الإفريقي، ينتمي إلى قسنطينة، كما أشار إلى ذلك المجاهد محمد جبريط المعروف بـ مُصَدَّق، في كتابه " على مدارج النضال والثورة، خطوات وذكريات 1947 - 1964"، بينما نسبته إفادة شفوية محلية إلى ضواحي باتنة، وقد استشهد هو الآخر لاحقا بالعرق الشرقي جنوبي الحساسنة (ولاية سعي—دة)، وقال عنه المجاهد " مصدق" في كتابه المذكور، إنه كان نانبا لقائد الناحية الثانية وهو خريج كلية أداب، وكانت تربطه علاقة خاصة بالرئيس الراحل هواري بومدين أثناء الثورة طبعاً. انتهى كلام المصدر.

حدّد هذا المصدر ذلك بذكر مكان المعركة "جبل فزوز" وتاريخها الذي هو: 1959/07/02 كبقية أماكن المعارك التي ذكرها.

مشاهد من حفل تدشين معلم تذكاري خاص بالشهيد بن سليمان حيدار (الإفريقي) و الطاهر مختاري بسفح جبل فزوز يوم 19 مارس 2017.





# الفهرس:

الإهداء.03

مقدمة عامة.04

مقدمة مدخلية.08

**الفصل الأول:** نظرة تاريخية عامة.10

**الفصل الثاني:** غداة اندلاع ثورة نوفمبر 1954 – 20

سياق عام 20

أ-توظيف النفوذ الروحي للزاوية:24

1نقطة البدايات 25

ب-من الأحداث الأولى: 27

1- عبور طلائع القوات الوطنية. 27

2- من نتائج زيارة بوشريط ( الأسماء الأولى). 28

3- اكتشاف امر الزاوية ( تغيير مجرى الاحداث). 30

4- حادثة البطاقة. 32

5- مرحلة اللجوء إلى البادية. 33

- زيارة القيادي قايد أحمد إلى الشهيد الإفريقي. 36

تعليق و استنتاج. 39

**الفصل الثالث:** عمليات عسكرية ذات صلة سبقت ملحمة " فزوز" 40

1 اشتباك حجرة واقف. 40

2كمين " وادي ميمونة " .1958. — 40

3معركة " خناق الترية أكتوبر " 1958 — 41

تكملة لرواية هذه المعركة. 43

4اشتباك نخلة بوغزة (شماريخ) 43

**الفصل الرابع:** ملحمة جبل " فزوز" الخالدة. وقائع المعركة. (إفادات. وثائق تاريخية.

صور وهوامش تاريخية وتوضيحية) 44

سياق الأحداث العسكرية 44

وصف لجبل فـزوز 47

ملحمة جبل فـزوز 47

تحليل طبيعة الوثيقة المصدر 48

وقفات مع وثيقة المعركة 49

ما قبل المعركة 50

قصف جوي 54

بداية المعركة 55

المكان الممكن بدل المكان الأنسب 56

المظاهر الإستراتيجية للمكان وأسلوب إدارة المعركة 56

(1) طبيعة المكان 56

(2) عزل الآليات الضخمة 57

(3) تدخل نسبي ل سلاح الجو 58

(4) استراتيجية الضلع الفارغ 58

مجريات المعركة: 59

أ - من خلال الوثيقة 59

ب - إفادات شفوية منسوبة للطالب إبراهيم. 61

المرحلة الثانية من المعركة. 62

هدنة وحصار وغلق الممر الشاغر. 64

لغز المسدس 66

وجهها لوجهه. 68

أهمية الحس الحربي. 69

حصيلة المعركة. 70

روايات إضافية حول معركة فزوز. 71

أولا / خاصة باليوم الأول. 71



أ - الاحتماء بالأسرى أثناء حملهم الجثث. 71

ب - استخدام الأسرى دروعا بشرية علنا. 71

ج - مصرع الطبيب وإغضاب اتفاقيات جنيف. 72

د - التحريض على الهجوم. 73

أ - تمويه وتغليط. 74

ب - استغلال نبات الحلفاء (روايتان). 74

ج ذخيرة حية بمواقع الجند. 75

قصص أسرى. 75

حينما حزن سي العربي ولم يسغ الطعام. 76

سي بوعمامة يثني على " بلج " الإفريقي. 76

حجرة الإفريقي كيوابة عبور للمجاهدين. 77

وثائق. 78

ميدان المعركة بالصور. 88

في مأتم الإجلال. 94

**الفصل الخامس:** معارك ذات صلة أعقبت ملحمة " فوزوز ". 95

السياق. 95

1 معركة جبل " بريسط " 1960. — 95

المعركة. 96

2 معركة جبل شماريخ 1960. — 97

— معركة سهل " الشرشيرة " (أوائل 1961). 98

مقدمات المعركة. 98

الأسباب المباشرة للمعركة. 100

وقائع المعركة. 101

محاولات إنزال بشري إلى قعر الكهف. 101

الأسرى واللعب بالموت. 104

روايات أخرى حول هذه المعركة. 105

**تراجع لبعض الشهداء: 106**

الشهيد حيدار بن سليمان (الإفريقي). 107

الشهيد الشلاحي محمد. 110

الشهيد راسمال عبد القادر. 111

الشهيد حيدار إبراهيم. 112

الشهيد راسمال الطاهر (فيصل). 115

الشهيد حيدار معمر. 116

الشهيد حيدار المجدوب. 117

الشهيد حيدار العربي. 119

الشهيد هرماك قدور. 120

الشهيد حيدار بحوص. 121

الشهيد حيدار الطاهر. 123

الشهيد حيدار محمد. 125

الشهيدة الشاوش مباركة. 126

الشهيد مختاري الطاهر. 127

الشهيد مختاري سي علي. 128

**ملحــــــــــــــــق: 129**

حياة الشهيد يوسف بوشريط. 129

(هوامش الفصل الأول) 131

(هوامش الفصل الثاني). 140

156. (هوامش الفصل الثالث).

157. (هوامش الفصل الرابع).

174. (هوامش الفصل الخامس).

178. الفهرس

أنجز طبع النسخة الورقية منه على مطابع **chihabprint**

- باتنة - 2016.